

السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية

(الجزء الثالث)

عبد الله حسين

السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية (الجزء الثالث)

تأليف
عبد الله حسين



السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية (الجزء الثالث)

عبد الله حسين

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: إيهاب سالم

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٠٥٢٥ ٠

صدر هذا الكتاب عام ١٩٣٥.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠١٣.

المحتويات

كلمة المؤلف عن الجزء الثالث

بقلم عبد الله حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

أتممنا الجزء الثاني من كتابنا «السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية»، وقد خصصنا هذا الجزء، وهو الجزء الثالث، للبعثة المصرية في السودان، وقد رأينا أن نقدم فيه حضرات أعضاء البعثة للقراء، وأن نكتب بيانًا عن الهيئات التي اشتركت فيها، ليقف قُرَّاء السودان على المهمة التي تقوم بها هذه الهيئات. ولما كان لحضرة صاحب السمو الأمير الجليل عمر طوسون الأثر العظيم في سفر البعثة، والفضل الكبير في توثيق العلاقات بين مصر والسودان، فقد عقدنا فصلًا ترجمنا فيه حياته الكريمة، كذلك تكلمنا عن الأسرة الأباظية، لأن لها اسمًا مشهورًا في السودان، حتى إن اسم «أباظة» أوشك أن يكون اسمًا سودانيًّا، بسبب النصيب الوافر الذي كان لحضرة مقرر البعثة صاحب العزة فؤاد أباظة بك المدير العام للجمعية الزراعية الملكية، ولأنه قد اشترك في البعثة رجل آخر من الأسرة الأباظية، هو حضرة صاحب العزة عبد الحميد أباظة بك، ولأن أهل السودان معجبون بقلم الكاتب المتفنن زميلنا الأستاذ محمد فكري أباظة، المحامي ورئيس تحرير المصور؛ ولا سيما لما علموا أن «أباظة» اسم لقبيلة عربية بعد أن ظنوه اسمًا تركيًّا، وقد أسمى الكثيرون من أهل السودان مواليدهم باسم «أباظة»، فرأينا لزامًا علينا أن نُعرِّف أهل السودان على الأقل بتاريخ هذه الأسرة.

أما الفصول التي كُتبت عن رحلة البعثة فهي، على الغالب، قد نُشرت بجريدة «الأهرام» وقد أضفنا إليها بيانات مهمة أخرى عن السودان وشئونه.

إننا نعد رحلة البعثة حادثًا تاريخيًّا جليلًا في العلاقات بين مصر والسودان، وقد ساعدنا اشتراكنا في هذه البعثة على جلاء المسألة السودانية، إن صح أن هناك مسألة بهذا الاسم، وإنني لأعد من حسن السياسة ومن الفأل الحسن سفر هذه البعثة، أيًّا كانت الأغراض التي بعثت رجال الحكومة السودانية على تسهيل مهمتها.

فيجب أن لا يعزب عن البال أن علاقاتنا الفعلية بالسودان قد وهنت منذ خروج الجيش المصري، وأن جيلًا جديدًا في السودان سيجيء فلا يعرف شيئًا عن المصريين، أو يعرف شيئًا لا غناء فيه، وأن اتصال المصريين بإخوانهم السودانيين قد جدد الروابط القديمة، وأحيا العلاقات الماضية، وفتق الأذهان لآراء جديدة.

لهذا كله أفردنا هذا الجزء لرحلة البعثة، ونرجو أن نكون بتأليفنا الكتاب في أجزائه الثلاثة، قد حققنا الغاية التي رمينا إليها، وهي أن يقف القُرَّاء على تاريخ السودان ووجوه نشاطه، ورابطته بمصر، وأن يعود ذلك كله بالخير على مصر والسودان والبلاد المتصلة بهما، وعلى الإنسانية جمعاء.

الفصل الأول

الأمير عمر طوسون والسودان

لا يسع المؤرخ الصادق إلا أن يعرض لنصيب حضرة صاحب السمو الأمير العظيم عمر طوسون في الاهتمام بأمر السودان، فلِسِمُوِّه المقالات والمذكرات والاحتجاجات والكتب والنداءات في صدد العلاقات القديمة والحاضرة بين مصر والسودان، وسموه يبذل الكثير في معونة طلاب العلم السودانيين الفقراء في الأزهر والخارج، ويكرم مثوى الضيوف السودانيين، ويساعد جهات البر والعلم في السودان، كملجأ القرش ومعهد أم درمان والمساجد والأندية، ويغتنم سموه كل فرصة للوقوف على أنباء السودان من الذين يزورون سموه من أهله والذين أقاموا به كالضباط والموظفين المصريين، ولا يزال سموه يبحث وينقب لكشف ما خفي من تاريخ السودان ورجاله وعلاقاته بمصر، ويقدح زناد الفكر، لكي يعيش السودان سعيدًا ويحيا السودانيون حياة سعيدة، ويكاد حديث السودان يغلب كل حديث آخر في حضرة سموه. ولما عاد أعضاء البعثة المصرية دعا سموه من أمكن مقابلتهم، لاستطلاع رأيهم في نتائج رحلة البعثة.

وسيذكر تاريخ السودان وعلاقاته بمصر النصيب الأول الذي لسمو الأمير في هذا الشأن، وقد قدَّر السودانيون أنفسهم برَّه بهم وحبه لهم، فأحلوه من نفوسهم أسمى منزلة، وأجمعوا على حبه، ولهجت ألسنتهم بذكره والدعاء له.

على أن مسألة السودان، على ما لها من الأهمية وعظيم الشأن عند سموه، ليست المسألة الوحيدة التي يعنى بها سموه، فإن سموه — كما هو المعروف — العلم في بيئته، بمتابعة الاهتمام بالشئون العامة في مصر والشرق والإسلام وإبداء الرأي في كل فرصة؛ لهذا رأيت أن أعقد هذا الفصل خصيصًا أترجم فيه حياته.

ترجمة صاحب السمو الأمير عمر طوسون

ولا نقصد من هذه الترجمة مدح الأمير، فهو غني بصيته الذائع وشهرته الواسعة عن المدح والإطراء. ولقد أبى علينا مرارًا درج ترجمته في كتابنا، ذهابًا مع ما عُرِف عنه من التواضع والبعد عن الزهو، فلما توسلنا إليه برغبة الأمة وإلحاح الكافة من الأدباء والعظماء أذن لنا: فنحن نترجمه للأمة وللسودان ومصر لا لنفسه؛ ليكون للبلاد من تاريخ حياته الحافل بجلائل الأعمال نبراسًا يضيء لها الطريق؛ طريق المجد الصحيح ومحبة الخير للخير.

وفي اعتقادنا أن في ترجمة الأمير أكبر درس للعظاميين الذين يرون في مجرد الحسب والنسب كل الفخر، وفي الغنى الموروث عن الآباء والأجداد غنى عن كل منقبة تكسبهم مجدًا جديدًا وذكرًا حميدًا، بل درسًا في الأخلاق الفاضلة.

قدَّمنا هذه المقدمة ليعرف الأمير قصدنا من ترجمته، وأننا لم نعْدُ ما في نفسه ولم نتجاوز غرضه، وليكون القارئ على بصيرة من الغاية التي حدت بنا إلى الإفاضة في هذه السيرة فتشرق عليه شمس العظمة من سمائها الصافية، وتنعكس أشعتها على مرآة نفسه، فيقتبس من أنوارها ما يشاء ويحتذي ببعض ما فيها من أمثلة العلاء، ولعله يقتفي مثالًا كريمًا ويهتدي صراطًا مستقيمًا. ومن قرأ تراجم العظماء وترسَّم آثارهم لا يلبث أن يكون عظيمًا:

فتشبَّهوا إن لم تكونوا مثلهم   إنَّ التشبُّه بالرجال فلاح

وُلِد الأمير عمر بن طوسون بن سعيد بن محمد علي الكبير بمدينة الإسكندرية في ٨ سبتمبر سنة ١٨٧٢م. وفي السنة الرابعة من عمره تُوفي والده فكفلته جدته لأبيه خير كفالة، وعُنيت بتربيته هو وإخوته وأخواته أجَلَّ عناية، فنبت نباتًا حسنًا، وشبَّ على الكمال خَلْقًا وخُلُقًا، ودرس مبادئ العلوم على أساتذة قصر والده إلى أن بلغ الحُلُم فنزح إلى سويسرا ودرس فيها دراسةً مستفيضةً، ولمّا تخرَّج تاقت نفسه إلى السياحة فرحل إلى إنجلترا وفرنسا باحثًا مُدقِّقًا معتبرًا بما هنالك من تقدمٍ اجتماعيٍّ وعلميٍّ وصناعيٍّ وزراعيٍّ، ثم قفل إلى الديار المصرية حاملًا بين جنبيه همةً عليَّةً ونفسًا زكيةً وقلبًا ألمعيًّا وأدبًا عليًّا. وهو يجيد اللغات التركية والعربية والفرنسية والإنجليزية قراءةً وكتابةً، ويشارك في مختلف العلوم مشاركةً تدل على سُموِّ مداركه، وسعة معارفه. وقد نال من الرُّتَب والوسامات المصرية أسماها وأعلاها، واقترن بإحدى كريمات الأمير حسن باشا

ابن الخديوي إسماعيل فرزقه الله منها النجباء والنجيبات من البنين والبنات. وسعادتهم بتثقيفه وتعليمه لهم تتفق مع سعادة طالعهم، وتبشِّر بأنهم سيطلعون نجوم سماء ويسطعون كواكب علاء.

ومنذ بلغ أشده جعل نصب عينيه أن يقبض يومًا ما على زمام دائرته ويدير شئونها بنفسه، فانكبَّ على التمرُّن، وكان من وقت لآخر يطوف بمزارعه الواسعة ويمعن النظر في كتب الفلاحة، ويُعنى بالوقوف على أسرارها وأصولها العملية، كما يعنى إذا رجع إلى ديوان دائرته بالشئون الإدارية والمالية. ولما كملت أهليته تولى أمره بنفسه، وقد أصبح الآن ممن يشار إليهم بالبنان في سعة الاطلاع على المعارف الزراعية والمعاملات المالية. وعهدت إلى إدارته بعدُ دائرتان من أكبر الدوائر؛ وهما دائرة الأمير حسن باشا وزوجه الأميرة خديجة هانم، ودائرة الأمير محمد إبراهيم فتبرع بإدارة شئونهما غيرةً منه على مصالح المستحقين فيهما من أبناء أسرته الكريمة، وأبى أن يأخذ على ذلك أجرًا، وطالما كلفه الطواف على مزارع الدائرتين ورعاية مصالحهما مالًا، فتأبى نفسه الكريمة إلا أن يكون على حسابه الخاص. فهو يضحي الكثير من وقته وماله في سبيل منافع بعض أعضاء أسرته شأنه في محبة الخير وإسداء النصيحة إلى القريب والبعيد. وقد بلغت الدوائر الثلاث بحسن إدارته أفضل المبالغ، وغدا مركزها المالي ثابتًا على أقوى الدعائم، ونهضت بها عزيمته نهضةً جعلتها في مقامٍ رفيع.

وللأمير ولعٌ بالفروسية وكل ما يؤدي إليها؛ فلذلك كانت دائمًا جميع أندية الرياضة في البلاد ملحوظةً بجميل رعايته؛ كمضامير السباق في الديار المصرية، فهو رئيسها منذ أمد بعيد، ومن أكبر المنشطين لها، كما له ولع قديم بالصيد والقنص جعله من أمهر الرماة، واكتسب الأمير من وراء هذا الميل الغريزي فيه صحة ونشاطًا، ينطقان بفوائد الرياضة بأفصح لسان؛ فهي لا تدخل في باب اللهو كما يظن العامة، بل هي إلى الجد أقرب لعودها على الصحة بأجلِّ الفوائد. والصحة ملاك الحياة وعليها يُبنَى العلم والعمل، وما يعمله الصحيح في يومٍ لا يقدر عليه السقيم في أيام، كما أن العقل السليم في الجسم السليم.

وسُموُّه ميَّال بطبعه إلى الرحلات والاستكشافات؛ فقد قام برحلات كثيرة إلى الصحراء الغربية ودرس طبيعة هذه الجهات وما فيها من الواحات وغيرها دراسةً مستفيضةً، وقد نشر سُموُّه في الجرائد معلوماتٍ قيِّمة عنها. ولا ننسى هنا ما جادت به يده السخية في سبيل الله والخير: من إنشائه الآبار في طريق الغادي والرائح في هذه

الجهات. ومن استكشافات سموه الجديرة بالذكر بعض الآثار القديمة التي توالت عليها الدهور والأعصار؛ فمن ذلك أنه كشف في أطلال بناء قديم في جنوبي غرب واحة الدلة عن صليب قبطي من الشبه «البرنز» يرجع عهده إلى القرن الخامس أو السادس للمسيح، وكذلك عن بعض الأواني الفخارية الأثرية القديمة بتلك الجهة، ثم اكتشافاته لسليا وآثارها غربي وادي النطرون، ورأس تمثال الإسكندر الأكبر بخليج أبي قير وإرشاده لجمعية الآثار وبلدية الإسكندرية للتنقيب بجوار مسجد نبي الله دانيال، ورحلته الأخيرة في شهر يونية سنة ١٩٣٥ إلى الواحات الخارجة.

ومن وقف على حياة الأمير عجب أشدَّ العجب من انكبابه على العمل دون سآمةٍ أو ملل؛ فهو، مع أعمال الدوائر العظيمة، لا ينقطع عن القراءة والدرس في مكتبته الحافلة بالنفائس، وله غرامٌ باقتناء كتب التاريخ والوقوف على آثار الأقدمين، ولا يخلو الكثير من أيامه من النظر في شأنٍ هام، أو دعوةٍ لاكتتاب أو رياسة جمعيةٍ، كما لا يخلو شهر من سفره إلى ضياعه مرةً أو أكثر، وقد يبقى في الأرياف أسبوعًا لمشارفة الأعمال الجارية في أراضيه.

والأمير بعيدٌ بفطرته السليمة، وتربيته القويمة عمَّا يغضب الله، وهو يكره الخمر ويكره شاربيها، ويعاقب من يعلم أنه يشربها من موظفيه أشد العقاب. وجمعية منع المسكرات بالإسكندرية تحت رياسة شرفه، ويمدها دائمًا بمساعداته. ونذكر له بهذه المناسبة اقتراحه على الحكومة المصرية بقبول اشتراكها في مؤتمر مكافحة منع المسكرات الذي انعقد بمدينة أنفرس ببلجيكا، ومعاونته للجمعيات التي أُنشئت في نواحي القطر لمحاربة المخدرات بمختلف الوسائل. وهو يُجلُّ الإسلام وأوامره. وإيمانه بالله عظيم، واعتقاده راسخ. يعجبه من الناس الصدق والإخلاص، ويقرِّبهم إليه أكثر مما يقربهم جاههم ومناصبهم. وهو مشهور بدفاعه عن القومية المصرية وعن الدين والأمة الإسلامية، وصدِّ تيار المبشرين والملحدين، وبنصائحه الاجتماعية الثمينة الغالية. وآراؤه معروفة ومقدورة في مسائل مساواة المرأة للرجل في الميراث وإبدال القبعة من الطربوش، ومزاحمة المرأة للرجل في ميدان العمل، وما يرى سموه أنه ينجم عن ذلك من الأضرار الأدبية والمادية والاجتماعية. ومحبته للمصريين تعدل محبتهم له، وهم في نظره سواء لا فرق بين مسلمهم ومسيحيهم. وكثير من موظفي دوائره من الأقباط وبينهم من بلغوا مراكز كبيرة، وتولوا المناصب العالية عنده، وفيهم سوريون وأجانب. وهو شرقيٌّ في ميوله.

ويعدُّ سموه أن أكبر جزاء له من الأمة المصرية على التفاته السامي نحوها، وعنايته التي يظهرها في ظروف مختلفة — هو ذلك الحب الخالص الذي يتجلى لسموه في غدوه ورواحه وعند كل فرصة تمكنها من إظهار ما تكنه لشخصه المحبوب. وفي أيام المظاهرات الوطنية الكبرى كان يقف الجمع المحتشد تحت شرفات دائرته هاتفًا له داعيًا، ولا ينصرف حتى يطل سموه عليهم ويحييهم، وكذلك حالهم معه في كل مشهد واحتفال.

بعض مآثر الأمير ومبراته

لا ينتظر القارئ منا أن نحصي له مبرَّات الأمير وأعماله العظيمة في هذه العجالة، وإنما سبيلنا في ذلك أن نلمع إلى بعضها إلماعًا، ونذكر ما حضرنا منها ليقاس عليه ما غاب عنا: فكرمه الواسع لا تحضرنا عبارة تفي بالإفصاح عنه؛ خصوصًا إذا أهابت بجدواه دواعي البذل، ونزلت بالناس سنو الشدائد؛ فهناك تتجلى أريحيته للعطاء ويكون بأياديه الجسام أندى كفًّا من الغمام؛ فالحرب الطرابلسية إنما كانت مادتها ماله، ولو لم يسعفها بمعونته وجاهه ومبرته لما أمكن أهلها الدفاع عن حوزتهم بضعة أشهر، وكذلك حرب البلقان التي شبت نارها على أثر حرب طرابلس فقد أقرَّ فيها عين الدولة والملة، ورأس لجنة الإعانة في مصر، فلبته الأمة والتفت حوله، وألفت اللجان في المديريات والبلدان، وكان يستندي الأكُفَّ بنفسه، ويخطب الخطب الرنانة في المشاهد الحافلة بالأمراء والأعيان فيجري النضار بين يديه سيلًا متدفقًا وهو يبعث به إلى الدولة العثمانية العلية تباعًا.

ولقد عرفت الدولة العثمانية مواقفه العظيمة لها في مواطن كثيرة؛ خصوصًا في هاتين النازلتين، ومن جمعية الهلال الأحمر، وأرادت أن تكافئه بالأوسمة والرتب، بل بالولايات فأبى شاكرًا وقال: إني لم أفعل غير الواجب، وليس على الواجب جزاء.

وغرضه الأقصى من أعماله هذه إحياء عاطفة التعاون والتعاضد بين الشرقيين وإحكام روابط الألفة والاتحاد التي تقويهم لعلمه أنهم إذا لم يتمسكوا بهذه العروة الوثقى فقد ذهبت ريحهم.

والأيام تبين عن كثبٍ صدق ما نرى، وليس أصدق من عِبَر الدهر وحوادثه، وهذا هو مذهبه السياسي للشرقيين عامةً، ورأيه أنهم لو عملوا بهذا المبدأ؛ مبدأ التكافل، ما تخطفتهم ذئاب الغرب، ولا التهمت بلدانهم واحدة تلو الأخرى. وطالما مد يد المساعدة للدولة في ظروف مختلفة؛ فقد حدث حريق هائل في الآستانة، وحدث مثله في الشام ومصر في وقت واحد، فأعمل همته وجمع للمصابين بين البلدان الثلاثة مبالغ ذات

بال نفَّست من خناقهم، وأزالت بعض كربتهم. ولم ننسَ تبرعه للأسطول العثماني والطيارين العثمانيين واحتفاله بهم في مضمار الإبراهيمية من رمل الإسكندرية في يوم مشهود.

ومن مآثره الغرَّاء عوله لجماعة البخاريين الذين سدَّت عليهم الحرب الأوروبية الكبرى طريق الوصول إلى بلادهم بعد أدائهم فريضة الحج؛ فقد كفاهم ببره معرَّة السؤال والتكفف أكثر مدة هذه الحرب المشئومة، وحاطهم بمعروفه في ستر وكفاية، حتى تموَّل منهم المعدم واشتغل العاطل وفتحت في وجوههم الطريق … إلى غير ذلك من المكارم الكثيرة، التي تعيد لنا ذكرى الأجواد في سالف الأيام. ولما تمخضت الحرب الكبرى عن انتصار الحلفاء واقتطاعهم أكثر الولايات العثمانية، واحتلالهم عاصمة الخلافة، وانحازت فلول الجيش التركي وعلى رأسها مصطفى كمال باشا إلى داخل الأناضول يدافعون عن البقية الباقية من بلادهم وهم خلوٌ من المال والسلاح، أهاب هذا الأمير الكبير بالمصريين فلبوه مسرعين إلى معاضدة هؤلاء الأبطال ومساعدتهم بالمال، ونهجت الأمم الإسلامية؛ وخصوصًا الهنود، هذا السبيل مقتفين أثره في هذا العمل الإنساني، الذي بيَّض وجه مصر وعطَّر الخافقَيْن بذكرها.

وقد دامت هذه المعونة ثلاث سنوات متواليات وهي تتدفق على الأناضوليين من غيث جوده سيلًا منهمرًا، حتى فازوا على اليونان وأخرجوهم مدحورين من بلادهم، ثم استمرت — ولا زالت — لإعالة أيتام الأناضول إلى أن توارى شبح الموت والجوع عن أعينهم.

ولكن بعد أن تم الفوز للكماليين ألغوا السلطنة العثمانية وقلبوها جمهورية على رأسها مصطفى كمال، ثم تمادى بهم السير في هذا الطريق فألغوا الخلافة وأخرجوا الخليفة عبد المجيد وسائر أسرة آل عثمان مشرَّدين في الممالك الأجنبية مجردين مما يُقوِّم أود معيشتهم، فظهر بطل الإسلام مرةً أخرى في ميدان العمل وأثارت هذه الكوارث نخوته المعروفة، فقام يدافع عن مقام الخلافة ويذود يد الدهر عن هذه الأسرة الكريمة، وألَّف جمعية لإمداد الخليفة عبد المجيد وأمراء البيت العثماني وأميراته، كان أوَّل مدد لها أرسل إليهم أربعة آلاف جنيه.

أمَّا أعماله لمصر والمصريين فهي أجلُّ وأعظم؛ فبابه مجتمع العفاة، ومزدحَم الواردين والصادرين عن ذلك المنهل العظيم، وسُدَّته قبلة عرائض أولي الحوائج وكعبة آمال ذوي الخلة من الفقراء والمستورين. وهو يسعهم بفضله، ويعُمُّهم بسببه. وهو يواسي موظفي

دائرته في مرضهم وفي موتاهم، ويعينهم في زواجهم وفي ولادة أولادهم وختان ذكورهم. وقد رتَّب لهم الأطباء، ويتبرع لهم بما يحتاجون إليه من الدواء، وهو الذي يموِّن بيوتهم بالغلال منذ بداية الحرب، ومدارسه لأبناء الفلاحين في ضياعه العامرة وأبناء الموظفين فيها، تُعلِّمُهم بدون أجر مبادئ العلوم، وتصرف لهم أدوات الدراسة كلها بغير مقابل.

وذلك غير إقامته للمساجد فيها وتعليم موظفيه عامةً على نفقاته علوم اللغة العربية في دروسٍ يومية تُعطى لهم عقب فراغهم من أعمالهم، وإعطائه الجوائز للناجحين في امتحانها كل عام. وقد يرى في بعض هؤلاء نجابةً فيعِينه على تتميم دراسته. ومن أبناء الموظفين وغيرهم مَن بعث بهم إلى مدارس أوروبا العالية على نفقته الخاصة لامتيازهم بالنبوغ، ولا يزال بعضهم فيها إلى الآن.

وأُعطياته لمعاهد العلوم والجمعيات الخيرية، لا تدخل تحت حصر: نذكر منها تلك الهبة الجليلة التي نفح بها جمعية العروة الوثقى، وجمعية المواساة على أثر رجوعه الأخير من أوروبا؛ فقد وهبهما من أجود أطيانه ما جعل الألسنة تنطلق بشكره عليه. وكم وهب هاتين الجمعيتين والملجأ العباسي هِباتٍ أخرى جزيلةً سابقةً ولاحقةً في ظروفٍ متعددةٍ. وله في مشيخة العلماء بالإسكندرية مآثر جميلة؛ فمنها عطاياه لترقية المتعلمين بها، وهباته لمكتبتهم، وإننا نثبت هنا أبياتًا من قصيدةٍ لفضيلة الشيخ إبراهيم سليمان أحد شيوخهم، تلاها بين يدي سموه على أثر عطيةٍ من تلك العطايا، وقد جاءه منهم وفد شكر تحت رياسة شيخهم إذ ذاك، وهو الأستاذ الأكبر الشيخ محمد أبو الفضل شيخ الجامع الأزهر الأسبق، وهي:

أكلما ناب خطب قيل «يا عمر»	كأنما «عمر» من جنده القدر
وكل خطبٍ دجا يبدو له «عمر»	كأنه الشمس للآفاق والقمر
البدو يسأله والمدن تأمله	كأنما من ذويه البدو والحضر
لو كان في زمن القرآن إذ نزلت	آياته أنزلت في مدحه السور
فلا عدِمنا هباتٍ منه واكفةً	لم يسقِنا مثلها في كفه المطر
حنا على العلم واستسقت معاهدنا	منه فظل عليها الخير ينهمر

ومن شكر العروة الوثقى لسموِّه أنها سمَّت مدرستين من مدارسها؛ إحداهما للبنات والأخرى للبنين، باسمه الكريم. والدار التي فيها مدرسة البنين موهوبة لها من سموه. ومن أفضل أياديه المشكورة إيعازه لجمعية المؤاساة التي يرأسها سموه رياسة شرف

بتوزيع مقدار كبير من الدقيق على فقراء الإسكندرية عندما اشتدت الضائقة بهم، وخلت الأسواق أو كادت من هذه المادة الضرورية للحياة.

وقد أخذ يعاضد مشروع الكشافة لعلمه بما فيه من الفوائد الجلى لنابتة البلاد، فلُقِّب عن جدارة من جمعية الكشافة بالإسكندرية بلقب «الكشاف الأعظم» بعد أن جعلها تحت رعايته العالية.

وإذا لم تقم في وجه هذا المشروع الجليل عقبات فسيبلغ بجميل رعايته مبلغًا عظيمًا ويجني شبان مصر منه نفعًا عميمًا.

أما أعماله العامة، فلا تكاد تجد مشروعًا نافعًا ظهر تحت سماء مصر إلا وله فيه يدٌ بيضاء، ومن ذلك تشجيعه للمعارض الزراعية، واشتراكه في الاكتتابات لإحياء العلم وتشجيع المشروعات الأهلية، وبلغ به هذا التشجيع أن تفضَّل واشترك مع الإسكندريين بخمسمائة سهم في جمعية المشروعات الأهلية، وكان غرضها تجاريًّا محضًا. ولما كان الكثير من أعماله العظيمة واقعًا تحت أعيننا، وهو كل يوم يتجدد، فلا حاجة بنا إلى عده، وإنما نذكر له هنا إعانته «الوفد المصري» إلى مؤتمر فرساي بعشرة آلاف جنيه، وبهذه المناسبة نذكر أن سموَّه أول من تكلم مع الزعيم الخالد رئيس الوفد المصري «سعد زغلول باشا» في هذه الفكرة عندما وضعت الحرب أوزارها، وأول من أراد جمع المصريين عليها بدعوة صدرت منه فعلًا في يوم معين ونشرت في الجرائد، ولكن الظروف حالت دون هذا الاجتماع «راجع خطاب الأستاذ الكبير مكرم عبيد في المؤتمر الوطني العام ومذكرات المغفور له سعد زغلول باشا».

ومما لا يفوتنا ذكره اكتتابه في لجنة الأمراء التي صرفت جُلَّ مالها في تخفيف الويلات التي نتجت عن ضحايا المظاهرات، ولم يكتف — حفظه الله — بذلك، بل دعا السكندريين إلى مثل هذا العمل ليكون خاصًّا بضحايا المظاهرات في الإسكندرية وحدها، وكان لهم نِعم القدوة الحسنة. وشأنه في انضمام الأمراء إلى بقية الأمة في نهضتها الوطنية الأخيرة عند حضور لجنة «ملنر»، والمطالبة بالاستقلال التام مشهور معلوم.

ومما نذكره لسموه مقرونًا بالشكر والإعجاب دعوته في الصحف للمصريين عامةً إلى مدِّ يد المساعدة للجمعية الخيرية الإسلامية وتقدُّمهم إلى الاكتتاب لها بمبلغ خمسة آلاف جنيه بمجرد ما علم سموه بحاجة الجمعية إلى المال، واستصراخها لذوي البر والإحسان، فكان أول الملبين وإمام المحسنين.

وعلى أثر هذه الدعوة لفت نظره العالي بعضهم إلى الجمعية الخيرية القبطية، وأنها أيضًا في حاجة إلى بر سموه فنفحها بألف جنيه، ودعا الأقباط إلى الاكتتاب لها كما دعا المسلمين إلى الاكتتاب لجمعيتهم في نشرة مُذيَّلة باسمه الكريم جاء في آخرها ما نصه:

> والغرض الأقصى لي من ذلك أن أُشرف على مضمار للخير في مصر بين الأخوين الشقيقين «المسلم والقبطي» تتسابق فيه العزائم، وتتبارى الهمم؛ لأنظر إلى أية غاية يجري الأخوان المتباريان، وأيهما يحرز قصبات السبق في هذه الحلبة الخيرية، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

تلك سجية فيه عرفَتْها له مصر، فهي ما هزت مواضع الأريحية من أنفس كرمائها إلا رأت ذلك الأمير المحبوب يرتجل الندى ارتجالًا ويرسل مكارمه إرسالًا.

وكثيرًا ما تقدمت أريحية سموه دعوة الداعين فأحالت دعوتهم دعاء وثنتهم عن الطلب إلى الثناء.

فإنَّا لم نكد نسجل للأمير الجليل تلك النفحة التي شمل بها الجمعية الخيرية الإسلامية حتى ارتجل مبرَّةً أخرى، فشمل الجمعية الخيرية القبطية بنفحة ترفع القواعد من بنائها. ولم نكد نفرغ من شكر هاتين المبرتين حتى بدهنا بثالثة لا ينقطع برها، ولا ينقضي شكرها.

فإنه لم يكد تمثال (نهضة مصر) يتصل حديثه بسموه حتى تفضَّل فتبرع بخمسمائة جنيه مصري من ثمن ذلك التمثال.

ومن مبراته الخالدة التي زادت أواصر الاتحاد متانةً ما تبرع به أخيرًا لمدرستي البطركخانة والمشغل البطرسي على أثر زيارته غبطة الأنبا كيرلس بطريرك الأقباط الأرثوذكس؛ فمنح المدرستين سندات من الدين الموحد لتُعطَى أرباحها السنوية جوائز لأوائل الناجحين والناجحات منهما، وهكذا غَرْس يديه الكريمتين يبقى نفعه ما توالى الجديدان.

وما ننسى لا ننسى تبرعات سموه المتوالية في وجوه البر والخير؛ فمن ذلك تبرعه بمائة جنيه في مشروع شراء قطعة أرض بإنجلترا لدفن موتى المسلمين بها، وحثه المسلمين في مصر على الاكتتاب لهذا المشروع، وتبرعه بمثل هذا المبلغ لجمعية المحافظة على القرآن الكريم برمل الإسكندرية، وبمبلغ أربعين جنيهًا كل سنة لجمعية مشروع القرش، وتبرعه المتتالي لترميم مساجد السودان في مدنه المختلفة ومدها ببعض الكتب الدينية والعلمية،

وتبرعه لنادي الضباط المصريين بالسودان، وللنادي السوداني بالقاهرة، ولنادي الطلبة المصريين بإنجلترا، وبالكئوس الفضيَّة للألعاب الرياضية للمدارس الأميرية وغيرها.

مكارم يتلو بعضها بعضًا، ومبرَّات يسطع في العصر شذاها، وإن مصر التي تقدِّر كل عامل لها في أبنائها لَتحمد للأمير أياديه البيضاء، وتذكر له أنه لم يدع فرصة سانحة للبر بها إلا انتهزها مشكورًا، وأن حياته المباركة نجاح لكل عمل عميم النفع.

ولا يفوتنا أيضًا معاضدات الأمير وتشجيعاته المادية والأدبية، فمن ذلك تأليف سموه جمعية للاحتفال بالطيار المصري محمد صدقي بالإسكندرية ومنحها له خمسمائة جنيه، ومساعداته للمؤلفين والمفكرين على نشر مؤلفاتهم، وطبعه على نفقته الخاصة مؤلفات بعض رجال مصر العاملين ومذكراتهم، وتشجيعه للعلوم والآداب، إلى غير ذلك مما له أكبر الأثر في حياة هذا الوطن وشئونه.

وأما نصائحه إلى أبناء وطنه مصر فهي غالية مجدية، وكلها تنهى عن الشقاق والخصام وتأمر بالاتحاد والوئام كلما دبر لها أعداؤها فتنة أو ألقوا في جموع الأمة عصا التفرقة.

وبالجملة، فالأمير عمر — بإجماع الأمة المصرية — صاحب الأيادي العديدة، والأعمال المجيدة والآثار الخالدة، والسيرة الطاهرة، في بعدٍ عن الشهوات، وترفُّع عن الغايات، وثبات عند الملمات، واجتهاد وجدٍّ يشبه سميَّه سيد المسلمين عمر بن الخطاب في الصلابة في الحق، والثبات على العهد، والميل إلى الجد. ثابت على مبادئه ثبوت الجبال حتى ليس في مقدوره أن يقول ما لا يعتقد، أو يعمل ما لا يريد، أو يعد فيخلف أو يحكم فيجحف، صبور وقور، ذو أناة وحلم، لا تنال الملمات من نفسه الكبيرة، ولا يظهر لها أثر عليه، وذلك من عجيب ما أودعه الله فيه من الخلائق، فهو في بيئته نسيج وحده، ووحيد هذا العصر، في كرم الخلال وشرف الفعال، فما أجدره بقول القائل:

ولو صوَّرت نفسك لم تزدها   على ما فيك من كرم الطباع

أما العلم والتأليف، وهما مما تنبو عنه، عادة، طباع أهل النعمة والثراء، فضلًا عن الأمراء، فقد بلغ الأمير فيهما الشأو البعيد.

وإن بحوثه التاريخية والعلمية لفي غنى عن الإيضاح والبيان، وهي تتناول مواضيع كثيرة هامة، وقد نشر معظمها في جرائد مصر العربية والإفرنجية. وسمو الأمير يعمل بجد ومثابرة على إظهار مكنونات تاريخ جده الأكبر محمد علي باشا، وإثارة دفائن هذا

التاريخ الحافل بجلائل الأعمال؛ فمن ذلك أنه لفت نظر وزارة الأشغال على أثر عثوره بجريدة الوقائع المصرية على مقطوعات شعرية بها تواريخ إنشاء بعض القناطر المصرية في هذا العهد السعيد، واقترح عليها نقش هذه المقطوعات التاريخية الأثرية على ألواح توضع في مواضع هذه القناطر، فنالت فكرته استحسانها ونفذت مقترحه.

وما ظهر إلى الآن لهذا الأمير النابغة من آثار قلمه البليغ باللغتين العربية والفرنسية، ودبجته براعته من المباحث الممتعة، وكلها من الطريف الذي لم يكن معروفًا من قبل، يجعل له القدح المُعلَّى في هذا المضمار.

وذلك مثل مقالاته التي نشرتها الصحف والمجلات العلمية عن الجيش المصري أيام محمد علي، وعن المدارس والصنائع والبعثات العلمية، وفي ذلك العهد ومحاضراته القيِّمة التي ألقاها في المجمع العلمي المصري وتلقتها أندية العلم في الشرق والغرب بمزيد الاهتمام. وكتابه النفيس عن أفرع النيل القديمة الذي ظهر منذ عهد قريب مطبوعًا باللغة الفرنسية، وسيظهر عن قريب باللغة العربية، ورسائله التاريخية العديدة، إلى غير ذلك مما شارك الأمير فيه أكابر العلماء المحققين وسلكه في سلك جهابذة المؤرخين المتميزين.

وقد تغنى الشعراء بمدحه وأكثروا من القول فيه مما لو جُمع لكان ديوانًا كبيرًا، وإننا نختم هذه السيرة المتضوِّعة بقصيدة في الأمير لشيخ شعراء الجيل الغابر إسماعيل صبري باشا، بعث بها إلى سموه أيام حرب البلقان والهلال الأحمر وهي:

لك الإمارة والأقوام ما برحت … بكل عالي الذرى في الكون تأتمر
لو لم تنلها لما ألقت أعنَّتها … إلا إليك: خلال كلها غرر
يا ابن الأُلى لو أطلُّوا من مضاجعهم … يومًا عليك لقالوا إيه يا «عمر»
أعدت أيامهم في مصر ثانيةً … حتى توهَّم قوم أنهم نشروا
وسرت سيرتهم حتى كأنهمو … إذا خطرت بأرضٍ مرةً خطروا
لله درُّك! كم نبَّهت من همم … تثني على أهلها الآصال والبكر
وكم تعهَّدت جَرْحى من أسود وغًى … إن يكشر الدهر عن أحداثه كشروا
مستنجدًا من بني مصر أولي شمم … إذا رأوا ثلمةً في حوضهم جبروا
مستهميًا هاميًا والنيل في وجلٍ … من أن تجود به أيمانكم حذر
حتى تفاهمت الأرحام وادَّكرت … ما بينها الأهل والخلان والأسر
وآذن البر بالسقيا وما فتئت … منهم ومنك صنوف البر تنتظر

وحركت كل كفٍّ بالندى مِقةً — حتى تعجبت الأنهار والغُدُر
والناس، إن قام يستسقي الكريم لهم — سحائب الفضل بشِّرهم، فقد مطروا
أبي علاء سعيد أن يشابهه — إلا ابن دوحته إن قام يفتخر
ما زال يحمده رائيك مُدَّكرًا — والأصل بالفرع إن حاكاه يدَّكر

مؤلفات سمو الأمير

المؤلفات الفرنسية:

(١) تاريخ أفرع النيل القديمة قبل الفتح العربي وفي مدته (٢ جزءان).
(٢) تاريخ النيل (٣ أجزاء).
(٣) مالية مصر من عصر الفراعنة إلى الآن (١ جزء).
(٤) جغرافية مصر في عصر العرب (ظهر منه جزءان وباقي ثلاثة تحت الطبع).
(٥) الأديرة القبطية بوادي النطرون.
(٦) الإسكندرية في سنة ١٨٦٨م.

المؤلفات العربية:

(١) كلمات في سبيل مصر.
(٢) صفحة من تاريخ مصر في عهد محمد علي «تحت الطبع».
(٣) مالية مصر من عهد الفراعنة إلى الآن.
(٤) الصنائع والمدارس الحربية والبعثات العلمية في عهد محمد علي.
(٥) الجيش المصري البري والبحري في عهد محمد علي.
(٦) مصر والسودان.
(٧) مذكرة عن مسألة السودان بين مصر وإنكلترا.
(٨) البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهد عباس الأول وسعيد.
(٩) صفحة مجد للجيش المصري البري والبحري في حرب القريم.
(١٠) بطولة الأورطة السودانية المصرية في المكسيك.

الفصل الثاني

كيف سافرت البعثة المصرية للسودان؟

أذاعت الجمعية الزراعية الملكية في يناير سنة ١٩٣٥ البيان التالي عن الأسباب التي حملتها على تنظيم البعثة المصرية إلى السودان:

> أوفدت الجمعية الزراعية الملكية في شهري يناير وفبراير من العام الماضي حضرة مديرها للسفر للسودان وأعالي النيل والأوغاندا والبلاد المكونة لأفريقيا الشرقية والشلال الشرقي لجمع المعلومات والمشاهدات عن زراعة القطن في وادي النيل، وقدم بها مذكرة للجمعية الزراعية وللجنة القطن الدولية المنعقدة في القاهرة في شهر فبراير من العام الماضي، ثم قدم حضرته اقتراحات لحضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون رئيس الجمعية بشأن تنمية العلاقات بين مصر والسودان.
>
> وبعد أن درستها لجنة المشروعات بالجمعية قرر مجلس إدارتها بجلسة ٩ أغسطس سنة ١٩٣٤ الموافقة على ما يأتي:
>
> (١) إعداد مكان لمعروضات السودان في المعرض الزراعي الصناعي القادم.
>
> (٢) تنظيم رحلة للسودان في شهر يناير سنة ١٩٣٥ مكونة من أعضاء الغرف التجارية والجمعية الزراعية وكبار الزرَّاع والتجار في مصر.
>
> (٣) مشروع تأليف شركة من أهالي مصر والسودان لمشتري أراضي زراعية بالسودان واستثمارها.
>
> (٤) دراسة إنشاء فرع للجمعية الزراعية بالخرطوم.
>
> (٥) دعوة بنك مصر لإنشاء فرع له بالخرطوم.

وفي صباح الخميس ٢٦ يوليو سنة ١٩٣٤ قابل مدير الجمعية حضرة صاحب الدولة رئيس الوزراء بالإسكندرية، وعلم من دولته موافقته على ذلك، كما أنه قابل حضرة صاحب السعادة الحاكم العام للسودان وباحثه في ذلك، ووافق سعادته على وجهة نظر الجمعية بإنماء العلاقات الاقتصادية بين مصر والسودان، وعلى عزم الجمعية تخصيص محل في المعرض الزراعي الصناعي القادم لمعروضات السودان الزراعية والصناعية، وعلى اتصال المدير بالغرف التجارية بمصر والإسكندرية والخرطوم للقيام بما يلزم لهذا الشأن وترتيب رحلة من التجار والزراع للسودان في شهري يناير وفبراير سنة ١٩٣٥ لدراسة المشروعات الزراعية والتجارية.

كما أن بنك مصر رحَّب بفكرة وجود فرع له بالخرطوم متى وجد السبل ممهدةً لهذا المشروع، وبناءً على كل ذلك قامت لجنة الجمعية الزراعية المكونة من حضرات أصحاب السعادة والعزة عبد الحميد بك فتحي ناظر مدرسة الزراعة العليا بالجيزة سابقًا، وحضرة صاحب العزة ألفونس بك جريس مدير قسم الزراعة سابقًا، وحضرة صاحب العزة فؤاد بك سلطان، وحضرة صاحب السعادة رشوان باشا محفوظ وكيل وزارة الزراعة سابقًا، وعبد الحميد أباظة بك، وفؤاد أباظة بك مدير الجمعية — بدراسة كل ما يلزم لتنفيذ الفكرة، وفعلًا قد تمت جميع الإجراءات الخاصة بذلك، واشترك فيها مندوبون عن الجمعية الزراعية والنقابة الزراعية العامة والغرف التجارية بمصر والإسكندرية والمنصورة وكبار التجار والزراع … إلخ، وقد زاد عددهم عن الثلاثين عضوًا (كشف الأسماء طيه). وعمل بروجرام للسفر والتنقلات بقطار مخصوص فيه معدات الراحة والنوم والأكل.

وجاء في المحاضرة التي ألقاها حضرة صاحب العزة فؤاد أباظة بك المدير العام للجمعية الزراعية الملكية في الساعة الخامسة والنصف من مساء يوم الخميس ٢٥ أبريل سنة ١٩٣٥ بدار الجمعية الجغرافية الملكية بالقاهرة ما يلي:

كان لي الشرف بأن حاضرتكم في العام الماضي عن رحلتي لأعالي النيل وشرق أفريقيا، وقد كنت سافرت في صباح ٧ يناير سنة ١٩٣٤ بالطيارة من مصر الجديدة للخرطوم فوصلتها مساء اليوم نفسه، واستأنفت السفر في اليوم

التالي طائرًا أيضًا إلى جوبا في حدود السودان القبلي، وفي صباح ثالث يوم كنت في عنتبة وكمبالا، ثم جنجا على شواطئ فيكتوريا نيانزا والبلدة الأخيرة ينبع منها النيل عند مساقط ريبون، وبعد أن تفقدت مزارع القطن في أوغندا وكينيا ركبت الباخرة من ممباسا إلى مقديشو عاصمة الصومال الطلياني التي زرتها سنة ١٩١١ ثم عدن وجيبوتي، وتركت الباخرة عند مصوع مخترقًا الإرتريا بالسيارة إلى كسلا حيث بدأت رحلتي السودانية الثانية في العام الماضي، وكانت الأولى في سنة ١٩١١ والثالثة في هذا العام.

وقد ذكرت في ختام كلمتي عن رحلة سنة ١٩٣٤ ما يأتي:

أن العناية تامة بإعطاء مصر ما يلزمها من مياه الري واستعمال ما يزيد عن احتياجاتها في ري وزراعة أراضي إخواننا السودانيين، ولكن الأحوال «بالسودان» في الوقت الحاضر من الوجهة الاقتصادية والتجارية البحتة ليست على ما يرام، بل يلزم زيادة التعاون والتآزر الزراعي والتجاري (بين مصر والسودان). أما كيف يكون ذلك، فمن الوجهة الاقتصادية البحتة حسب تخيلي الضعيف ليس من الصعوبة بمكان.

ثم عرضت فكرتي بتكوين بعثة مصرية لزيارة السودان لغرض تنمية العلاقات الاقتصادية بين القطرين الشقيقين على حضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون رئيس الجمعية الزراعية الملكية، فشمل المشروع بعطفه وتشجيعه، واشتغلنا بدرس الفكرة بعد ذلك في لجنة خاصة شُكلت بالجمعية الزراعية الملكية لهذا الغرض، واتصلت بمندوب حكومة السودان في مصر، ثم كان لي السرور بأن قابلت بالإسكندرية في يوليو الماضي دولة رئيس الوزراء إذ ذاك عبد الفتاح يحيى باشا وسعادة السير استيوارت سايمز حاكم عام السودان، وشرحت لكل منهما على انفراد أغراض البعثة وما ينتظر منها من النتائج بين مصر والسودان، فوافق عليها كل منهما، إذ إن ذلك في صالح علاقات البلدين، ثم اتصلت بجناب رئيس الغرفة التجارية السودانية الذي كان موجودًا وقتها بالقطر المصري، وتباحثت معه لأول مرة في تفاصيل المشروع وكان يعمل لتحقيق مثل هذا الغرض أيضًا من جانبه.

وفي ٩ أغسطس سنة ١٩٣٤ قرر مجلس إدارة الجمعية الزراعية الملكية برئاسة حضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون ما يأتي:

(١) إعداد بناء للسودان في المعرض الزراعي الصناعي القادم.

(٢) تنظيم رحلة للسودان في شهري يناير وفبراير سنة ١٩٣٥ مكونة من أعضاء الغرف التجارية وكبار الزراع في مصر.

(٣) دراسة مشروع تأليف شركة من أهالي مصر والسودان لمشتري أراضٍ زراعية واستثمارها.

(٤) بحث إنشاء فرع للجمعية الزراعية بالخرطوم.

(٥) دعوة بنك مصر لإنشاء فرع له بالخرطوم.

وقد نُفِّذ البرنامج بحذافيره حيث تكونت البعثة المصرية ممن يمثلون الجمعية الزراعية وجمعية خريجي الزراعة والنقابة الزراعية العامة والغرفتين التجاريتين بالقاهرة والإسكندرية وكبار الزراع والتجار والأعيان، وفيهم الطبيب والمهندس والحقوقي، ومندوبين عن الصحافة المصرية، ويرافقهم مصور الجمعية للسينما والفوتوغرافية وفراش يساعده وجابوا جميعًا أنحاء السودان الشمالية، ووقفوا بأنفسهم على الحالة ورأوا بأعينهم ما كان غامضًا علينا، وتحروا الأغراض التي سافروا من أجلها، وبحثوا محتملات كل منها، وكان قيام البعثة من مصر في ٢٥ يناير سنة ١٩٣٥ عن طريق السويس. ا.هـ.

وهذه هي الشروط التي وضعتها الجمعية الزراعية وطلبت من كل مسافر قبولها:

أنا ... أقرر ما يأتي:

(١) مبلغ الخمسين جنيهًا الذي دفعته لمصاريف الرحلة هو قيمة تقدير مصاريف السفر من القاهرة إلى بور سودان — طوكر كسلا — سنار — الأبيض — واد مدني — الخرطوم — وادي حلفا — الشلال — القاهرة، بما في ذلك اللوكندات وعربات النوم والأكل، أما مصاريف المشروبات والطلبات الزائدة عن الترتيبات المعتادة مثل طلب حمام خصوصي في اللوكندات أو عربة نوم مفردة في الباخرة أو في عربات النوم أو أكل مخصوص، فيدفعها المسافر زيادة عن الخمسين جنيهًا أولًا فأولًا للوكندات وخلافه.

(٢) اجتماع المسافرين يكون بمكتب الجمعية الزراعية الملكية صباح الجمعة ٢٥ يناير سنة ١٩٣٥ للنقل بعربات ثورنيكروفت وأمتعة المسافرين تُنقل بعربات اللوري، ويصير إخطار حضراتهم فيما بعد عن ساعة القيام بالضبط، أما من يريد السفر للسويس مباشرةً فيكون على حسابه.

(٣) بما أن الرحلة لها حالة خاصة فمن المفهوم أن حضرات أعضاء الرحلة يراعون الظروف المحيطة بها فيبتعدون عن الاشتغال أو المباحثة في الأمور السياسية والدينية؛ لأن الغاية المقصودة من هذه الرحلة هي تنمية العلاقات الزراعية والاقتصادية بين مصر والسودان، ولهذا فإن إلقاء الخطب أو البيانات في الحفلات أو غيرها لا يكون إلا بعد اطلاع اللجنة المنظمة للرحلة على ما سيقال مقدمًا، وتسليم كل كلمة لحضرة فؤاد أباظة بك.

(١) خطاب مسيو كونتو ميخالوس الرئيس الفخري لغرفة السودان

في أبريل سنة ١٩٣٤ خطب مسيو كونتو ميخالوس رئيس الغرفة التجارية بالخرطوم يومئذ ورئيس شرف لها الآن، فقال:

> كلكم تعلمون أن جنود الجيش المصري أُجلُوا عن السودان بسبب الحوادث التي وقعت — لسوء الحظ — في سنة ١٩٣٤، فكان خروج الجيش خسارة كبيرة أصابت تجارة البلاد، وهذه الخسارة تقدر بمليون جنيه على الأقل في العام ولم تعوض من مورد آخر. وقد جاءت سنوات الرخاء بعد خروج الجيش فلم تشعر البلاد بوطأة حرمانها من هذا المورد إلى درجة خطيرة، وإن تكن المدن التي تشبه الخرطوم بجزى وشندي والأبيض والعطبرة والمراكز الأخرى قد شعرت بالصدمة على أثر وقوعها تقريبًا، ولما حلت الأزمة ساءت الأحوال فاضطرت الشركات التجارية، حتى في الخرطوم نفسها، إلى غلق أبوابها، وأخليت دور الأعمال والعمارات، ولا تزال خالية إلى يومنا هذا.
>
> وكم أود أن أرى المساعي تُبذل لزيادة روح التعاون بين مصر والسودان، وفي الإمكان القيام بأول خطوة في هذه السبيل، بإلغاء جميع القيود والموانع بين البلدين، ولست أشك أنه إذا أزيلت القيود التي تمنع المصريين من دخول



مسيو كونتو ميخالوس رئيس شرف غرفة السودان التجارية.

البلاد فإنه لا يأتي إلى السودان شخص واحد من غير المرغوب فيهم أكثر من ذي قبل، بل يجد المصريون المسالمون الأذكياء طريقهم إلى هنا، فيساعد وجودهم ومصالحهم مساعدة كبيرة على ترقية السودان ورخائه.

وتُنفق مصر اليوم بضعة ملايين من الجنيهات على إنشاء خزان جبل الأولياء، وستنفق ملايين أخرى في خلال السنوات القادمة على مشروعات أخرى للري، علاوةً على الإعانة السنوية التي تدفعها للمحافظة على النظام.

فلأجل كل هذه الأسباب، ولأجل المصالح الأخرى الكبيرة الموجودة بين البلدين، أرى أن الصداقة وحسن النية أمران جوهريان بالنسبة إليهما. وإني أرجو أن لا يسيء أحد إدراك غايتي، ولا يراني قد تجاوزت حدودي في توجيه هذه الدعوة. ومن حسن حظنا أن حاكمنا العام اكتسب خبرة طويلة بأحوال

الشعب؛ سواء في مصر أم في السودان، لذلك تجدونني موقنًا بأنه سيفسر ملاحظاتي هذه تفسيرًا صحيحًا.

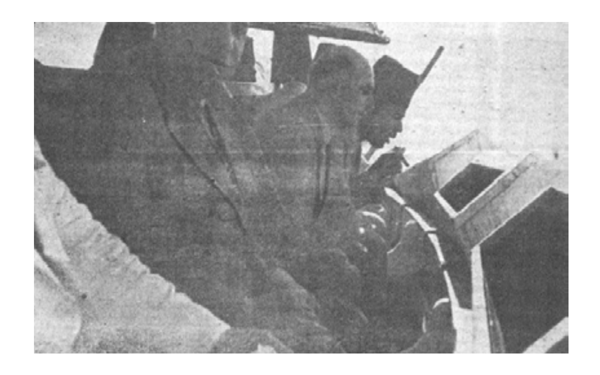
وقد علق فضيلة الشيخ أحمد عثمان القاضي على هذا الخطاب بأنه لا توجد قيود لمنع سفر المصريين.

تصريحات سير مافي

وفي سنة ١٩٣٣ صرح سير جون «مافي» الحاكم العام للسودان يومئذ لجريدة «المقطم» بأن مصر سوق طبيعية للسودان «لحاصلاته»، وأن السفر إلى السودان مباح للمصريين، وأنه لا يمنع من السفر سوى العنصر المثير؛ سواء أكان مصريًّا أم إنجليزيًّا أم أجنبيًّا.

زيارات الشيخ أحمد عثمان القاضي

وكان فضيلة الشيخ أحمد عثمان القاضي رئيس تحرير جريدة «حضارة السودان» في أثناء إجازاته الصيفية التي ابتدأت في مصر منذ صيف ١٩٣٢ في مصر يُعنى بحثِّ كبار المصريين والصحفيين على السفر إلى السودان.



لفيف من أعضاء البعثة في ميناء بور سودان في قارب ينظرون في سطح زجاجي قاع البحر العجيب.

(٢) الجمعية الزراعية الملكية

تحت رعاية حضرة صاحب الجلالة الملك «فؤاد الأول» ورياسة حضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون

أسست الجمعية[١] في ٢٢ أبريل سنة ١٨٩٨ على يدَي المغفور له حضرة صاحب السمو الأمير حسين كامل، وسميت حينذاك بالجمعية الزراعية الخديوية، وفي سنة ١٩١٥ سميت بالجمعية الزراعية السلطانية على أثر ارتقاء مؤسسها عرش مصر، فتكون مدة رياسة سموه لها من سنة ١٨٩٨ إلى سنة ١٩١٥. وفي سنة ١٩٢٥ سميت بالجمعية الزراعية الملكية لوضعها تحت رعاية حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول ملك مصر الحالي، ورئيسها الثاني هو المغفور له الأمير كمال الدين حسين نجل المغفور له السلطان حسين كامل، ومدة رياسته لها سنة ١٩١٥ إلى يوم وفاته في ٦ أغسطس سنة ١٩٣٢. وقد انتُخب حضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون رئيسًا للجمعية في يوم ٣ سبتمبر سنة ١٩٣٢ خلفًا للمرحوم الأمير كمال الدين حسين.

أما أغراض الجمعية الأساسية فهي السعي في تحسين الشئون الزراعية وترقيتها بالقطر المصري بالوسائل المشروعة جميعًا وإقامة المعارض الزراعية والصناعية … إلخ.

وليست الجمعية الزراعية الملكية ملحقة بأية جمعية أو نقابة أخرى، بل لها نظام يكاد يكون فريدًا في بابه.

فمع أنها ليست جمعية تعاونية بالتعريف التعاوني فإن اتجاه أغراضها وسير أعمالها يتمشى مع روح التعاون بين الزرَّاع والجمعية.

وهي تتألف من أعضاء أصليين وعددهم ٤٠٠ عضو، ولهم وحدهم حق الحضور في جلسات الجمعية العمومية السنوية، وأعضاء منتسبين لا حدَّ لعددهم.

وفيما عدا ذلك فجميع الأعضاء؛ أصليين ومنتسبين، متساوون في الحقوق والامتيازات في أثمان ما يشترونه من الأسمدة والبذور ودخول المعارض، وليست لهم حصة أو نصيب في أموال الجمعية ولا في أرباحها أو خسائرها.

[١] كانت هناك جمعية زراعية وطنية من الأعيان قبل إنشاء الجمعية الحالية.

ويجتمع هؤلاء الأعضاء مرة في كل سنة بهيئة «جمعية عمومية» تُعرض عليها نتيجة الأعمال التي قامت بها الجمعية في خلال السنة والمشروعات التي يقترح مجلس إدارة الجمعية القيام بها.

ويتولى شئون الجمعية مجلس إدارة لا يزيد على اثنين وثلاثين عضوًا من أعضاء الجمعية، أربعة عشر منهم يجب انتخابهم من الأربع عشرة مديرية، والثمانية عشر الباقون يُنتخبون بناءً على معارفهم وخبرتهم.

الرئيس: حضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون.

الوكيل الأول: حضرة صاحب السعادة سيد خشبة باشا.

الوكيل الثاني: حضرة صاحب السعادة عيسوي زايد باشا.

وللجمعية لجان فرعية مختلفة؛ وهي:

(١) اللجنة الإدارية.
(٢) لجنة الأسمدة والبذور.
(٣) لجنة المعرض.
(٤) لجنة متحف القطن.
(٥) اللجنة المالية.
(٦) اللجنة الزراعية.
(٧) لجنة تربية الحيوانات.
(٨) لجنة القضايا والمطالبات.
(٩) لجنة المشروعات.

مركز إدارة الجمعية العام بداخل الحديقة التابعة للجمعية، وهي الواقعة على شارع الخديوي إسماعيل بالجزيرة بمصر، حيث يوجد بها ديوان الجمعية والأقسام الفنية الملحقة بها ومتحف القطن.

وتنقسم أعمال الجمعية إلى أربعة أقسام رئيسية؛ وهي:

(١) قسم الإدارة العمومية والأسمدة والبذور.
(٢) الأقسام الفنية.
(٣) قسم تربية الحيوانات والطيور.

(٤) متحف القطن.

أولًا: قسم الإدارة العمومية والأسمدة والبذور

أهم أعمال هذا القسم هو الإشراف العام على إدارة جميع أعمال الجمعية بوجه عام وعلى توزيع الأسمدة الكيماوية والبذور وإقامة المعارض الزراعية والصناعية ... إلخ إلخ.

ثانيًا: الأقسام الفنية

وهي أقسام تكاثر البذور، تربية النباتات والكيميا والحشرات.

وتقوم هذه الأقسام بتجارب زراعية، ومباحث كيماوية على الأراضي وطرق إصلاحها، وخواص الأسمدة، ودرس طبائع الحشرات ومقاومتها، وطبائع النباتات واستكثار أنواع جيدة منها. وقسم تربية النباتات التابع للجمعية الزراعية الملكية هو الذي ابتكر نوع القطن المعروف باسم «القطن المعرض»، وقد انتشرت زراعته نظرًا لصفاته الطيبة ومحصوله الوافر.

ويدير هذه الأقسام أخصائيون في علوم النباتات والكيميا والحشرات والزراعة.

ثالثًا: قسم تربية الحيوانات والطيور

أهم أعمال هذا القسم تربية الماشية والأفراس العربية الأصلية، وتوزيع خيول طلائق لتحسين نسل الخيول بالقطر المصري، وكذلك تحسين أنواع الدجاج، ويوزع هذا القسم الخيول في أنحاء القطر في المدة ما بين شهر أكتوبر وشهر أبريل من كل سنة، وتبقى في البلاد لاستخدامها في الوثب.

ويدير هذا القسم أخصائيون في تربية الماشية والخيول والدجاج.

رابعًا: متحف القطن

للجمعية الزراعية الملكية متحف خاص للقطن تأسس سنة ١٩٢٣ بناء على اقتراح رئيس الجمعية السابق المغفور له الأمير كمال الدين حسين، ويحتوي هذا المتحف على كل شيء له علاقة بزراعة القطن وصناعته؛ مثل: أنواع الأقطان التي تُزرع في القطر المصري، وفي مختلف البلدان الأجنبية؛ الصناعات القطنية وجميع أدوارها من غزل ونسج وخيوط ومنسوجات مع بيان عيوبها؛ الصناعات التي تُستعمل فيها الأقطان وبذرة القطن على العموم؛ الآفات والحشرات التي تفتك بالقطن وطرق إبادتها؛ الطرق الحديثة المتبعة لتحسين أنواع الأقطان ونقاوة بذرها

وحليجها؛ الأسمدة الكيماوية وما يحسن استعماله منها؛ خرائط عن المناطق العالية التي يُزرع فيها القطن؛ إحصائيات ومعلومات فنية ... إلخ.

ويُفتح المتحف للجمهور من الساعة ٩ صباحًا إلى الساعة ١ بعد الظهر يوميًّا، ما عدا أيام الاثنين والأعياد الرسمية ... والدخول مجانًا.

وقد زار هذا المتحف بعد ظهر يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٢٧ حضرات أعضاء مؤتمر الاتحاد الدولي لأصحاب مغازل القطن ومعامل نسجه الذي عُقد في القطر المصري من ٢٧ يناير إلى ٥ فبراير سنة ١٩٢٧، وأجمعوا في قراراتهم على أن المتحف المذكور فريد في بابه من كل الوجوه.

أماكن توزيع أسمدة الجمعية وبذورها

توزيع أسمدة الجمعية وبذورها معهود به إلى:

- مركز الجمعية بالجزيرة بالقاهرة.
- ووكلاء الجمعية بالإسكندرية.
- مخازنها في أنحاء القطر وعددها ٢٤.
- عملائها بالبلاد وعددهم ٢٤٩.
- حلقات الأقطان وعددها ٤.

وقد بلغ مجموع متوزعات الجمعية سنة ١٩٣١–١٩٣٢ من أنواع نيترات الصودا وسوبر فوسفات الجير وسلفات النوشادر وسلفات البوتاسا وسياناميد ونيترات الجير والجبس الزراعي ما ينوف عن ٥٥٠٤٠ طنًّا.

رأس مال الجمعية

لما كان لا بد للجمعية من موارد مالية لتقوم بأعمالها خدمة للمزارع المصري فقد اتبعت في تصريف الأسمدة والبذور طريقة تعود عليها ببعض الربح للقيام بحاجتها ولتنمية رأس مالها تدريجيًّا.

والشطر الأكبر من رأس مال الجمعية من أرباح الأسمدة الكيماوية التي تجمدت عامًا بعد عام، وكذلك من الإعانات المالية التي كانت الحكومة تقدمها للجمعية في سنيها الأولى. وقد بلغ رأس مال الجمعية الزراعية الملكية في آخر أكتوبر سنة ١٩٣٢ (الاحتياطي العام) مبلغ ٥٠٠٠٠٠ جنيه مصري، وبلغ قيمة الاحتياطات مبلغ ٤١٤٥٦ جنيهًا و٩٥٢ مليمًا، هذا بخلاف الأطيان والمباني … إلخ، التي تبلغ قيمتها ١١٦٠٧٦ جنيهًا و٢٧ مليمًا حسب قيمتها في ٣١ أكتوبر سنة ١٩٣٢، وبلغ الإيراد في سنة ١٩٣٣ المنتهية في ٣١ أكتوبر سنة ١٩٣٤ مبلغ ٨٧٧٤٥ جنيهًا و٧٦٣ مليمًا، والمصروفات مبلغ ٧٠٠٤٥ جنيهًا و٢٠٩ مليمات، والأرباح مبلغ ١٧٧٠٠ جنيه و٥٥٤ مليمًا.

وليست لأحد من أعضاء الجمعية حصة في رأس المال المذكور، بل هو ملك مشاع للأمة المصرية موقوف على خدمتها والعمل لصالحها.



رشوان محفوظ باشا رئيس البعثة.

ولد سعادته في يوم ٥ أبريل سنة ١٨٨٣ ميلادية، وتعهده والده المرحوم محفوظ رشوان بك من أعيان الحواتكة، وقد كان — رحمه الله — عضوًا بأول مجلس نواب في عهد ساكن الجنان إسماعيل باشا الخديوي، واستمر بعد ذلك عضوًا بالجمعية العمومية.

وقد تلقى الباشا أول تعليمه بمكتب قريته الحواتكة من أعمال مركز منفلوط مديرية أسيوط، ثم انتقل إلى مدرسة أسيوط الابتدائية ونال منها الشهادة الابتدائية سنة ١٨٩٥، ثم التحق بالمدرسة التوفيقية الثانوية بالقاهرة ونال الشهادة الثانوية «بكالوريا» سنة ١٨٩٩، ثم التحق بمدرسة الحقوق الخديوية وتخرج منها حائزًا لليسانسيه سنة ١٩٠٣.

بعد ذلك ابتدأت حياته العملية؛ فعُيِّن في يوليو سنة ١٩٠٣ في وظيفة معاون إدارة بمركز الجيزة، فمعاون ضبط مديرية الجيزة، فمأمورًا للضبط بمديرية الدقهلية في نوفمبر سنة ١٩٠٥، فمأمورًا لمركز ميت غمر دقهلية في مارس سنة ١٩١٠، فوكيلًا لمديرية الفيوم في يناير سنة ١٩١٤، فوكيلًا لمديرية الغربية في أبريل سنة ١٩١٤ فوكيلًا لمديرية البحيرة في مايو سنة ١٩١٥ فمديرًا لأصوان في أول فبراير سنة ١٩١٦ فمديرًا لبني سويف في أغسطس سنة ١٩١٧ فمديرًا لقنا في يونية سنة ١٩١٩ فمديرًا للمنوفية في مايو سنة ١٩٢١ فمديرًا للغربية في ديسمبر سنة ١٩٢٤ فوكيلًا لوزارة الزراعة في مارس سنة ١٩٢٥ فوكيلًا للداخلية في أبريل سنة ١٩٢٩، فوكيلًا للزراعة في أكتوبر سنة ١٩٢٩، وأُحيل إلى المعاش في يناير سنة ١٩٣٠.

الإعانات المالية

تمنح الجمعية إعانات مالية لبعض الهيئات الزراعية تشجيعًا لها على مواصلة أعمالها المتعلقة بالزراعة، وكذلك لبعض الجمعيات الأخرى على سبيل المعونة في أعمالها الخيرية.

وقد منحت أخيرًا الهيئات الآتية المبالغ الموضحة؛ وهي:

جنيه	
١٠٠	النادي الزراعي.
٣٠٠	النقابة الزراعية المصرية العامة.
١٠٠	اتحاد المزارعين.
٥٠	جمعية العروة الوثقى الخيرية الإسلامية.
٥٠	جمعية المؤاساة الإسلامية.

(٣) أسماء حضرات أعضاء البعثة المصرية

(١) **رشوان محفوظ باشا:** رئيس البعثة وعضو مجلس إدارة الجمعية الزراعية (وكيل وزارة الزراعة سابقًا).

(٢) **عبد الحميد فتحي بك:** عضو مجلس إدارة الجمعية الزراعية (ناظر مدرسة الزراعة العليا سابقًا).

(٣) **ألفونس جريس بك:** عضو مجلس إدارة الجمعية الزراعية (مدير قسم الزراعة والإكثار بوزارة الزراعة سابقًا).

(٤) **عبد الحميد أباظة بك:** عضو مجلس إدارة الجمعية الزراعية (مدير الجمعية الزراعية الملكية سابقًا ومندوب جمعية خريجي مدرسة الزراعة).

(٥) **فؤاد أباظة بك:** مقرر البعثة ومدير عام الجمعية الزراعية الملكية.

(٦) **الدكتور إبراهيم الشوربجي بك:** طبيب الجمعية الزراعية الملكية.

(٧) **محمود مصطفى علي أفندي:** رئيس قسم التفتيش بالجمعية الزراعية.

(٨) **إسكندر ناجي:** مصور الجمعية الزراعية الملكية.

من النقابة الزراعية:

(٩) **يوسف نحاس بك:** سكرتير عام النقابة.

(١٠) **الأستاذ مصطفى نصرت المهندس:** عضو النقابة.

(١١) **الأستاذ أحمد أبو الفضل الجيزاوي:** عضو النقابة.

من الغرفة التجارية بمصر:

(١٢) **السيد عبد المجيد الرمالي:** سكرتير الغرفة التجارية.

(١٣) **محمد حسين الرشيدي أفندي.**

(١٤) **محمد حسن قاسم أفندي.**

(١٥) **محمد عبد الرحيم سماحة أفندي.**

(١٦) **محمود مصطفى الجمال أفندي — والأربعة تجار وأعضاء بالغرفة.**

من الغرفة التجارية بالإسكندرية:

(١٧) **الأستاذ علي شكري خميس:** سكرتير الغرفة.

(١٨) **محمود أبو العلا أفندي.**
(١٩) **عبد الرحمن نوفل أفندي.**
(٢٠) **عبد المجيد السيد محروس أفندي — تجار وأعضاء بالغرفة.**

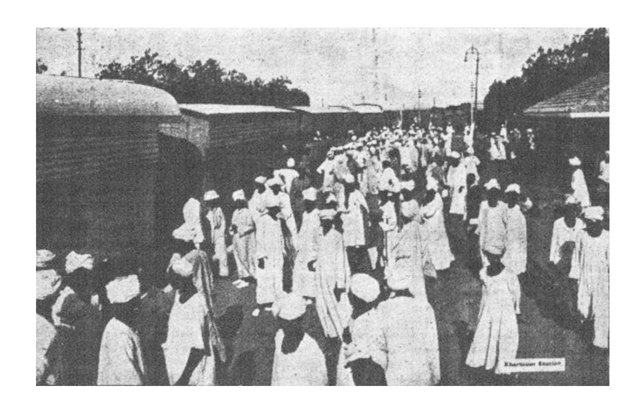
من الغرفة التجارية الإنجليزية بمصر:

(٢١) **المستر سدني ساير.**

من كبار الزرَّاع والتجار والصحافيين وغيرهم:

(٢٢) **إلياس عوض بك.**
(٢٣) **عطا عفيفي بك.**
(٢٤) **الدكتور محجوب ثابت.**
(٢٥) **إسماعيل بركات بك.**
(٢٦) **الحاج أمين حجاج الزيني.**
(٢٧) **الأستاذ السيد حسين عيسى.**
(٢٨) **أحمد الحناوي أفندي.**
(٢٩) **الأستاذ فخري لوقا الزق.**
(٣٠) **المستر حكيم «لم يسافر».**
(٣١) **الأستاذ عبد الله حسين المحامي:** مندوبًا عن «الأهرام».
(٣٢) **الدكتور رياض شمس المحامي:** مندوبًا عن «الجهاد».
(٣٣) **أحمد حسن قاسم أفندي** (مسافر بالطيارة يوم ٦ فبراير سنة ١٩٣٥).
(٣٤) **علي أحمد:** فراش الجمعية الزراعية.

وبسبب انحراف صحة حضرة صاحب العزة أحمد حمدي سيف النصر بك نائب رئيس النقابة الزراعية العامة وعضو الوفد المصري ورئيس المجلس الأعلى لاتحاد نقابات العمال، لم يستطع أن يرافق البعثة عند سفرها، وهو ما كان موضع أسف الأعضاء وأهل السودان جميعًا، الذين يحبونه حبًّا صادقًا وهو يبادلهم هذا الحب بأضعافه.



محطة الخرطوم.

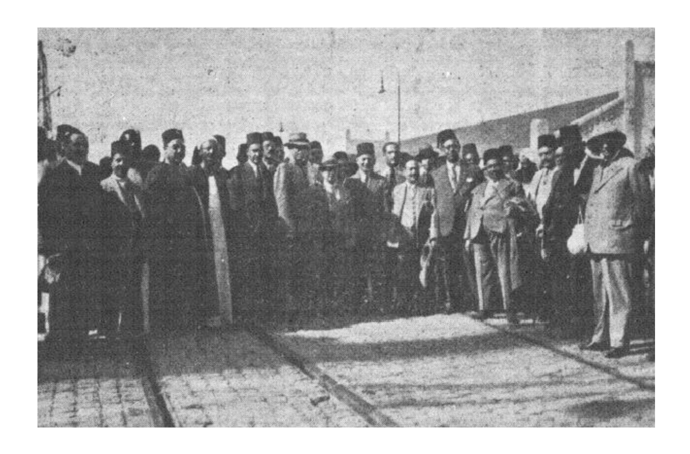
(٤) برنامج الرحلة

أذاعت الجمعية الزراعية قبيل السفر ما يأتي:

يكون اجتماع حضرات المسافرين الساعة ٢½ مساء الجمعة ٢٥ يناير سنة ١٩٣٥ في ديوان الجمعية الزراعية بالجزيرة، والقيام يوم الجمعة ٢٥ يناير الساعة ٣. السفر من القاهرة إلى السويس بالسيارات في الساعة ٣ مساء يوم ٢٥ يناير سنة ١٩٣٥.

السفر من السويس إلى بور سودان.	مساء الجمعة ٢٥ يناير على مركب شركة هندرسن.
الوصول إلى بور سودان.	صباح الاثنين ٢٨ منه.
زيارة جزء من المسافرين لطوكر وجزء آخر لسواكن وجزء لبلدة بور سودان وأسواقها.	الثلاثاء ٢٩ منه.
السفر من بور سودان.	الساعة ٦ مساء يوم الأربعاء ٣٠ منه.
الوصول إلى كسلا.	الساعة ٤:١٥ مساء يوم الخميس ٣١ منه.
السفر من كسلا.	الساعة ٨ من مساء يوم الجمعة أول فبراير.
الوصول إلى القضارف.	الساعة ٤:٣٥ صباح يوم السبت ٢ فبراير.
السفر من القضارف.	الساعة ٠:٣٠ مساء يوم السبت ٢ فبراير.

الوصول إلى سنار.	الساعة ١١:٣٥ مساء يوم السبت ٢ فبراير.
السفر من سنار.	الساعة ١١:٣٠ مساء يوم الأحد ٣ فبراير.
الوصول إلى كوستى.	الساعة ٣:٤٠ صباح يوم الاثنين ٤ فبراير.
السفر من كوستى.	الساعة ٩:٤٥ صباح يوم الاثنين ٤ فبراير.
الوصول إلى تندلتي.	الساعة ٠:٢١ مساء يوم الاثنين ٤ فبراير.
السفر من تندلتي.	الساعة ٠:٣٢ مساء يوم الاثنين ٤ فبراير.
الوصول إلى أم روابة.	الساعة ٣:٣٤ مساء يوم الاثنين ٤ فبراير.
السفر من أم روابة.	الساعة ٤:٥٤ مساء يوم الاثنين ٤ فبراير.
الوصول إلى الأبيض.	الساعة ٩:٤٥ مساء يوم الاثنين ٤ فبراير.
السفر من الأبيض.	الساعة ٧:٣٠ مساء يوم الثلاثاء ٥ فبراير.
الوصول إلى كوستى.	الساعة ٤:٥٠ صباح يوم الأربعاء ٦ فبراير.
السفر من كوستى.	الساعة ٨ مساء يوم الأربعاء ٦ فبراير.
الوصول إلى واد مدني.	الساعة ٢:٥٥ صباح يوم الخميس ٧ فبراير.
السفر من واد مدني.	الساعة ١٢ ظهر يوم الجمعة ٨ فبراير.
الوصول إلى الخرطوم (زيارات مختلفة في الخرطوم وأم درمان لها برنامج خاص).	الساعة ٦ مساء يوم الجمعة ٨ فبراير.
زيارة جبل الأولياء.	يوم الأحد ١٠ فبراير.
السفر من الخرطوم.	الساعة ٨ صباح يوم الجمعة ١٥ فبراير.
الوصول إلى العطبرة.	الساعة ٣:٣٠ مساء يوم الجمعة ١٥ فبراير.
السفر من العطبرة.	الساعة ٣:٥٥ مساء يوم الجمعة ١٥ فبراير.
الوصول إلى وادي حلفا.	الساعة ٧:٤٥ صباح يوم السبت ١٦ فبراير.
السفر من وادي حلفا.	الساعة ٩ صباح يوم السبت ١٦ فبراير.
الوصول إلى الشلال.	الساعة ١:٣٠ مساء يوم الأحد ١٧ فبراير.
السفر من الشلال.	الساعة ٣:٣٠ مساء يوم الأحد ١٧ فبراير.
الوصول إلى مصر.	الساعة ٧:٣٠ صباح يوم الاثنين ١٨ فبراير.



أعضاء البعثة في ميناء بور سودان عقب نزولهم من الباخرة.

(٥) المعرض الزراعي الصناعي لسنة ١٩٣٦

ننشر فيما يلي بيان الجمعية الزراعية عن المعرض:

بدأت لجنة المعرض بالتماس مقابلة حضرة صاحب الجلالة الملك لاستئذانه في إقامة المعرض الزراعي الصناعي القادم وتحديد ميعاده.

وفي الساعة الواحدة بعد ظهر يوم الثلاثاء ١٧ أبريل سنة ١٩٣٤ تشرف بالمقابلة حضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون رئيس الجمعية، وحضرات أصحاب السعادة والعزة سيد خشبة باشا وعيسوي زايد باشا وحسن سعيد باشا ورشوان محفوظ باشا وعلي إسلام باشا ومحمود مهنا بك والمسيو بيو بك وفؤاد أباظة بك، أعضاء لجنة المعرض، فاستأذنوا جلالة الملك في إقامة المعرض الخامس عشر بالجزيرة بمصر في أواخر سنة ١٩٣٥، فتفضل جلالته وأذن للجمعية بإقامته تحت رعايته السامية في ديسمبر سنة ١٩٣٥ بدلًا من أكتوبر سنة ١٩٣٥؛ نظرًا لوجود جلالته في ذلك الوقت بالإسكندرية للمصيف.

وعقب التشرف بالمقابلة السنية قابلت اللجنة حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء طالبةً من دولته وحضرات أصحاب المعالي الوزراء مدَّ يد المعونة لمشروع المعرض، وإحاطته بكل وسائل المساعدة حتى يأتي خليقًا برعاية حضرة صاحب الجلالة الملك المُعظَّم، ولائقًا بمقام الأمة المصرية وبمكانة الجمعية الزراعية الملكية.

وقد كتبتْ رياسة مجلس الوزراء إلى جميع الوزارات بتقديم كل معاونة لتمهيد سبل النجاح للمعرض، وقد أُجِّل افتتاح المعرض إلى فبراير القادم سنة ١٩٣٦.

(١-٥) إشغال حديقة الخديوي إسماعيل للمعرض

طلبت الجمعية من وزارة الأشغال التصريح بإشغال حديقة كوبري إسماعيل بالجزيرة لإقامة الملاهي والمطاعم والمقاهي بها؛ نظرًا لأن أرض الجمعية الحالية سيُشغل جزء كبير منها بإقامة سرايتين كبيرتين لتخصيصهما لمعروضات الوزارات والمصالح الحكومية، وقد صرحت الوزارة بذلك.

رغبةً من الجمعية في اقتباس ما تقوم بعمله البلاد الأخرى في معارضها الزراعية لزيادة العناية بتحسين المعرض، قد انتدبت الجمعية حضرة حسين فريد بك وكيل المدير العام لزيارة المعرض الزراعي الذي أقيم في أول الصيف الماضي بإيرفروت بألمانيا، وستعمل الجمعية ما يلزم نحو تنفيذ اقتراحاته بما تراه، وقد قدَّم به تقريرًا خاصًّا.

وانتدبت وزارة التجارة والصناعة حضرة الأستاذ أحمد صادق عفيفي مدير قسم المعارض بالوزارة للمعاونة في إقامة القسم الصناعي بالمعرض، وكذلك ستعاون الغرف التجارية واتحاد الصناع في هذا القسم، وقد انتخبت شركات بنك مصر المكان اللائق لها والمناسب لمعروضاتها. وقد وُضع كتالوج للمعرض.

واتجهت الإدارة نحو تحويل إحدى المباني الباقية من المعرض السابق لجعله مُصَلى لائقة بإقامة الفروض الدينية.

ووافقت إدارة السكة الحديد على الامتيازات الآتية:

- تخفيض ٥٠٪ من أجور نقل المعروضات من بلاد القطر المصري إلى مصر وبالعكس.

- تخفيض ٥٠٪ من أجور سفر العارضين والعمال.
- تخفيض ٥٠٪ من أجور سفر الزائرين.

وطلبت الجمعية من وزارة المعارف التصريح باستلام أرض ملاعب الكرة بالجزيرة لاستعمال جزء منها في إقامة معروضات المدارس الصناعية والزراعية وغيرها التي تشرف عليها وزارة المعارف، والجزء الباقي منها لمعروضات أخرى. وقد وافقت الوزارة على طلبها.

واتصلت الجمعية بوزارة المعارف في صدد موافقة مصلحة التنظيم على عمل شارع بين حديقة الزهرية وأرض ملعب الكرة للوصول به للنادي الأهلي وشارع الجبلاية، فوافقت وزارة المعارف على ذلك.

وقد وافقت مصلحة التنظيم على وضع مواسير من الأسمنت المسلح في قناة وابور مصلحة التنظيم الموجود برصيف شارع الجبلاية بجوار سور الجمعية لغاية سور نادي الألعاب؛ وذلك لغرض تسهيل إيجاد مكان لوقوف العربات المنتظرة.

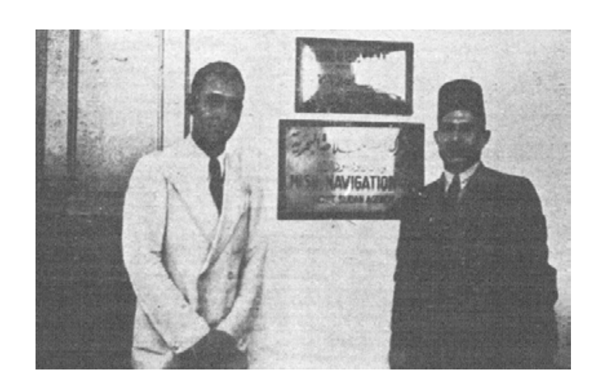
واتخذت إدارة الجمعية الإجراءات التنفيذية لطرح مناقصة بناء سرايتين لمعروضات الحكومة. وبعد عمل الرسومات بمعرفة حضرة مهندس الجمعية والمقايسات التفصيلية، وعرض ذلك كله على مجلس الإدارة، رسا العطاء لبناء السراي الكبرى على الخواجه بيانكي وشركائه بمبلغ ٢٩٥٠٠ جنيه، وتعهد المذكورون بإتمام البناء في مدة سنة، انتهت في منتصف أغسطس، وقد نُفِّذ العمل.

أما مدخل المتحف والسراي الصغرى فقد طرحت المناقصة عنها فرسا العطاء على المعلم صيام محمد وشركاه بمبلغ ١٩٥٠٠ جنيه، على أن يتم البناء في تسعة أشهر، انتهت فى منتصف يوليو، وقد انتهي البناء كله الآن.

ولما كانت واجهة سراي الزراعة محجوبة عن شارع المعرض ببناء مظلة الدواجن، وكان المقرر في التصميم الأصلي لتقسيم باقي أرض المعرض المعمول بمعرفة المغفور له الأمير كمال الدين حسين أن ينشأ أمام السراي من الجهة المذكورة حديقة مكان هذه المظلة، فقد نُقلت المظلة المذكورة لمكان أنسب.

وعملت كذلك عمليات أخرى مناسبة لقسم تربية الحيوانات.

وعندما تقرر تنفيذ فكرة بناء سراي معروضات الحكومة والمصالح التابعة لها استلزم هذا التنفيذ نقل مظلتين كانتا موجودتين في الأرض المخصصة للأبنية المذكورة، ولما كانت المحلات الباقية لمعروضات الآلات الزراعية غير كافية لذلك نقلت هذه المظلات لاستعمالها في توسيع مكان عرض الآلات الزراعية. ا.هـ.



مكتب شركة مصر للسياحة ببور سودان. ويُرى عبد اللطيف أبو رجيلة أفندي مدير المكتب وعن يساره فؤاد أباظة بك.

الفصل الثالث

الأسرة الأباظية

لمحة عن أصلها، وكيانها، وتاريخها

نسبها

يتصل نسبها الأعلى مباشرةً بالعرب العاربة، وهم بنو قحطان سكان اليمن ومنشئو مدنيتها ودولتها، وهم أرسخ العرب قدمًا في العروبة وأقواهم شكيمة. ونوجز سرد التسلسل التاريخي مُرجِعين أساسه إلى المؤرخين المحققين:

(١) من يعرب جد العرب إلى كهلان: فقد انقسم شعب يعرب إلى قبيلتين: حمير وكهلان. والأسرة الأباظية من القبيلة الثانية.

(٢) من كهلان إلى جذام: وكهلان تداولوا الملك باليمن، ثم بقيت الرياسة وحدها لبني كهلان «صبح الأعشى، مجلد أول، ص٣١٨».

(٣) قال ابن خلدون في تاريخه: إن «العائذ» بطن من بطون «كهلان».

(٤) وإن العائذ تنسب مباشرة إلى «جذام» «صبح الأعشى، ص٣١٨ وما بعدها».

(٥) قال الحمداني: «وجذام أول من سكن مصر من العرب حين جاءوا في الفتح الإسلامي مع عمرو بن العاص، فأقطعوا بلادًا لا تزال بأيديهم إلى الآن.» «صبح الأعشى، الجزء الأول.»

(٦) قال «المقريزي»: إن أهل العائذ فخذ من جذام نزلوا بين القاهرة والعقبة.

(٧) جاء في الخطط التوفيقية «جزء ١٤ ص٣» أن العائذ نزلوا في بلاد قديمة ببلبيس فاستولوا على أرضها ومزارعها واستخدموا من بقي من أهلها بما لهم من البأس

والقوة. وكان كبيرهم شيخ العرب — إبراهيم العائذي جد الأسرة الأباظية — متكلمًا على القبيلة في زمن الفرنسيين، وكان ورودهم في القرن السابع من الهجرة. ومن أشهر أسر قبيلة العائذ «الأباظية». وكبيرهم حسن توفي سنة ١٢٦٥ هجرية.

فيكون إذن تسلسل نسب الأسرة الأباظية هكذا: حسن أباظة – إبراهيم العائذي – جذام – كهلان – يعرب – كما ورد في الكتب سالفة الذكر.

وتكون الأسرة قد هبطت أرض مصر في أول القرن السابع من الهجرة؛ أي يكون لهم بمصر للآن حوالي ثمانمائة عام ...

لفظ أباظة

أما هذا اللفظ الذي غلب على لقب «العائذ» فيرجع سببه إلى أن الجد الأكبر تزوج من شقيقة أحد المماليك الحاكمين، وكان من قبيلة أباظة الشركسية الممتدة بالنفوذ في بلاد الشركس — القوقاز — فلما أنجبت «حسن» لقَّبوه بابن الأباظية نسبة إلى الأم، فغلب اللقب الذي جرى به عرف تلك الأيام على لقب العائذ.

كيف خرجت الأسرة من طائفة العرب

إن مؤسس الأسرة المباشر هو «حسن أباظة» الكبير، ملك أطيانًا عديدة وعقارات كثيرة، وكان ذلك التملك مما لا يُسمح به لأبناء العرب. قال العالم الكبير علي مبارك باشا: «وكان الأباظية قد خوَّلهم الله عقارات وأموالًا فخيَّرهم محمد علي الكبير بين معافاتهم في أن يعاملوا معاملة العرب بشرط أن ينزع ما تحت أيديهم من الأراضي، وبين أن يُعاملوا معاملة الفلاحين ويبقى لهم ما تحت أيديهم. فاختاروا الفلاحة.» «جزء ١٤ ص٣.»

حسن أباظة: كان المؤسس الأول على ما نعتقد. كان رجلًا كبير الذهن واسع الحيلة فساد إقليمًا بأسره، أو كما قال فيه علي مبارك باشا: «هو الأمير الجليل ذو المجد الأثيل حسن أباظة. كان جوادًا كريمًا ... إلى آخره.» له معارك طريفة مع «محمد علي الكبير». ولكن كان مؤسس العائلة العلوية يحبه ويكرمه لكبر سنه ويميزه عن غيره من رؤساء العشائر، وقد خلَّف لذريته ثروة طائلة ورسَّخ أقدامهم في الشرقية ...

السيد أباظة باشا: الابن الأكبر لحسن أباظة. أول من نال رتبة الباشوية من أبناء العرب. وصاحب هذه الرتبة الوحيدة في الوجه البحري صديق حميم لسعيد باشا. تنقَّل مديرًا للأقاليم، ثم تربَّع في منصب له خطره ومكانته وسعة نفوذه إذ ذاك، وهو «مفتش الأقاليم»، فامتدت سلطته إلى الوجهين القبلي والبحري، ثم كان من المغضوب عليهم في حكم «عباس الأول» وصدر الأمر بإعدامه، ولكن كان يوم التنفيذ هو يوم اغتيال عباس الأول فنجا … كان أديبًا وشاعرًا.

سليمان أباظة باشا: شقيق السيد أباظة باشا. تولى حكم الأقاليم مديرًا، ثم عُيِّن وزيرًا للمعارف، وانتُخب الوكيل الأول لمجلس النواب الأول، وألقى خطبة الافتتاح ممثلًا للشعب فكانت من أكثر الخطب تطرفًا، وقد نشرها أمين الرافعي بك — رحمه الله — كاملةً، ونصح المغفور له توفيق باشا نصحًا خالصًا فلم تُقبَل النصيحة، واضطُهد في عهد «إسماعيل» اضطهادًا عنيفًا، وكاد يُنفَّذ فيه حكم الدنيا ولكن رحمة الله أنقذته في آخر اللحظات. عُرِف بجبروته وشدته. وكان شاعرًا له في الوقائع المصرية آثار تشهد باطلاعه.

أحمد أباظة باشا: الزعيم التالي وساعِد الحركة العرابية الأيمن، سُجِن من ضمن مسجوني الثورة، وظل ثابتًا على مبدئه.

عثمان بك أباظة: من زعماء الأسرة. كان حلو الشمائل، عذب الحديث.

إسماعيل أباظة باشا: كان من أقطاب السياسة والصحفيين المبرَّزين، ونائبًا من النواب الذين حسموا أدق مواقف التاريخ المصري ببراعته وكياسته ودهائه وجرأته، ثم كان مستشار الخديوي الأسبق، نصحه أصدق النصح في الحرب العظمى فلم يصغِ لوحي بُعد نظره وحدث ما حدث. والكلام عنه يطول. بدأ حياته موظفًا، فمحاميًّا، فنائبًا في مجالس الإقليم النيابية، فنائبًا في مجلس شورى القوانين والجمعية التشريعية حتى سنة ١٩١٣، وأسس جريدة «الأهالي» فعُرِفت بحملاتها القاسية على «كرومر»، وتعرض للمحاكمات. والخلاصة أنه كان حركةً لا تكل ولا تمل، وطرازًا من رجال السياسة القليلي النظير. وحين توفاه الله رثاه الخديو الأسبق بأفضل رثاء في الأهرام، ورثاه الزعيم سعد زغلول أبلغ رثاء في مجلس النواب رغم مخالفة ذلك

التقاليد البرلمانية، وأُقيمت له حفلة التأبين الكبرى في «الأوبرا» برياسة رشدي باشا، فسمع الناس من العظماء تاريخه مفصلًا تفصيلًا …

ونُجمل أدواره بكل اختصار فيما يلي:

(١) ولد سنة ١٢٧١هـ، وتخرج من مدرسة الإدارة «الحقوق» سنة ١٨٧٥ ميلادية، واشتغل بالوظائف وبالمحاماة.

(٢) أنشأ جريدة الأهالي في سنة ١٨٩٤، ثم طاف كاتبًا بيانه «بيان لا بد منه» في جرائد المؤيد، واللواء، والأهرام. وهاجم رياض باشا ومصطفى فهمي باشا وكرومر.

(٣) في دور النائب يلقِّبه المؤرخ المحقق أحمد شفيق باشا «بكليمنصو مصر!» دعك من المجالس الإقليمية وانتقلْ بنا إلى مجلس شورى القوانين حيث انتُخب نائبًا في سنة ١٨٩٦، وكان بحق زعيم المجلس كله. ومعاركه التي ربحها في نيابته الطويلة تناولت حق سؤال الوزراء، علنية جلسات مجلس شورى القوانين، اللغة العربية في المدارس، مقاومة قانون المطبوعات، ثم نضاله المعروف به في مشكلة قناة السويس.[١] ثم سافر على رأس وفد مصري لإنكلترا في سنة ١٩٠٨، فأثار حملة على الحكم الإنجليزي في مصر، أحدث أثرها السريع في أروقة مجلس العموم وفي جلساته البرلمانية بطلب الحكم النيابي وإلغاء الامتيازات.

وهو صاحب فكرة رحلة الخديو عباس سنة ١٩١٤ في الأقاليم قبل الفاجعة، ثم ختم حياته السياسية بجهاد صحفي عنيف إلى أن سجَّل مجلس النواب في ١٤ يناير سنة ١٩٢٧ رثاء بليغًا لصديقه الزعيم سعد زغلول — وكذلك في مجلس الشيوخ خلافًا للتقاليد.

محمد أباظة باشا: الزعيم التالي. ولد سنة ١٨٦٤، وتعلم التركية والعلوم الأخرى، وانتُخب في سنة ١٨٩٤ عضوًا في لجان تعديل الضرائب، فوضع أساسها بخبرته وتجاربه فكانت الأساس المالي لمصر حتى يومنا هذا، وانتُخب عضوًا بمجلس مديرية الشرقية من سنة ١٨٩٦ إلى سنة ١٩١٣ بالتوالي. سافر مع الوفد المصري المشار إليه في سنة ١٩٠٨ إلى إنكلترا. انتُخب في سنة ١٩١٣ عضوًا بالجمعية التشريعية وظل بها حتى أُلغِيت. وانتُخب نائبًا بمجلس نواب سنة ١٩٢٥.

[١] رأس المعارضة في الجمعية العمومية ضد طلب امتداد أجل امتياز شركة قناة السويس.

وكان — رحمه الله — رب أسرة وزعيم أسرة، واشتهر بالكرم والجود وبمساهمته في الجامعة المصرية وفي الأعمال العامة.

وكان وثيق الصلات بأسر القطر المصري الكبرى وبكل أقطابه. وكم شهدت «الربعماية» موطن الأسرة بالشرقية أسواقًا سياسية وأدبية واجتماعية، ولعل من أهمها دعوته للوزراء الإنكليز — العمال — في سنة ١٩٢٩، حيث توفي فرثته الجرائد الكبرى كلها أجل رثاء …

وقد ورث عنه نجله «سليمان نجاتي أباظة بك» عضو الشيوخ السابق — رحمه الله — في سنة ١٩٣٠ زعامة الأسرة، وهو كشقيقه من البارزين.

من تقاليد الأسرة الأباظية

(١) **الروح الرياضية:** أسرة رياضية بأوسع المعاني الرياضية. الرياضة يتوارثها الشبان عن الشبان. كان المرحوم نجاتي أباظة بطل القُطر كله في المسابقات والجمباز، وبطل كمبردج، الجامعة الخالدة في إنكلترا …

وسجلت الملاعب المحلية والدولية العالمية أسماء: السيد أحمد أباظة — السيد خليل أباظة — المرحوم محمود أباظة — السيد نجاتي أباظة — فؤاد أباظة (بك …) — فكري أباظة — الدكتور محمود أباظة (شارة جامعة أدنبرة).

وشغلت الجرائد الإنكليزية والمجلات الخارجية في سنتي ١٩١٦، ١٩١٧ بأخبار فريق الكرة الأباظي الذي هزم القُطر كله رياضيًّا! فكان أعجوبة من الأعاجيب أن تخرِج الأسرة فريقين للكرة من أبنائها وحدها!

(٢) **المجالس النيابية:** احتكرت الأسرة الأباظية كامل مقاعد مجلس مديرية الشرقية عدة سنوات ولجان الشياخات، وهذا عجيب في بابه، ثم تسلَّلت إلى مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية لغاية سنة ١٩١٣، فكان من أعضائها البارزين: إسماعيل أباظة باشا، عبد الله أباظة بك، صادق أباظة بك. ثم تسللت إلى مجلس النواب والشيوخ سنة ١٩٢٤ إلى ١٩٣٠ فكان من أبرز أعضائها النواب: عبد الله سليمان أباظة بك، سليمان نجاتي أباظة بك، محمود إسماعيل أباظة بك، الأستاذ دسوقي أباظة «وكيل مجلس النواب السابق»، الأستاذ فكري أباظة، الأستاذ إسماعيل نجاتي أباظة، الأستاذ سليمان إسماعيل أباظة، الأستاذ عزيز محمد أباظة ومحمد باشا عثمان أباظة. وعذرًا إذا لم يُعنَ بالترتيب …

ولهم في تلك المجالس المتعاقبة جولات وحملات سجلتها المضابط.

البعثات والمؤتمرات

وتسللت الأسرة إلى البعثات العالمية الحكومية، وفي المؤتمرات العامة: اشترك الأستاذ دسوقي أباظة في مفاوضات سنة ١٩٢١ مع عدلي يكن باشا. وفؤاد أباظة بك، والمرحوم محمود أباظة بك مدير البساتين إذ ذاك، ونجاتي أباظة بك وكيل مصلحة الأملاك في المؤتمرات الدولية في أمريكا وأوروبا نيابةً عن الحكومة المصرية …

الوظائف

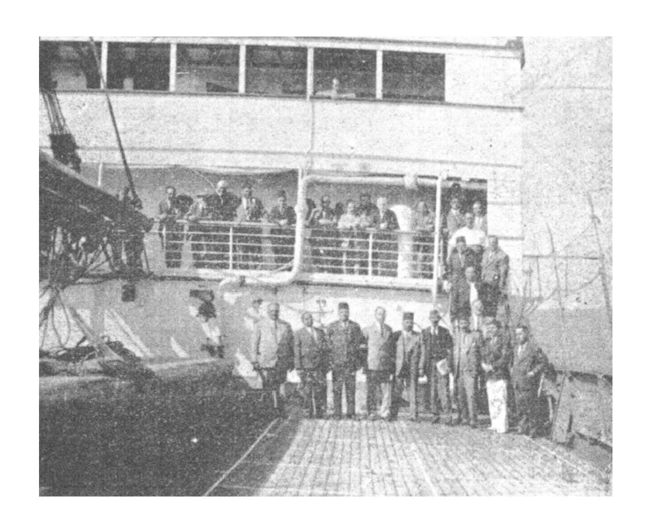
تحتل الأسرة الأباظية من زمن المناصب الكبيرة: وزراء، ووكلاء وزارات، ومديري عموم، ومديرين ومديري شركات، وكبار موظفين إلى اليوم. والسرد يطول وهم — بحمد الله — في كل مصلحة بلا استثناء …

الحياة العامة

وقد ساهموا في الحياة العامة: فهذا الأستاذ دسوقي أباظة من الكتَّاب الأدباء «الغزالى» ومن رجال الحزب الوطني إبان نهضته الأولى، وكان من رجال الأحرار الدستوريين، وهو اليوم مستقل. وهذا فؤاد أباظة بك المدير العام للجمعية الزراعية وروح البعثة المصرية للسودان ومنظم المعارض وعضو في أكثر من عشرين شركة وهيئة وجمعية. وهذا الأستاذ عبد الله فكري أباظة مدير شركتي الحليج والملاحة ببنك مصر ورئيس نادي التجارة العليا ومنشئ الشركات الاقتصادية واليد العاملة في كل عمل عام. وقبل هؤلاء جميعًا كان عبد الحميد أباظة بك مدير الجمعية الزراعية، عمل في تأسيسها وحياتها. وغيرهم في الطب والزراعة والهندسة والكهرباء والمحاماة والتجارة والتعليم؛ بحيث كان متخرجو الأسرة وحملة الشهادات ممن ملأوا مقاعد الحكومة والحياة الحرة من زمن طويل بمحصول وافر يتزايد عامًا بعد عام …

عدد أفراد الأسرة

أُجري إحصاء لهم فبلغ ثمانية آلاف نفس. ولهم أقارب في الشام وفلسطين والحجاز واليمن، وهي بلا جدال أكبر الأسر المصرية في وحدتها وعدد أفرادها.



أعضاء البعثة على سطح الباخرة بالبحر الأحمر بعد سفرها من السويس إلى بور سودان، ويُرى من اليسار: محمد حسين الرشيدي. عبد الله حسين. فخري الزق. علي شكري خميس. رشوان محفوظ باشا. عبد الحميد فتحي بك. عبد المجيد الرمالي. فؤاد أباظة بك. محمد حسن قاسم.

فؤاد أباظة بك — ترجمة حياته

هو فؤاد أباظة بن حسين أباظة بك بن السيد أباظة باشا، ولد ببلدة كفر أبو شحاتة مركز منيا القمح بمديرية الشرقية في ٢٣ يوليو سنة ١٨٩٠، وحصل على الشهادة الابتدائية من مدرسة النحاسين سنة ١٩٠٣، وشهادة البكالوريا من المدرسة الخديوية سنة ١٩٠٦، ودبلوم مدرسة الزراعة بالجيزة سنة ١٩٠٩، وأُلحق بخدمة الجمعية الزراعية الخديوية (يومئذ) في ١٥ يوليو ١٩٠٩، وكان رئيسها سمو الأمير حسين كامل،



وتقلب في وظائفها وعُيِّن مساعدًا بفرع الجمعية بمديرية الشرقية في أول نوفمبر في السنة نفسها، ثم سكرتيرًا زراعيًّا لمديرية الجيزة في أول مايو سنة ١٩١٠، ثم كبيرًا للمفتشين في أول يونية ١٩١١، ثم رئيسًا لقسم التجارة في أول مايو ١٩١٢، ثم سكرتيرًا عامًّا للجمعية الزراعية في ٢٢ يونية سنة ١٩١٤، ثم مديرًا للجمعية الزراعية في سنة ١٩٢٣، ومديرًا عامًّا سنة ١٩٣٥. وكانت تسمى الجمعية الزراعية الخديوية منذ تأسيسها في سنة ١٨٩٨ حتي سنة ١٩١٧، حيث سُمِّيت الجمعية الزراعية السلطانية. وفي سنة ١٩٢٣ سميت الجمعية الزراعية الملكية.

وعندما تولى المغفور له السلطان حسين مؤسس الجمعية ورئيسها الأول عرش السلطنة في ديسمبر سنة ١٩١٤، خلفه نجله في رياسة الجمعية المغفور له الأمير كمال الدين حسين، ولما تُوفي إلى رحمة الله في ٦ أغسطس ١٩٣٢ خلفه في رياسة الجمعية حضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون، وكان سموه وكيلها الأول منذ تأسيسها.

وفي سنة ١٩١١ انتدب «دولة الأمير حسين كامل» فؤاد أباظة أفندي بالاشتراك مع «دولة الأمير أحمد فؤاد»، وهو جلالة الملك بعد ذلك، للسفر للصومال الإيطالي لبحث الأحوال الزراعية هناك واحتمالات زراعة القطن على جوانب نهر ألوبي شبالي، وعند عودته لمصر زار مصوع وأسمرا بالإريتريا، وبور سودان وعطبرة والخرطوم وأم درمان بالسودان. وهذا ما دعاه إلى القيام برحلة بالطائرة في ٧ يناير سنة ١٩٣٤ إلى بحيرة فيكتوريا ومنابع النيل، ثم التجوال في أوغندا وكينيا ومقديشو عاصمة الصومال الطلياني حتى نهر ألوبي شبالي، ثم الإريتريا والسودان للمرة الثانية، حيث شاهد أعمال بناء خزان جبل الأولياء، وزار منطقة زراعة القطن بالجزيرة وخزان أصوان، وكل ذلك لجمع مشاهدات عن زراعة القطن في وادي النيل، حيث قدم مذكرته عن رحلته هذه للجنة القطن الدولية المشتركة المنعقدة بالقاهرة في ١٧ و١٨ و١٩ فبراير سنة ١٩٣٤.

وكانت من نتائج رحلته الثانية إلى السودان وأعالي النيل أن تمت رحلة البعثة المصرية للسودان في ٢٤ فبراير سنة ١٩٣٥، وكان نجاحها فوق كل تقدير.

وقد أنعم السلطان حسين كامل على فؤاد بك بالبكوية من الدرجة الثانية في ديسمبر سنة ١٩١٦، وأنعم حضرة صاحب الجلالة الملك أحمد فؤاد عليه بالبكوية من الدرجة الأولى في مايو سنة ١٩٢٦ على أثر إقامة الجمعية الزراعية الملكية للمعرض الزراعي الصناعي في أوائل سنة ١٩٢٦، وبنيشان إسماعيل من الطبقة الثالثة سنة ١٩٣١ على أثر إقامة المعرض الزراعي الصناعي في أوائل تلك السنة، وكان فؤاد بك مديرًا للمعرض.

ومنحت الجمهورية الفرنساوية فؤاد بك نيشان الليجون دونير سنة ١٩٢٩؛ اعترافًا بجهوده في إقامة المعرض الفرنسي بالقاهرة في تلك السنة.

وعُرِف فؤاد بك من حداثة سنه بروحه الرياضية. ويضيق المكان عن تعداد أعماله في الأوساط والهيئات والأندية الرياضية.

كما أنه عُرِف شغوفًا بالأسفار؛ فبينما تراه في القاهرة إذا به بالإسكندرية، وإذا به في روما، ثم تسمع به فجأة في السودان أو في عدن، وتسمع أنه في مجاهل إفريقية. وهو ديموقراطي وصريح وواقف على أصول الإتيكيت، وهو صحفي بروحه وبتحريره مجلة الفلاح. وقد زار النرويج والسويد والشام وإستامبول.

وقد حضر مؤتمرات كثيرة بالخارج وفي القاهرة، وبذلك أصبحت روحه دولية، مما أفاده كثيرًا في حياته العملية وإدارته لشئون الجمعية الزراعية الملكية. وله أصدقاء كثيرون من جميع الطوائف والبلاد.

وقد تزوج فؤاد أباظة بك في ٢٠ يناير سنة ١٩١٦ من ابنة خاله المرحوم محمد فخر الدين بك، فأنجب قدري أباظة في ٢٣ يوليو سنة ١٩١٧، ويسري أباظة في ٢٩ أبريل سنة ١٩١٩.

الأستاذ فكري أباظة المحامي والصحفي



محمد فكري أباظة المحامي ورئيس تحرير المصور.

هو زميلنا الكاتب المتفنن المبدع، صاحب القفشات، ومسدد الوخزات، ومبتكر الأسلوب الخاص الرقيق. وهو الخطيب المتحمس، والمنافح المتنمر، الهادئ في ثورته، الثائر في سكينته، وهو مع هذا محبوب من الجميع لأدبه ووفائه لأصدقائه من جميع

النحل والمذاهب حتى لا يكاد الناس يعرفون أنه من رجال الحزب الوطني أو أنه شقيق فؤاد أباظة بك.

عبد الحميد أباظة بك

المدير السابق للجمعية الزراعية الملكية، وكان في البعثة يمثل خريجي الزراعة. رجل كريم، ديموقراطي في أوسع معاني الديموقراطية «البلدية!» وهو من القائلين: اصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب. حركة واسعة. كان وكيلًا للملك الشريف حسين ولغيره من أمراء مكة وأشرافها، وبالرغم من مجتمعاته وجولاته، فهو يعشق المعيشة القروية ويحب الفلاحين، محب للأسفار الفجائية غير الانتظارية، يظهر فجأة ويختفي فجأة!



عبد الحميد أباظة بك.

عبد الحميد بك فتحي

ولد في بلدة ههيا شرقية في ١٢ جمادى الأولى سنة ١٢٧٦ هجرية الموافق ٢٠ أغسطس سنة ١٨٦٩.



عبد الحميد بك فتحي.

أتم الدراسة الابتدائية بمدرسة عابدين والقربية، والدراسة الثانوية بمدرسة الخديوية سنة ١٨٨٩، وفي هذه السنة افتتحت مدرسة الزراعة بالجيزة فالتحق بها في سنة ١٨٩٤. نال دبلوم المدرسة وعُيِّن مساعد مدرس بها. وفي سنة ١٩٠٩ عين وكيلًا للمدرسة، وفي أول أبريل سنة ١٩١٥ عين مديرًا للتعليم الزراعي بوزارة الزراعة «يومئذ»، ثم أضيفت إليه أعمال وكالة مدرسة الزراعة بالجيزة علاوة على وظيفة مدير التعليم الزراعي في نوفمبر سنة ١٩١٥، ثم عُيِّن ناظرًا لمدرسة الزراعة العليا بالجيزة سنة ١٩٢٤، وهو أول ناظر مصري عُيِّن لها، وقد أُنعم عليه بجملة رتب؛ أعلاها رتبة البكوية من الدرجة الأولى، ونيشان النيل الرابع.

ثم أحيل إلى المعاش في أغسطس سنة ١٩٣٠، وهو الآن عضو مجلس إدارة الجمعية الزراعية الملكية، وعضو مجلس إدارة مدرسة الطب البيطري، وعضو اللجنة الإدارية لجمعية خريجي مدرسة الزراعة بالجيزة.

ألفونس جريس بك

تلقاه فتشعر بأنه رجل وقور، وتظنه من رجال القضاء، وهو زراعي فني ذو رأي صائب، كان مديرًا لقسم المباحث الزراعية بوزارة الزراعة، وهو عضو بمجلس إدارة الجمعية الزراعية.



الدكتور إبراهيم الشوربجي بك عن يمينه الشيخ البربر.

من خريجي الطب المصرية وكليات الطب بإنجلترا وإرلندا. متخصص في أمراض النساء، كبير أطباء السكة الحديد وطبيب الجمعية الزراعية الملكية، ذكاؤه لامع، ومجتمعاته محبوبة، حلَّال المعضلات، شديد التوافي لأصدقائه، يؤثر البساطة والقصد في الحديث مع الروية، طبيب مطمئن لا مهوش!

الفصل الرابع

النشاط الاقتصادي

(١) النقابة الزراعية المصرية العامة

أُسست في سنة ١٩٢١ بحضور جمهور كبير اجتمعوا للدفاع عن مصالح الزرَّاع، وانتُخب حضرات أعضاء مجلس إدارتها من بينهم.

وهذه خلاصة صغيرة جدًّا من أعمالها التي تملأ القرارات الصادرة منها بعد البحث المستفيض، مجلَّدين كبيرين، وتملأ تفاصيل تلك الأعمال مجلدات كثيرة موجودة في محفوظاتها، إذ كان يستغرق البحث في كل موضوع من المواضيع التي اهتمت بها اجتماعات كثيرة، ويشتمل على ما يصعب إحصاؤه من المطالعات والمراجعات والمداولات.

وقد أوجدت النقابة منذ تأسيسها روح الكفاح عند الشعب عن قطنه وسائر محصولاته، تفاديًا من أن تُباع سلعه بخسة، واستخدمت لذلك تارة طريقة الوساطة لدى الحكومة في تبيين مواضع العلل لتداركها، وتارة طريقة النصح للزرَّاع والدلالة على وجوه الصواب مما فيه جلب خير لهم أو درء شر عنهم.

كان أول عملها في سنة ٢٠–١٩٢١ أنها توصلت بمداولاتها ومساعيها لدى الحكومة إلى أهم الأمور الآتية؛ وهي: إقرار تكليف البنك الزراعي فتح أبواب التسليف لصغار الفلاحين من غير إخلال بقانون الخمسة الأفدنة، والإيعاز إلى البنك الأهلي بإقراض كبار الزراع بضمان الخزينة، على أن لا يضطرهم إلى بيع أقطانهم، ودخول الحكومة سوق القطن شاريةً في داخلية البلاد وفي ميناء البصل، ووقف إنفاذ قانون الحلج قبل ٣٠ أبريل مؤقتًا. فكان من أثر هذه القرارات نهوض سعر القطن من ١٨ ريالًا إلى ٢٨ فما فوق، وإنقاذ البلاد من كارثة اقتصادية كانت شديدة التهديد لها.

وما زالت منذ عشر سنين توالي مباحثها في أسعار القطن يومًا بيوم ولا تنقطع عن الاتصال بالحكومة لإبلاغها كل ما يطرأ من الأمور الموجبة لاتخاذ الحيطة أو دفع

المحذورات، وهي تدعو كلما أنذرت الحالة بخطر إلى اجتماع عام كبير للزرَّاع. وقد بلغت هذه الاجتماعات العامة أربعة، فكان الذين يشهدونها ينظرون في الوسائل التي تتفادى منها الأزمات، وتُرفع نتائج قراراتهم وأمانيهم إلى الحكومة، وتُنشر في الصحف على أثر كل اجتماع.

وقد مثلت النقابة مصر حكومةً وشعبًا في المؤتمر القطني العالمي الذي عُقد في مانشستر وليفربول بين ١٣ و٢١ يونية من سنة ١٩٢١، حيث ناب عن وزارة الزراعة وعن النقابة عضوان من مجلس إدارتها في حضور ذلك المؤتمر، وأسمعا الغزَّالين لأول مرة صوت مصر ومطالبها ودلَّا على وسائل حسن التفاهم بين المنتجين المصريين والغزَّالين، وهي التي قامت بقسم ذي بال في أعمال المؤتمر القطني العالمي الذي عُقد في القاهرة سنة ١٩٢٧ والمؤتمر القطني العالمي الذي عُقد في برشلونة سنة ١٩٣٠. ومن أعضائها من يعمل بكل جد ومثابرة في لجنة القطن الدولية المختلطة التي ألفها اتفاق الرأي في المؤتمر لدراسة كل حالة تُوطد بها الصلات وتُزال منها وجوه الخلاف بين المنتجين والغزَّالين.

النقابة ناضلت في مسألة التنافس على شحن القطن المصري سنة ١٩٢٠ وسنة ١٩٢١ نضالًا مشهودًا، كان من نتيجته هبوط أجر القطن المشحون من ٦٠ شلنًا لأمريكا إلى ٣٥ شلنًا لإنجلترا و٤٠ شلنًا لأمريكا.

النقابة والت مساعيها لتقليل الوسطاء بين منتجي القطن وغزَّاليه، فلم تظفر بتحقيقه مباشرة، ولكنها فازت فوزًا كبيرًا من طريق آخر برد الأرباح الطائلة التي كان يغنمها الوسطاء إلى أرباح معتدلة. ومن هذا القبيل نذكر أهم وسيلة استخدمتها وهي الآتية:

النقابة درست أحوال بورصة العقود وأحوال بورصة البضائع، وتباحثت فيه سنوات كثيرة في عشرات من الجلسات، وقدمت عنها مذكرات ضخمة وافية للحكومة، وظلت تتعقب أنواع الحيف الواقعة فيها على المنتج حتى أفضت إلى إقناع ولاة الأمور بضرورة تعديل لائحتي البورصتين المذكورتين، وفي خلال العمل على تعديلهما كانت النقابة توالي معاونة الحكومة في دراسة تلك المواضيع من وجهاتها العلمية والعملية الدقيقة، وتدل على مظنات الخطر حتي يسَّر الله تحقيق تلك الأمنية بعد العناء الذي لم ينقطع مدة العشر سنوات.

النقابة سعت مساعي متكررة، بعد تقديمها مباحث ومذكرات متعددة، لتعين مندوبًا للحكومة في بورصة ميناء البصل، وقد تقرر وعُيِّن في النهاية. وأهمية هذه الرقابة لمصلحة المنتجين لاتخفى.

النقابة سعت وكررت القرارات والالتماسات في تخفيض أجور النقل بالسكة الحديدية على المنتجات الزراعية، وقد تحقق جانب مهم من أمانيها.

النقابة بدأت المباحث في مسألة نقاوة بذرة القطن، فلما اقتنعت بها وزارة الزراعة وشرعت في الأخذ بها. كان لمندوبي النقابة عمل متصل جليل الأثر فيما أعدت لذلك من القوانين التي يجني القطر الآن فوائد جمة منها.

النقابة سعت لخفض السعر المقرر للحليج بعد أن كان قد جاوز في الغلاء حد المعقول منذ سنة ١٩٢١، فاستمعت لها المحالج الوطنية آنئذ وأنزلت السعر إلى نصف ما كان عليه، وقد ظلت النقابة عامًا بعد عام تكرر مجهودها لذلك كلما آنست مسوِّغًا.

النقابة بذلت أكبر مجهود عندما شُرع في فرض الضريبة الأمريكية على القطن الطويل الشعرة، وقدرها سبعة دولارات على القنطار لتحول دون إقرار تلك الضريبة، فاجتمعت بحضرات ممثلي الولايات المتحدة في القطر وأدلت لديهم بحججها، وبعثت بالبرقيات الكثيرة الكلفة وبالتقارير الوافية والبيانات إلى الصحف الكبرى والغرفة التجارية العليا في واشنطن، وإلى رياسة اللجنة المالية بمجلس شيوخ الولايات المتحدة، وإلى جميع الغزَّالين الأمريكيين الذين يشتغلون في القطن المصري، وكان من حسن الطالع أن عُدل عن تلك الضريبة في المرة الأولى.

فلما فكرت فيها حكومة الولايات المتحدة للمرة الثانية منذ عامين، بذلت النقابة مجهودًا كالأول لإقناعها بالإقلاع عنها، وتوسلت لحكومتنا المصرية التي فعلت ما في وسعها لدرء ذلك الحيف، وما زالت تعمل له.

النقابة كررت مساعيها لدى الحكومة بعد هبوط سعر القطن إلى إلغاء ضريبة الخمسة والثلاثين قرشًا التي فُرضت على كل قنطار يُباع من القطن المصري، وقد فازت على توالي السنين بتخفيض بعد آخر في تلك الضريبة، فأصبحت عشرة قروش في هذا العام ثم أُلغيت.

النقابة هي التي بمباحثها وتكرار مساعيها أقنعت الحكومة بضرورة إلغاء البيع تحت القطع، فوضعت لذلك مشروع مرسوم، ولكن محكمة الاستئناف المختلطة عاقت صدوره إلى الآن مع ما له من النفع العظيم للمنتجين.

النقابة بدأت منذ تأسيسها المباحث والمساعي لتقرير التسليف الزراعي، وقد وافقتها عليه الحكومة المرة بعد المرة حتى انتهت إلى تأسيس البنك الذي خصته بهذا العمل، وكم من اقتراح مُفصَّل رفعته إليها النقابة لتحقيقه.

النقابة آزرت بمباحثها ومساعيها زرَّاع قصب السكر تارة وزرَّاع البصل طورًا، بما يتسنى معه تحسين حالهم لضمان تنويع الزراعة في القطر بما في الوسع.

النقابة عملت غير مرة مع منتجي الغلال، وعاونتهم ما تستطيع على التماس إقرار الحماية الضرورية لهذه المحصولات في البلاد، وقدمت في ذلك المذكرات والبيانات المقنعة، وآخر ما رفعته منها وباحثت أولي الأمر فيه كان في الأشهر الثلاثة الأخيرة.

النقابة طالبت منذ عام ١٩٢٢ بإنشاء الجمعيات التعاونية وبينت في مذكرات مفصلة فوائدها إلى أن شُرع في تأسيسها.

النقابة رفعت الاقتراحات المتعددة في التماس المؤازرة على تأسيس مغازل القطن وتبين وجوه منافعها للبلاد مما بدأ يتحقق عمليًّا في هذا العام على مد الشركة التي وُفِّق بنك مصر إلى تأليفها والمصنع الذي أقامه في المحلة الكبرى.

النقابة بحثت وناضلت سنين متوالية في مشكلة الرطوبة القطنية إلى أن حُلَّت أخيرًا.

النقابة التمست المرة بعد المرة تحديد الزمام القطني حين قضت به ضرورة الدفاع عن سعر المحصول، وقد قدمت في ذلك مذكرات متضمنة صنوف البيانات المقنعة.

النقابة رفعت إلى الحكومة في السنتين الأخيرتين ما أفضت إليه مباحث أعضائها والزرَّاع الذين لبوا دعوتها من الوسائل المقترحة لتخفيف ويلات الكارثة الاقتصادية الحاضرة، وقد شهدت بارتياح موافقة الحكومة على معظمها.

النقابة عملت على استصدار قانون بمنع خلط القطن في داخلية البلاد، وبعد أن تبينت عدم كفايته لما علمته من مندوبيها المتصلين بالغزَّالين اقترحت استصدار قانون آخر بمنع خلط القطن في المكابس، وكررت فيه مساعيها، وما زالت على أمل بإنفاذه ولو عاقته محكمة الاستئناف المختلطة إلى الآن.

النقابة اقترحت كبس القطن المخزون لدى الحكومة كبسًا بخاريًّا لصونه من التلف وتقليل نفقاته. وقد أجابت إليه وزارة المالية.

النقابة بدأت منذ سنة ١٩٢٣ في الدعوة لإنشاء بورصة الغلال، وقد أخذت أمنيتها تتحقق، وستُفتح هذه البورصة في ١٥ مايو المقبل.

النقابة بدأت منذ سنة ١٩٢٤ مباحثها في حقيقة مركز القطن السكلاريدس لدى عالَمي الصناعة والتجارة، وفيما ينبغي لمصر أن تعتمد عليه من جهة هذا الصنف الممتاز، واستحضرت إذ ذاك بيانًا لجميع المنتجات الصناعية التي يدخل فيها، كما أن النقابة هي التي نبهت الحكومة والزُرَّاع في العام الماضي إلى ما طرأ من قلة الطلب على الأقطان الجيدة، وكررت الرجاء أن تستخدم الحكومة وسائلها في الخارج لتبين حقيقة هذه الحالة ومعرفة المقدار الذي تستطيع زراعته من هذه الأصناف، حتى لا يجني محصولنا على السعر بزيادة المعروض منه على المطلوب.

النقابة التمست تعيين مندوبين تجاريين لدى ممثلي مصر في الخارج، فلما آنست من الحكومة أن صعوبةً تحُول دون ذلك التمست تعيين مندوبين؛ أحدهما في المفوضية المصرية بلندن، والثاني في مفوضية واشنطن، وقد بينت الأسباب المتعددة التي تدعو إلى هذا التعيين، والفوائد التي تترتب عليه لمصلحة محصولات القطن في أسعارها وفي رواجها.

النقابة اقترحت عدم مجاوزة سعر القطن صعودًا أو هبوطًا ريالين في الجلسة الواحدة، وذلك منذ سنة ١٩٢٥، وقد أخذت به وزارة المالية.

النقابة اقترحت إنشاء المصارف والصناديق القروية لتسهيل التسليف الزراعي، وهو ما يعمل على إنفاذه اليوم في صورة أخرى باعتبار تلك الصناديق فروعًا لبنك التسليف الزراعي.

النقابة بحثت في رخص الآلات الرافعة من حيث اعتبار الحكومة إياها شخصية لا عينية، وأبانت أن اعتبارها عينية أيسر لمصلحة المالك وأعدل من جانب الحكومة مع عدم المساس بأية مصلحة من مصالحها.

النقابة بحثت مرارًا في شئون الصرف والري، وقدمت في ذلك اقتراحات متعددة، وهي الآن توالي البحث من جهة الصرف على وجه خاص؛ لأنه لم يتيسر له من وسائل التحسين والإصلاح ما هو جدير به بعد التوسع في أعمال الري الكبرى.

النقابة توالي العمل كل سنة لإخراج تقدير للمحصول القطني بجانب التقدير الرسمي وغيره مما تصدره الهيئات التجارية، وذلك لتضرب بسهم في تقريب الإحصاء إلى الحقيقة جهد المستطاع.

النقابة التمست وألَحَّت في إنشاء مكتب خاص للقطن، وتعيين خبراء فيه من النخبة المدربين الذين يعوَّل على آرائهم في عالم المشتغلين بمزاولات القطن، وقد حققت المالية جانبًا من هذا الاقتراح.

النقابة اتصلت بغزَّالي فرنسا عام ١٩٢٥ وغزَّالي إنجلترا بعدهم، وطرحت عليهم أسئلة لتعرف بها آراءهم في تصريف القطن المصري وتبين هل لهم شكايات مما يصدَّر منه إليهم؛ لإزالة أسبابها وتسهيل السبيل لاتساع نطاق التصدير وتسهيل إقبال الغزَّالين على القطن المصري، وقد تلقت أجوبتهم وعرضتها على أولي الشأن، وكان منها إصلاح كبير في تفادي وجود المواد الغريبة في القطن، وتنوير ما كان غامضًا من جوانب التصدير.

النقابة اتصلت بالوفد التجاري الأمريكي الذي حضر في عام ١٩٢٥ واستفادت من مداولاتها من أشياء تعود بالنفع على المنتجين المصريين ونشرتها في حينها. وكذلك اتصلت بالبعثة التجارية البريطانية التي جاءت فيما مضى، وجرت بين الفريقين مبادلة في الآراء أُذيعت في الصحف أيضًا.

النقابة ناضلت في مسألة الفليارات وسوء استعمالها للضغط على السوق أحيانًا، وجاهدت في منع تسليم القطن القديم فليارات منذ عامين؛ للتخفيف عن السوق وصيانة حقوق المنتجين.

النقابة سعت لتعيين الفرَّازين الرسميين بميناء البصل منعًا للحيف الذي كان يقع على المنتجين المصريين.

النقابة ممثلة من اللجان الحكومية في المجلس الاقتصادي والمجلس الاستشاري الزراعي ولجنة القطن الدولية ومجلس التعاون الأعلى، وقد مثِّلت في لجان أخرى حكومية؛ منها اللجنة التي تشرف على أعمال شراء القطن، ومنها اللجنة التي ألفتها وزارة الزراعة حين قررت تحسين بذرة التقاوي ووضعت لها القوانين الجديدة.

النقابة أصبحت معروفة في أمريكا وأوروبا ومعظم هيئاتها الاقتصادية. بدأت تخاطبها منذ سنة ١٩٢١، وما زالت تخاطبها العام بعد العام فيما يتعلق بالشئون الاقتصادية المصرية.

ولدى النقابة مجلدان لمحاضرها، ومجلدان نقلت إليهما مذكراتها واقتراحاتها؛ ما رُفع منها إلى الحكومة وما نُشر لاطلاع الجمهور عليه، وفي عزمها أن تطبع مجموعة أعمالها في خلال هذا العام إن شاء الله.

النقابة بذلت في السنتين الأخيرتين مجهودات متواصلة حتى أقنعت الحكومة بالتجاوز عن مليوني جنيه من الضرائب للزراع، وأقنعتها بالتنازل عن ضريبة القطن وقدرها عشرة قروش، وأقنعتها بتسوية الديون العقارية للمرة الأولى وهي الوقتية،

وللمرة الثانية وهي التي أُنجز منها الاتفاق مع بنك الموركدج والبنك العقاري المصري، ويعمل لإنجازه مع بنك الأراضي وصندوق الرهنيات العقارية ومع أصحاب التسجيلات الثانية.

(١-١) الدكتور يوسف نحاس بك



الدكتور يوسف نحاس بك.

سكرتير عام النقابة الزراعية. زارع قمح، واقتصادي مطلع، وباحث. عضو في لجنة القطن الدولية والمجلس الاقتصادي وفي لجان وجمعيات كثيرة، وآخر ذلك البعثة الاقتصادية في السودان ثم في لندن، وهو من الذين عرفتهم فأحببتهم. في حديثه جاذبية، وهو قوي الحجة، محب للسلام والتوفيق، وكم وفَّق بين الوزراء إذ كانوا مختلفين!

(١-٢) المهندس مصطفى نصرت

ولد مصطفى نصرت بالقاهرة في ٢ فبراير سنة ١٨٩٤، وترك مصطفى نصرت في سنة ١٩٠٨ المدرسة السعيدية وسافر إلى جلاسجو والتحق بجامعتها في سنة ١٩٠٩ بمدرسة الهندسة المدنية، وفي شهر مارس سنة ١٩١٣ تخرج من الجامعة بعد أن نال درجة B. S. C. في فن الهندسة مع لقب شرف، ثم التحق بشركة درايزديل وشركاه Drys dale & CO للأعمال الهندسية بجلاسجو، حيث اشتغل مدة سنة كمهندس، وبعدها عرضت عليه الحكومة العثمانية أن يشتغل في مصلحة الري بالعراق كمهندس، فقبل وذهب إلى بغداد في شهر يونية سنة ١٩١٤، وهناك اشتغل في مشروعات الري؛ وأهمها قناطر الهندية التي كانت الحكومة قائمة ببنائها بواسطة شركة جاكسون وزملائه المقاولين المشهورين الذين قاموا ببناء قناطر نجع حمادي. وعند نشوب الحرب بين الحكومة العثمانية وإنجلترا في فبراير سنة ١٩١٤ انسحب الإنجليز من العراق وباشرت الحكومة العثمانية تنفيذ مشروعات الري هناك بواسطة مهندسيها، وكان مصطفى نصرت من القائمين بذلك.

وفي سنة ١٩١٦ عُين مصطفى نصرت مهندسًا مقيمًا لقناطر الهندية على نهر الفرات. وفي الوقت نفسه كُلِّف بإصلاح أساس القناطر المذكورة الذي كان قد اختل اختلالًا يخشى سقوطها في أي لحظة، وكان السبب في هذا الخلل غلطات فنية وقعت في أثناء بنائها. وفي الوقت نفسه عزمت قبائل العرب هناك على أن تقاوم الإصلاح وتمنع العمل بالقوة؛ لأن عملية الإصلاح تمنع المياه من الوصول إليهم لري أطيانهم، فوصلت للحكومة أخبار هذا الاتفاق فأطلعت مصطفى نصرت عليه نظرًا لخبرته بأحوالهم، وكان القرار الذي صدر هو أن يقوم مصطفى نصرت بهذه العملية بالرغم من تهديد العرب على شرط إعطائه القوة المسلحة الكافية للمحافظة على القناطر، ووضع هذه القوة تحت أمره مباشرة فذهب على رأس هذه القوة المسلحة لقناطر الهندية، وقام بعملية الإصلاح خير قيام، وفي أثناء العمل قامت ثورة في البلاد المحيطة بالقناطر؛ مثل كربلة والحلة وبلدة الهندية، فانقطعت المواصلات بينه وبين الحكومة العثمانية، ولكنه قاوم العرب هناك، ومنع امتداد الثورة لقناطر الهندية؛ تارة بالسياسة وتارة بالتهديد وتارة بمحاربتهم حتى تم الإصلاح والترميم.



المهندس مصطفى نصرت.

وبعد ذلك أرسلت الحكومة العثمانية قوة عسكرية لتأديب الثوار مكونة من ٦٠٠٠ عسكري، وبطارية مدافع سريعة الطلق، وطابور متراليوز وطيارتين، فقامت هذه القوة وعلى رأسها عاكف باشا القائد السواري المشهور، وكانت الخطة المرسومة لها أن تفتح الطريق لقناطر الهندية أولًا، وفعلًا وصلت للقناطر وتقابل قوادها مع مصطفى نصرت وهنأوه على العمل الجليل الذي قام به وقت أن كانت الحكومة العثمانية لا نفوذ لها في هذه الجهة، ثم زحفت القوة العسكرية هذه على بلدة الحلة حيث نكلت بالثوار وفتحت البلد، وحاكمت العصاة أمام المحاكم العسكرية وحكمت على ١٣٦ شخصًا بالإعدام ونُفِّذ الحكم.

بعد ذلك نُدب مصطفى نصرت مهندسًا لقيادة الجيش العثماني السادس المعسكر في العراق علاوة على وظيفته الأصلية، وهو مهندس مقيم لقناطر الهندية، فقام بتأدية وظيفتيه خير قيام مما استأهل به الإنعام عليه بميدالية الحرب العثمانية في سنة ١٩١٧.

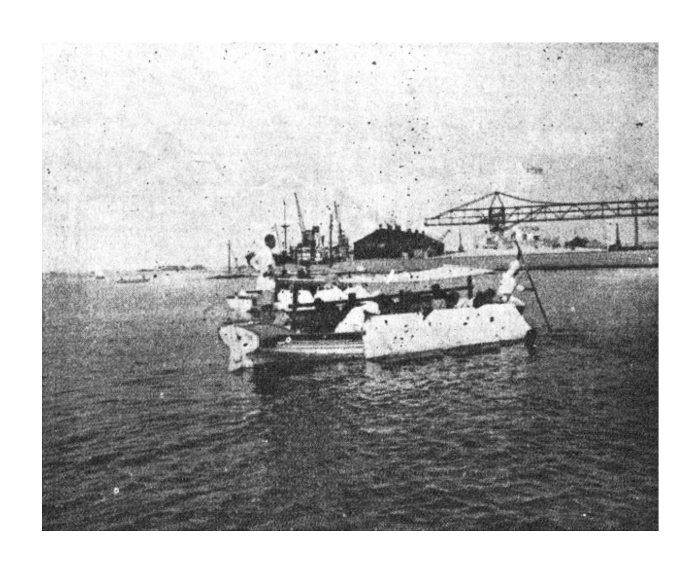
وبعد سقوط بغداد في مارس سنة ١٩١٧ في يد الإنجليز تقهقر الجيش العثماني إلى الموصل، ولحق به مصطفى نصرت الذي عُهِد إليه بدراسة مشروعات الري بولاية بورسة في الأناضول، ثم عُيِّن للقيام بعمل مشروعات ري ولاية أطنة في الأناضول أيضًا، وقبل تمامها عُيِّن في سنة ١٩١٨ مساعد باشمهندس ولاية قونية، ومكث بها لغاية ١٩٢٠، حيث صُرح له بدخول مصر، واستقال من وظيفته وجاء مصر، ومن يومئذ التاريخ لم يدخل وظيفة حكومية، بل باشر أعماله الخصوصية فقط.

(١-٣) السيد أحمد أبو الفضل



السيد أحمد أبو الفضل الجيزاوي.

كان من رجال الإدارة مأمورًا للجيزة والزقازيق، واعتزل الإدارة، وانتُخب شيخًا في مجلس الشيوخ عن الجيزة سنة ١٩٣٠. نجل فضيلة الأستاذ الأكبر المغفور له الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوي. مهذب، يتخير أصدقاءه، وهو تقي مؤمن.



في ميناء بور سودان القارب الذي استقله الأعضاء حيث شاهدوا من سطح صندوقه الزجاجي صخور البحر العجيبة.

(٢) وزارة التجارة والصناعة

كانت مصلحة أُنشئت في أبريل سنة ١٩٢٠ بناء على اقتراح لجنة التجارة والصناعة المُشكَّلة بقرار من مجلس الوزراء الصادر في ٨ مارس سنة ١٩١٦، وأُلحقت بوزارة المالية، ومهمتها إنشاء نظام دائم لتنشيط التجارة والصناعة في مصر وترقيتها.

وكان بالمصلحة معرض للنماذج به طرائف فاخرة من قطع الأثاث المستوردة من أشهر مصانع العالم، وفيه موظف مصري خبير في الأثاث، وآخر أجنبي خبير بتصميمه لإرشاد الجمهور والصناع. كذلك به حجرة للرسم لمن يشاء من أرباب الصناعة، وهو مفتوح للجمهور أيام الأسبوع ما عدا المواسم والأعياد.

وقد أصبحت المصلحة في هذا العام وزارة بمرسوم ملكي، ووزيرها الحالي سعادة أحمد نجيب الهلالي بك وزير المعارف أيضًا، وهو أول وزير لها، وقد عُين لها خبير فني إنجليزي يقوم الآن بتنظيمها.

(٢-١) المجلس الاستشاري للتجارة والصناعة

أُنشيء هذا المجلس بقرار أصدره وزير المالية في ٣ نوفمبر سنة ١٩٢٩ مكونًا من: وكيل وزارة المالية ... رئيسًا.

المستشار الملكي لوزارة المالية. جناب المستر أ س بارنس رئيس مجلس إدارة فرع بنك باركليز بالإسكندرية، مدير عام مصلحة الأملاك الأميرية، وهنري نوس بك المدير العام لشركة السكر، ومدير عام مصلحة التجارة والصناعة، ومراقب التعليم الفني والصناعي بوزارة المعارف ومراقب مصلحة المناجم، ومندوب يمثل الغرفة التجارية المصرية بالقاهرة، ومندوب يمثل الغرفة التجارية المصرية بالإسكندرية. أعضاء.

(٢-٢) أقسام الوزارة

وتنقسم الوزارة إلى فرعين رئيسيين: أحدهما الفرع الاقتصادي والإداري والتجاري، والآخر الفرع الصناعي.

وينقسم الفرع الاقتصادي والإداري والتجاري إلى الأقسام الآتية:

(١) قسم المباحث.
(٢) الإحصاء.
(٣) التشريع التجاري.
(٤) النقل والتعاريف.
(٥) الغرف التجارية.
(٦) المخابرات التجارية.
(٧) المشتريات.
(٨) قسم المعارض.
(٩) النشر والترجمة.
(١٠) المكتبة.
(١١) الحسابات والمستخدمين.
(١٢) المحفوظات.
(١٣) السواحل وأسواق الغلال: في أثر النبي والجيزة وروض الفرج وغمرة وبولاق والإسكندرية ورشيد.

وينقسم الفرع الصناعي إلى الأقسام الآتية:

(١) قسم الجلود والدباغة.
(٢) الصباغة.
(٣) الغزل والنسج.
(٤) قسم الاقتصاد الزراعي.
(٥) الصناعات الكيماوية.
(٦) قسم المباحث الصناعية.
(٧) الأثاث.
(٨) الصوف والسجاد.
(٩) الزجاج.

ويوجد معمل كيماوي بالوزارة التي تصدر مجلة اسمها «صحيفة التجارة والاقتصاد».

(٢-٣) الغرف التجارية المصرية

الغرض من هذه الهيئات هو حماية مصالح التجار والصناع، والدفاع عن حقوقهم، وإيجاد رأي تجاري عام، وإعداد أداة صالحة لجمع المعلومات والبيانات التي تهم التجارة والصناعة وتبويبها ونشرها، وكان إنشاء أول غرفة تجارية مصرية بمدينة القاهرة عام ١٩١٣ إذ وضع أساسها جماعة من تجار العاصمة؛ على رأسهم المرحوم عبد الغني سليم عبده وعبد الخالق مدكور باشا. ومنذ سنة ١٩٢٠ أخذت تنتشر في هذه البلاد فكرة إنشاء الغرف التجارية؛ إذ تكونت غرف تجارية في معظم مدن القطر، إلا أن تلك الغرف كان يتنازعها عاملان: عامل النجاح، وعامل الفشل، لأسباب كثيرة؛ أهمها: ضعف ماليتها وفقدان روح التعاون بين أعضائها، وعدم وجود رقابة حكومية منظمة عليها لضمان إرشادها ومساعدتها ماديًّا وأدبيًّا، مما كان من أثره ظهور عجزها عن تحقيق الأغراض التي أُنشئت من أجلها.

قانون الغرف التجارية

رأت وزارة التجارة والصناعة ضمانًا لحياة الغرف أن تسنَّ لها قانونًا يتسنى معه أن تكون لهما الشخصية المعنوية، وتحدد به اختصاصاتها، وتنتظم به رقابة الحكومة

عليها، وقد صدر القانون رقم ١٤ لسنة ١٩٣٣ بتاريخ ٢٣ مارس سنة ١٩٣٣ لهذا الغرض، ونصَّت المادة ٣٨ منه على إصدار لائحة عامة للغرف التجارية تبين النظام الداخلي لسير العمل فيها وتنظيم لجانها، وتحدد القواعد الخاصة بماليتها، وبانتخاب أعضاء مجلس إدارتها، ولذلك صدر مرسوم بتاريخ ٣ أغسطس سنة ١٩٣٣ بالموافقة على اللائحة المذكورة.

إعادة تكوين الغرف التجارية

وبمجرد صدور اللائحة العامة للغرف التجارية نشطت المصلحة «الوزارة» في تنفيذ أحكام التشريع الجديد، فعملت على حل الغرف الحالية وإعادة تكوينها.

وطبقًا لأحكام التشريع الجديد، لكل غرفة لائحة داخلية يصدق عليها، وللغرف معارض، وتمنح المصلحة الغرف إعانات سنوية.

أنشئت «غرفة مصر التجارية» في أول يوليو سنة ١٩٢٧، وانتخبت جمعيتها العمومية مجلس إدارة.

ولقد سارت منذ نشأتها سيرًا حثيثًا بفضل مقاصد الأعضاء وتساندهم، وبما كسبته من الثقة لدى الهيئات الرسمية والهيئات الأخرى في مصر وفي الخارج، فأصبح يُرجع إليها في كل أمر يتعلق بالتجارة.

ولم يقف مجهود الغرفة عند هذا الحد، بل رأت أن تخص الصناعة بشيء من عنايتها فافتتحت معرضًا دائمًا للصناعات المحلية دون سواها وبثت لها الدعاية، فقابل الجمهور المصري هذا العمل بالتشجيع، وأقبل على مشترى مصنوعات بلاده إقبالًا ترتب عليه استخدام كثير من الأيدي العاملة وإتقان الصناعات إتقانًا جعل مصر تفاخر بها في المعارض الخارجية. ولقد اشتركت الغرفة اشتراكًا فعليًّا في المعرض العربي بالقدس وفي معرض باري بإيطاليا، وكان لاشتراكها هذا أكبر الأثر في الدعاية لمصر ولمصنوعاتها.

ولقد طالبت الغرفة منذ تكوينها الحكومة بتنظيم الغرف التجارية المصرية والاعتراف بها رسميًّا، وظلت كذلك حتى فازت بأمنيتها وصدر القانون رقم ١٤ لسنة ١٩٣٣ الخاص بالغرف التجارية فحُلَّت بموجبه جميع الغرف وأُعيد تكوينها، وصدر بعد ذلك قرار وزاري رقم ٨١ في ٢ أكتوبر سنة ١٩٣٣ بإنشاء «الغرفة المصرية التجارية للقاهرة»، وهو الاسم الرسمي الذي تحمله غرفة العاصمة، كما حدد هذا

القرار عدد أعضاء مجلس إدارتها فجعلهم ثلاثين عضوًا، وجعل دائرة اختصاصها محافظة القاهرة.

ويتألف المكتب الذي يدير الغرفة من حضرات: يوسف قطاوي باشا رئيسًا، ومحمد حفني الطرزي باشا وعبد الفتاح اللوزي بك وكيلين، والسيد عبد المجيد الرمالي سكرتيرًا، وإبراهيم نصير أفندي أمينًا للصندوق.

الوجيه عبد المجيد الرمالي



الوجيه عبد المجيد الرمالي.

بعد أن تخرج من المدارس رأى والده أن يشركه معه في إدارة مخابزه ومطاحنه، وبعد أن توفي إلى رحمة الله قام بإدارتها، وأنشأ مطحنًا على أحدث طراز، ومصنعًا تُصنع به الحلوى على اختلاف أنواعها، فنالت الرضاء العام وسدت فراغًا كان يشغله الأجانب، وفابريقة لصنع الجيلاتي بأحدث الآلات الأمريكية.

وقد انتُخب من يوم اشتغاله بالتجارة قاضيًا محلفًا بالمحكمة المختلطة، وعضوًا مؤسسًا في جمعية المواساة الإسلامية، وسكرتيرًا عامًّا للغرفة التجارية بالقاهرة من تاريخ إنشاء الغرفة للآن، وعضوًا بمجلس النواب سنتي ١٩٢٧ وسنة ١٩٣٠، ووكيلًا للجنة التنفيذية للجان الوفد بالقاهرة، وسكرتير شرف جمعية اتحاد الصناعات بالقاهرة.

محمد عبد الرحيم سماحة



محمد عبد الرحيم سماحة.

من أسرة سماحة بفارسكور ومصر، وهو تاجر عصامي مجتهد نشيط كثير الطموح كثير الدعاية سيكون له مستقبل رشيد ...

الوجيه علي شكري خميس

وقد نشأ حضرته نشأة تجارية، وقد كان أول من فكَّر في إنشاء غرفة مصرية لتجار الإسكندرية تجمع شتاتهم وتنظم جهودهم وتؤلف منهم جبهة للنهوض بتجارة المصنوعات المصرية.



الوجيه علي شكري خميس.

ففي أمسية من أمسيات سنة ١٩٢٢ اجتمع ببعض أخصائه وبسط لهم مشروعه بتأليف لجنة تحضيرية، فاستجابوا الدعوة ووضعوا أيديهم في يده، ودعوا التجار لعقد اجتماع كان بمثابة جمعية عمومية للغرفة.

وقد مضت اللجنة التحضيرية لهذا قدمًا في سبيلها، فعدت نفسها لجنة تنفيذية وألَّفت من أعضائها مجلسًا لإدارة الغرفة، واستأجرت غرفة متواضعة في ميدان المنشية، وطفقت تباشر فيها عملها وتنشر نشاطها، وواصلت النمو. ويرأسها الآن سعادة أمين يحيى باشا ووكيلها التاجر الكبير الخواجة أسعد باسيلي.

وللغرفة الآن عمارة من أجمل العمارات في شارع سعيد الأول بالإسكندرية، أما المعرض فهو أول معرض عام دائم أُنشئ للصناعات المحلية في القطر المصري، وعلى

منواله نسجت الغرفة المصرية لتجار القاهرة وغيرهما من المعاهد والهيئات التي عُنيت بعد ذلك بالمعارض الصناعية العامة، وهو في الحقيقة فخر أعمال غرفة الإسكندرية؛ فقد عرَّف الجمهور إلى صنَّاعه، وعرَّف الصنَّاع إلى جمهورهم، وبلغ من نجاحه أن بلغت مبيعاته في السنة الماضية زهاء عشرة آلاف جنيه.

وفي الغرفة قسم للاستعلامات التجارية على أحدث النظم، وقد اشتركت الغرفة في إعداد اللوائح والقوانين المنظمة للأسواق التجارية في الإسكندرية، كما كانت لها اليد الطولى في تنظيم أحوال الطوائف العاملة في التجارة والصناعة والسوابق الطيبة في توثيق العرى التجارية بين الأسواق المصرية والأسواق الخارجية، و«خميس» عضو في المجلس الاقتصادي الأعلى لمصلحة التجارة والصناعة، وعضو في المجلس الحسبي بالإسكندرية، وقاضٍ محلف في المواد الجنائية والتجارية بالمحكمة المختلطة، وعضو في هيئة الاتحاد السكندري، وعضو في جمعية المواساة الخيرية الإسلامية بالإسكندرية.

الشقيقان محمد قاسم وأحمد قاسم

هما نجلا المرحوم حسن أفندي قاسم، كان من كبار تجار مصر والسودان، وكان له جملة أفرع في جميع أنحاء السودان، كما أنه تخرج على يديه كبار التجار الحاليين هناك، وقد ورث الوجيهان محمد وأحمد حسن قاسم التجارة عن والدهما، وقد اتسعت دائرة أعمالهما هناك. وقد أصبح لهما وكلاء في جميع أنحاء أوروبا لتصريف حاصلات السودان من سمسم وصمغ وفول، فضلًا عن تأسيسهما فابريقة بمصر لعمل الحلوى وزيت من سمسم السودان، ولهم مقطوعية عظيمة من هذا الصنف.

هذا فضلًا عن تصدير كثير من البضائع اليابانية إلى السودان. وكانا معنا بالبعثة، وكنا نلاحظ في أثناء مصاحبتنا للأول في جميع أنحاء السودان مقابلته من جميع التجار هناك ومعرفته لهم ومعرفتهم له معرفة تامة، وكان يُقابَل في جميع المحطات بالترحاب والإجلال، وقد كان التاجر المهم في البعثة الذي يشتغل في المحاصيل السودانية، وبفضله وفضل شقيقه الذي انضم إليه في الخرطوم تحسنت أسعار المحاصيل حيث اشتريا كميات وافرة تقدر بعشرين ألف جنيه مصري في برهة وجيزة، وكان لهما في العام الماضي مشتريات جمة من الذرة السودانية، ولولاهما لبارت هذه الذرة في محلها وما بيعت بمصر. هذا فضلًا عن كون سمعتهما التجارية طيبة جدًّا في الدوائر التجارية والمالية بمصر والسودان.



أحمد حسن قاسم.

إلياس عوض بك

(١) حصل على الليسانس في علم الحقوق من كلية باريس.

(٢) عُيِّن بقسم قضايا الحكومة للمرافعة في القضايا المدنية لوزارات الأشغال والحقانية والخارجية ومصلحة السكة الحديد.

(٣) وفي سنة ١٨٩٢ عُيِّن وكيل النائب العمومي لدى محكمة الاستئناف الأهلية. في سنة ١٨٩٦ عُيِّن رئيسًا للنيابة العمومية بمحكمة الاستئناف. وفي ١٨٩٧ عُيِّن رئيسًا لمحكمة بني سويف، وبينما كان جاريًا التفتيش على البوليس سقط من الجواد الذي كان يركبه، وكانت إصاباته خطرة، ومكث ثلاثة شهور مريضًا، وبعد أن شُفِي نُقل إلى محكمة الاستئناف، وفي سنة ١٩٠٤ طلب إحالته إلى المعاش احتفاظًا بصحته، ثم اشتغل في المحاماة، ولكن في سنة ١٩٢٥ طلب نقل اسمه إلى جدول المحامين غير

المشتغلين. وفي سنة ١٩٣٠ عُيِّن عضوًا بمجلس الشيوخ، وكان من الأعضاء البارزين في المجلس كما تدل على ذلك آراؤه ومناقشاته ومباحثاته المدونة في مضابط جلسات المجلس، وهو من أرباب الثروة والمصالح الكبيرة، وكان أيام البعثة هادئًا، كثير الصمت، دقيق الملاحظة مغتبطًا بالرحلة.



إلياس عوض بك.

عطا عفيفي بك

ولد سنة ١٨٩٠، وتعلم بمدارس الفرير ونال منها البكالوريا، والتحق بكلية الحقوق بباريس فنال منها شهادتي الليسانس والدكتوراه وعُيِّن بوظائف الحكومة حتى شغل وظيفة تشريفاتي، ثم استقال، وكان من أعضاء الوفد المصري، ثم من أعضاء نادي الوفد السعدي، وهو مولع بالصيد والرحلات، وهو أنيق الملبس دقيق المحافظة على الإتيكيت، أقرب في طبعه إلى رجال الدبلوماسية والأرستقراطية منه إلى سواهم.



عطا عفيفي بك.

أحمد الحناوي

عرفنا هذا الشاب فلمسنا فيه عنصرًا كريمًا من أبناء السلف الصالح لأعيان الزرَّاع في الشرقية، أدب في حياء، وحياء في كرامة وهو من مندوبي الزرَّاع.

محمد حسين الرشيدي

من مندوبي الغرفة التجارية بالقاهرة، وصاحب «فابريقة حلويات وطحينة ومعصرة زيوت الميزان» رقم ٢٣٤ السيدة زينب شارع الخليج المصري، وهو أكبر مصنع لعمل هذه الأصناف بالقاهرة، وله شهرة ممتازة بين سكان مصر، وهو يستهلك من محصول السمسم السوداني كمية كبيرة، ويورد منتجاته إلى الخرطوم وبور سودان وأم درمان وبقية عواصم السودان، فضلًا عن البلاد الغربية والشرقية؛ ومنها سنغافورة ومرسيليا وشيكاغو وتريستا وأزمير على شهرتها واختصاصها بعمل الحلوى، ويوزع ٧٥ في



أحمد الحناوى.

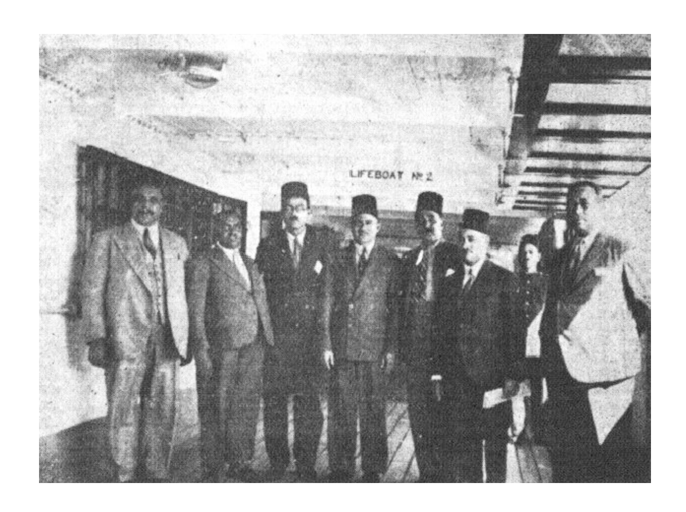
المائة للقاهرة من مقطوعية سكانها من الحلوى الطحينية. وماركة الميزان هي شعار الفابريقة المسجل، ولها شهرة عالمية تنفرد بها.

وهو مصري صميم وعصامي متواضع صادق الود والوعد، نجل المرحوم الوجيه الحاج حسين حسن الرشيدي، ومن أسرة عريقة في التجارة برشيد، وقد زار الأناضول وأوروبا.

عُرف بالإخلاص لأصدقائه وسهره على راحتهم، ولم ينسَ أحد الأعضاء حلاوة حديثه «كحلاوته الطحينية».

الدكتور محجوب ثابت

ولد الدكتور في دنقلة، إذ كان والده قومندانًا في سنار ووكيلًا لمديرية فازوغلي المندمجة مع سنار.



لفيف من أعضاء البعثة في ممر الباخرة إلى بور سودان. من اليسار: محمد حسين الرشيدي. عبد الله حسين. محمد عبد الرحيم سماحة. فؤاد أباظة بك. عبد المجيد الرمالي. محمد حسن قاسم. محمود مصطفى الجمال.

ثم تزوج بوالدة الدكتور في سنار، وهي من أسرة تنتمي إلى سيدي طلحة خال السيد البدوي بكفر الشيخ، وكان والدها يوزباشيًّا بالجيش، وحضر حروب الشام وساعد في إطفاء الثورة المهدية تحت إمرة عبد القادر حلمي باشا الذي أطفأ الثورة في شرقي السودان.

والدكتور محجوب أنيس المجالس، وأنس المجتمعات، وحبيب الأصدقاء والأعداء، وله جولات سودانية وخطب رنانة ومحاضرات طنانة.

والدكتور محجوب فريد في البيئة الطبية والاجتماعية، وهو أديب وطبيب، قوي الذاكرة والحافظة، ولو كنت صاحب حزب سياسي لجعلت الدكتور داعية للحزب؛ لأن الدكتور يصلح للدعاية، ولا سيما إذا كانت للسودان ...!

وكان الدكتور يحب السودان دون أن يعرفه، فقد نُقل منه طفلًا إلى مصر، وكانت رحلة البعثة فرصة لرؤيته للسودان، وقد بدا منه التقاعس عند أوبتنا وخشي فؤاد أباظة بك أن ينسى الدكتور مصر، فتصعب عودته من السودان، فما زال به حتى حمله



فابريقة الوجيه محمد حسين الرشيدي بالخليج المصري، وترى صورته في أعلاها.

على السفر مع الفوج الثاني، وهو منذ عودته يقص على أصدقائه وطلبته ما رأت عيناه في السودان. فهل تُتاح الفرصة للدكتور ليعود إليه ويقضي ما بقي من حياته به؟!

الأستاذ فخري الزق

نال إجازة الليسانس من مدرسة الحقوق الخديوية سنة ١٩١٤، وقُبل للمرافعة أمام محكمة الاستئناف سنة ١٩١٧، وهو نائب طائفة الإخوة البليموثيين بالقطر المصري، ونائب جمعية الشبان المسيحيين بأسيوط، ومن أعضاء نقابة المحامين بأسيوط، ولأسرة الزق علاقة قديمة بالسودان، فكانت تتجر بسن الفيل وريش النعام والمصنوعات الأسيوطية، وأسسوا مراكز تجارية بالسودان، وكان الاتجار عن طريق درب الأربعين — وهو أحد الطرق الأربعة بين مصر والسودان — بالقوافل، وكان المرحوم لوقا الزق والد الأستاذ فخري وجده المرحوم ميخائيل الزق من أشهر تجار أسيوط.



الدكتور محجوب ثابت.

الدكتور رياض شمس

هو زميلنا الفاضل الدكتور رياض شمس المحامي، ومندوب جريدة «الجهاد» في البعثة، وصاحب كتاب الحرية الشخصية بالفرنسية والعربية. ومع اشتغاله بالمحاماة يميل إلى الصحافة ويكتب في الصحف المقالات المدعمة ...



فخري لوقا الزق المحامي بأسيوط.

(٣) البعثة المصرية

(٣-١) كلمة المؤلف المنشورة بالأهرام الصادرة في ٢٥ يناير سنة ١٩٣٥

يسافر بعد ظهر اليوم حضرات أعضاء البعثة المصرية إلى السودان، وقد وقف القراء على أغراضها من هذه الرحلة وبرنامجها منذ يوم السفر حتى أوبتها إلى مصر، وقد تحددت الأغراض المُشار إليها فيما يلي:

(١) إعداد مكان لمعروضات السودان في المعرض الزراعي الصناعي القادم.

(٢) مشروع تأليف شركة من أهالي مصر والسودان لمشترى أراضٍ زراعية بالسودان واستثمارها.

(٣) دراسة إنشاء فرع للجمعية الزراعية بالخرطوم.

(٤) دعوة بنك مصر لإنشاء فرع له بالخرطوم.

لهذه الأغراض تسافر البعثة، محوطة برعاية المصريين، وبترحيب إخوانهم السودانيين؛ فأما المصريون فإنهم يرون في بعثتهم النواة الأولى لتدعيم العلاقات الاقتصادية والودية مع السودان، بعد زوال الظروف الأليمة الماضية المعروفة التي أعقبت حادث السردار المشئوم، ولذا جردت البعثة مهمتها من كل طابع سياسي، وقصرت أغراضها على الناحيتين الاقتصادية والزراعية. وقد صدق حضرة فؤاد أباظه بك مدير الجمعية الزراعية في قوله: «إن للسياسة رجالها وميدانها، كما أن لبعثتنا مهمتها المحدودة.» ومن حسن الحظ أن المندوب السامي والحاكم العام للسودان ووكيل حكومة السودان — وهؤلاء الثلاثة أصحاب الكلمة العليا في السودان اليوم — قد عملوا على تسهيل سفر البعثة والترحيب بها، وهذا يدل على صحة ذلك القول المأثور للمغفور له شريف باشا: «إذا تركنا السودان فهو لا يتركنا، وإذا نسيناه فهو لن ينسانا.»

لقد كنا على اعتقاد دائمًا بأن انفعالات السياسة والحوادث الطارئة، لن تؤثر في العلاقات التاريخية والروابط الاقتصادية بين مصر والسودان، وأنه إذا جمدت السياسة أو شذت، فإن النشاط الاقتصادي والزراعي مفتوح، أو فُتح على مصراعيه.

لن تكون زيارة السودان محصورة في المستقبل في التجار والزراع كما هو شأن البعثة الأولى المسافرة، بل في اعتقادنا أن هناك رحلات مدرسية وزيارات فردية للترويح عن النفس ومشاهدة البلاد السودانية وخزاناتها، ستتوالى على الأيام، وتتعاقب على الأعوام.

إن الروابط الحقيقية بين بلدين هي ما تقوم على أساس تبادل المنافع؛ فالمنافع هي اليوم متجه الأفراد والأمم، وإذا قلت المنافع، وهنت العلاقات، وإذا كثرت المصالح، نمت الصلات. ونحن نشكو من نظام الامتيازات، والواقع أن مصدر قوتها هي قوة المصالح الأجنبية في مصر، فهذه المصالح من الوفرة والتغلغل ما يجعل الأجانب يحرصون على الامتيازات، وما يجعل الوزارات المصرية تتردد في إلغائها، ومنذ بدأ المصريون يساهمون في الأعمال المالية وينشئون المصانع، قويت حركة المطالبة بإلغاء الامتيازات، وهكذا تقوى الروابط بين بلدين بوفرة المصالح المشتركة.

لقد صور لنا رئيس الغرفة التجارية بالخرطوم كيف شقي السودان بخروج الجيش المصري، وكيف يسعد بعودة المصريين إليه. ونحن نقول أيضًا إن مصر تجد في السودان المنفذ الطبيعي لها، ويكفي أن يكون بالسودان منابع النيل وخزانات مصر عليه، حتى تكون علاقتنا بالسودان وثيقة أبدية.

(٣-٢) يوم السفر

عند الساعة الثانية بعد ظهر ٢٥ يناير سنة ١٩٣٥ بدأ المودعون للبعثة المصرية للسودان يفدون على أرض المعرض بالجزيرة، وفي تمام الساعة الثالثة ركب حضرات أعضاء البعثة عربتين من عربات شركة الأوتوبيس المصرية التي قامت بهم بين تصفيق الحاضرين ودعواتهم الطيبة بسلامة الذهاب والعودة مع تمنياتهم الحارة بنجاح البعثة وتوفيقها في تنمية العلاقات الاقتصادية والزراعية بين مصر والسودان. وقد لمحنا بين حضرات المودعين الذين يربو عددهم على الثلاثمائة حضرات أصحاب السعادة والعزة والأفاضل جناب المستر هاملتون مندوب حكومة السودان، وعيسوي زايد باشا، وحسن سعيد باشا، وحسين بك السيد أباظة، وعثمان بك زكي أباظة، والأستاذ فكري أباظة المحامي، ومحمود حمدي إسماعيل بك، والأستاذ توفيق دياب، ومصطفى بك محفوظ، والأستاذ راغب إسكندر المحامي، ومحمود بك إسماعيل أباظة، ومحمد سرور قنصل مصر سابقًا، وعبد العزيز بك رضوان، وعباس الرمالي، وسعيد بك جميعي، والمستشار ذهني بك، ومحمود أبو العلا وعلي البرير وعلي أفندي القوش أعضاء الغرفة التجارية السودانية بالقاهرة، ومحمد إبراهيم سماحة بك، وعبد الحميد أفندي كيرة، ومحمد عبد الله، ومحمد الإمام سماحة أفندي، وأحمد بك الحناوي، وسليم عز الدين، وحسن بدران أفندي، وعبد الحميد بك سماحة، والدكتور سعد الدين التاودي، وأحمد شعير أفندي، والخواجة توتنجي سامي، والخواجة إسكندر أوجي، ومصطفي بك الشوربجي، ومصطفى بك سرور، وغيرهم من أفاضل القوم من أجانب ومصريين.

وتفضل حضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون فأوفد حضرة حسين بك فريد وكيل مدير الجمعية الزراعية الملكية إلى السويس لتوديع البعثة نيابة عن سموه.

وقد أرسل صاحب العزة فؤاد بك أباظة المدير العام للجمعية الزراعية الملكية قبل قيام البعثة التلغراف الآتي:

حضرة صاحب المعالي كبير الأمناء، سراي عابدين القاهرة:

أعضاء بعثة السودان وعددهم اثنان وثلاثون عضوًا المجتمعون الآن بالجمعية الزراعية الملكية وهم على أُهبة القيام للسويس فالسودان، يلتمسون أن ترفعوا للأعتاب الملكية خالص ولائهم والدعاء لجلالة الملك بكمال الصحة وتمام العافية.

كما أنه أرسل لحضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون التلغراف التالي:

حضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون بباكوس:

أعضاء بعثة السودان وعددهم اثنان وثلاثون عضوًا المجتمعون الآن مندوبين عن الجمعية الزراعية والنقابة الزراعية وخريجي الزراعة والغرف التجارية بمصر والإسكندرية، وكبار التجار والزرَّاع ومندوبي الصحافة المجتمعون الآن بسراي الجمعية الزراعية الملكية بالجزيرة، كلفوني جميعًا وهم على أهبة القيام للسويس فالسودان أن أتقدم لسموكم معبرًا عن عميق شكرهم لتوفيق الجمعية الزراعية تحت إرشادكم، وتشجيع سموكم الشخصي لتنظيم هذه الرحلة وتنفيذ هذا العمل القومي لتوطيد العلاقات الاقتصادية والزراعية بين مصر والسودان، ودوام إمداد البعثة بإرشاداتكم الطيبة، ويتمنون لشخصكم الكريم كمال الصحة وتمام العافية، ويرفعون للمولى أكفَّ الضراعة أن يحفظكم ذخرًا للبلاد.

كما أنه قد أرسل تلغرافًا لحضرة صاحب العزة حمدي بك سيف النصر الذي كان مزمعًا السفر مع البعثة لولا مرض انتابه أخيرًا بالنص التالي:

أسف أعضاء البعثة عظيم. نرجوكم اللحاق بنا قريبًا.

وقد وصلت الردود على هذه التلغرافات.

وقد تلقى صاحب العزة فؤاد بك أباظة من المسيو كونتو ميخالوس رئيس الغرفة التجارية السودانية بالخرطوم «يومئذ» التلغراف الآتية ترجمته:

بالنيابة عن أعضاء الغرفة التجارية السودانية بالخرطوم وأعضاء لجنة تنظيم البعثة الاقتصادية المصرية أرجو أن تبلغوا جميع زملائكم أعضاء البعثة خالص التمنيات لرحلة سعيدة وموفقة، وأؤكد لكم أن أعضاء البعثة سيلاقون حفاوة قلبية واستقبالًا رائعًا من السودانيين في كل مكان يمرون به أو ينزلون إليه، وتقبلوا جميعًا تحياتنا الصادقة.

فرد عليه بالتلغراف الآتي:



في استقبال الحسيب النسيب السير السيد علي الميرغني.

جناب المسيو كونتو ميخالوس بالخرطوم:

أبلغت زملائي أعضاء البعثة الاقتصادية المصرية التمنيات الطيبة التي عبرتم عنها بالنيابة عن أعضاء الغرفة التجارية السودانية بالخرطوم وعن أعضاء لجنة التنظيم، فتقبلوها شاكرين ممتنين وطلبوا مني أن أعبر لكم عن اغتباطهم العظيم بتلك التمنيات الطيبة، ولما سيلاقونه من حفاوة واستقبال، وهم يتطلعون بشوق عظيم إلى ملاقاة السودانيين إخوانهم الأعزاء.

(٣-٣) الوصول إلى السويس والإبحار منها

وصلت السيارة الأولى في الساعة السابعة مساءً، ووصلت السيارة الثانية الساعة الثامنة بعدها، وقد قابلهم الجمهور بالتصفيق عند وصولهم إلى السويس.

وكان في استقبالهم بالفندق حضرة صاحب العزة عباس سيد أحمد بك محافظ السويس وكبار الموظفين وأعضاء المجلس المحلي والأعيان.

وفي الساعة التاسعة مساءً أقام حضرة المحافظ حفلة عشاء فاخرة في كازينو السويس تكريمًا لأعضاء البعثة، وكانت الموسيقى تعزف وتطرب المدعوين.

وقد وصلت الباخرة «شندوين» عند منتصف الليل، واستقلها المسافرون وأبحرت بهم من السويس في الساعة الثانية والنصف من صباح السبت.

وكانت صحة أعضاء البعثة جيدة، وقد تلقوا تلغرافيًّا دعوات كثيرة من السودان؛ من ذلك حفلة شاي يقيمها سعادة الحاكم العام بقصره في الخرطوم، ودعوة من السيد الميرغني ومن حضرة عبد القوي أحمد بك المهندس المقيم بخزان جبل الأولياء، ومن الشيخ أحمد عثمان القاضي رئيس تحرير حضارة السودان، ومن مسيو كونتو ميخالوس رئيس الغرفة التجارية بالخرطوم، ومن علماء السودان، ودعوات أخرى.



مزارع القطن في طوكر، وترى امرأة هدندوية تجني القطن وعلى ظهرها طفلها، وإلى جانبها فؤاد أباظة بك.

(٣-٤) اليوم الأول من الرحلة (الباخرة شندوين في ٢٦ يناير)

ركوب البواخر

إنني مولع الولع كله بركوب البواخر خاصة وبالأسفار عامة، وكنت أود أن تسمح الظروف لي بأن أكون رحالة. ومنذ خمس سنوات لم أسافر إلى الخارج بحرًا، وقد أُتيح لي في أكتوبر الماضي السفر إلى السلوم بحرًا على الباخرة «نفتس» طوافة مصلحة خفر

السواحل، ولكن الطوافة كانت سقيمة؛ هانت على البحر وأسخطتنا على السفر فيه، فكان السفر متعبًا ومزعجًا، ولذا آثرت العودة من السلوم برًّا.

وأُتيح لي السفر في البعثة المصرية بحرًا، وكانت باخرتنا إنجليزية، وللبواخر الإنجليزية عادات هي العادات الإنجليزية، فالباخرة ليست إنجليزية، ملكية ولواء خفاقًا فقط، ولكنها إنجليزية خلقًا، وكان بحارتها من الهنود المسلمين في برما، وهي تبحر من ليفربول حتى رانجون، وقد أحسنوا الخدمة وكانوا مثال الأدب والنظافة.

الجنس اللطيف

حرمت بعثتنا من عنصر الجنس اللطيف، وقد علمت أن السيدة منيرة صبري كبيرة المرشدات ومفتشة التربية البدنية للبنات قد رغبت إلى فؤاد بك في السفر مع البعثة، فأبلغها أن قبول السيدات ليس مسموحًا به، وقد يكون السبب في ذلك أن للبعثة مهمة معينة، ليس للنساء سبيل إلى المساهمة فيها، أو محافظة على التقاليد في مصر والسودان. على أنني أعتقد أنه في البعثات التالية — ولا سيما المدرسية — سيكون مستطاعًا قبول السيدات.

طعام البواخر

تتنافس شركات الملاحة في إعداد الطعام وتنويعه وكثرة وجباته وصنوفه:

والشركات الإنجليزية تعنى بهذا عناية أصبحت مثلًا لغيرها: ففي الصباح الباكر — الساعة السادسة صباحًا — نستيقظ على نداء الخادم يقدم لنا قدحًا من القهوة وقطعة من الخبز وتفاحة، وفي الساعة الثامنة والنصف صباحًا نتناول طعام الإفطار وقائمته حافلة بصنوفه من الشاي واللبن والحلوى والسمك والبطاطس المقلي والعجة والبيض المقلي والبيض المسلوق والروزبيف والهام «لحم الخنزير البارد» والفاكهة.

وقد أضاف زميلان لنا هدية إلى قائمة الطعام وهما: السيد عبد المجيد الرمالي والسيد محمد حسين الرشيدي. الأول أهدى إلينا الملبس والشكولاتة، والثاني «الحلاوة الطحينية»، فكانت دعاية ظريفة وكرمًا بديعًا.

وقائمة الغداء في الساعة الأولى والعشاء الساعة السابعة مساءً حافلة بصنوف الطعام من لحوم السمك والديكة والأرز والطيور واللحوم الساخنة والباردة … إلخ.

وبين الساعة الرابعة والساعة الخامسة مساءً نتناول «الشاي الكامل» وقائمته حافلة باللبن والسندوتش والبسكويت وأنواع الجاتو.

وبين هذه الوجبات تُقدم لنا قطع السندوتش والشربة في أقداح، خوفًا علينا من الجوع!

ويزعجني في البواخر صنوف الطعام المتعددة ووجباته الكثيرة، وأعتقد أن وزن الراكب يزيد يومًا بعد يوم، ومن جهة أخرى يعد الطعام من المسليات والمرفهات والمنومات.

اسموكن ...!

إنني شديد الكراهة للملابس الرسمية؛ ولا سيما السموكن والسهرة، ولما كانت باخرتنا إنجليزية فمن اللائق لبس سترة السموكن عند العشاء، وقد احتاط الأعضاء فأحضروها معهم، ولكني اقترحت عليهم أن نقرر عدم لبسها؛ خصوصًا لحرارة الجو، فقال فؤاد أباظة بك: لا بد من سؤال قبطان الباخرة عن هل لبسها إجباري فيها. فقال له: إن لبسها غير إجباري، وعندئذ لم نلبس «السموكن».

هذه الملابس الرسمية عادات وتقاليد، ولست أدري ما الذي يحملنا على مجاراة تقاليد غريبة علينا، إن جونا حار، وحاجتنا ملحة إلى الثياب الفضفاضة.

وبهذه المناسبة أذكر رواية سمعتها عن شدة احتفاظ الإنجليز بتقاليدهم؛ ولا سيما السموكن عند العشاء، ذلك أن سائحًا وصل إلى جبل من جبال الهملايا في الهند فدهش لرؤيته إنجليزيًّا وحيدًا أقام ثلاثين سنة فيها ويحتفظ بلبس السموكن عند العشاء وحده، مع أن لبسها في الواقع هو من باب تكريم السيدات واحترامهن والرقص معهن مساءً. الإنجليز يحتفظون بالتقاليد ولا يسألون عن الحكمة فيها.

(٣-٥) اليوم الثاني (الباخرة شندوين في ٢٧ يناير سنة ١٩٣٥)

الجو حار، وقد اضطررنا إلى ارتداء ثياب الصيف. والبحر الأحمر هادئ جدًّا، والباخرة تسير قدمًا، والسماء مصفية، والجو صحو.

عصاميون وعظاميون

جمعت البعثة بين العصاميين؛ وهم من نالوا النجاح بجهدهم وكفايتهم، والعظاميين؛ وهم من ورثوا المجد عن آبائهم.

وقد حدثنا الشيخ الوقور إسماعيل بركات بك — وجده من أبناء ديروط ووارث تجارة الغلال عن جده وأبيه — حديثًا ممتعًا عن حياته، وعن حياة مصر قبل انتشار المواصلات الحديدية وتعميم المدنية، وهو شديد السخط على تلك المواصلات وهذه المدنية، ويراها مجلبة الشر ومفسدة الأخلاق والرجولة، ومهلكة الشباب الناضر، والمقادة إلى الشيخوخة العاجلة.

روي لنا أنه كان يقطع أحيانًا المسافة بين حلوان — حيث يسكن — وروض الفرج — حيث توجد مخازن غلاله — راجلًا.

وهو يأسف على اختراع السيارات والترمويات، فإنها لم تدع له فرصة لتحريك عضلاته وتقوية بدنه. على أنه يحمد الله لأنه ينعم بصحة وافرة وقامة مديدة غير مقوسة، وقد تنافست معه في الطواف على سطح الباخرة، وسرنا ثلاثة كيلو مترات، وقد دعا حضرته الشبان لهذا الطواف فلم يلبوا النداء، فأسف على شباب تدب إليه الشيخوخة.

ويرى إسماعيل بركات بك أن التربية المدرسية الحالية قد أفسدت العقول وعطلت نشاط البدن، وأنه يجب أن يحتفظ التاجر أو الزارع بحالته الأولى من النشاط ومن احتمال الشدائد، وقال إنه يوم مُنح رتبة البكوية غُمّ عليه، وقال لأحد مهنئيه: «هذا يوم شر؛ فإنني لن أستطيع أن أشارك عمالي تنقية القمح وغربلته، لأنني إذا فعلت سلقني الناس بألسنة حداد قائلين: «شوفوا البيه البخيل مش هاين عليه يجيب له عامل بخمسة قروش ويريح نفسه!»

بعض الناس لا يوافقون إسماعيل بك على رأيه، ولكنني مقتنع به الاقتناع كله، وأرى أننا لن ننجح النجاح المنشود، إلا إذا كانت التربية المدرسية على أسس جديدة، وإلا إذا تقشفنا وصابرنا الأيام.

والحق أن المدنية تحمل معها متاعب وأمراضًا، إلى جانب مباذلها ومناعمها.

روح الجماعة والنظام

عند ظهر يوم الأحد ٢٧ يناير عقدت البعثة اجتماعًا شهده جميع الأعضاء فتعارفوا وتآلفوا وتناقشوا، وكم كانت المناقشة بديعة، وقد سادتها الألفة، وكم سعدنا بمجتمع تملؤه المحبة وينتظمه الود، ويدعو إليه حب مصر والسودان.

إنني أعتقد أننا ننمو، وتنمو فينا روح الاجتماع والنظام. وقد ذكرت هذا في تعليقاتي على المؤتمر الوطني العام، وأذكره ثانية لمناسبة اجتماع أعضاء البعثة.

رحلات الجماعات

دفع كل عضو في البعثة خمسين جنيهًا مصريًّا لمدة ٢٤ يومًا لأداء جميع النفقات من سفر بحرًا وبرًّا بالدرجة الأولى ونزول الفنادق، وهو مبلغ زهيد أمكن الحصول عليه لأن القوم جماعة. ومن الممكن أن تكون النفقة أقل إذا لم يكن الركوب بالدرجة الأولى، وإذا لم يكن النزول بفنادق الدرجة الأولى أيضًا، فقد كان راكب الباخرة من السويس إلى بور سودان يدفع ثمانية جنيهات ونصف الجنيه، ولكن تمكنت البعثة من تخفيض الأجرة إلى خمسة جنيهات.

تستطيع البعثات المدرسية والرحلات الاجتماعية أن تأخذ طعامها وفراشها معها، وأن تفترش سطح الباخرة وركوب الدرجة الثالثة بالقطارات، ولن يجد الأعضاء غضاضة في ذلك؛ لأن عامل الخجل أو عاطفة الكبرياء أو مزعوم الكرامة لن يكون له وجود؛ لأن الأعضاء سواسية، وقد ينعمون بهذه الحياة البسيطة أكثر من نعيم الدرجات الأولى والطنافس والرياش.

إن أكثر الناس رفاهية ونعيمًا وترفًا ليملُّ أحيانًا حياة الترف، ويصبو إلى حياة البساطة والتقشف. بل هذا المترف المجدود، لن يحس أنه وافر الخير ومتمتع بمناعم الحياة، إلا حين يحيا حياة أخرى، هي حياة الزهد والبساطة والشظف، وهو على هذه الحال يحس بسعادتين، أو يتمتع بغبطتين؛ الأولى: غبطة القدرة على دفع المال مع محبة التغيير، ثم غبطة الإحساس بأن الله قد أعطاه مناعم وحباه بخير حرم منه السواد.

وفوق ذلك كله، تتآلف الطبقات وتزول الوحشة والجفاء بين الأكثرين.

القطن في مصر والسودان

بين مصر والسودان روابط عديدة، وفي رأيي أن المهم فيها اشتراك مصر والسودان في زراعة القطن، وحاجة هذه الزراعة في البلدين إلى إقامة الخزانات على نهر النيل. لقد فشل مشروع الجزيرة وخابت الآمال التي عقدتها الشركة الإنجليزية في زراعة السكلاريدس في أرضها، وضاعت ملايين الجنيهات، وكان من وراء ذلك أن تبين أن خطة الاقتصار على جهود الشركة ليقف السودان وحده ويستغني عن مصر والمصريين ليست صالحة، وأحس ولاة الأمر أن من المصلحة تسهيل سفر المصريين واشتراكهم في تعمير السودان.

إن مصر تجود بسبعة ملايين قنطار في العام، ومحصول السودان ٧٠٠ ألف قنطار؛ منها ٦٥٠ ألف قنطار سكلاريدس «مشروع ري الجزيرة».

الدكتور محجوب ثابت

آلمنا يوم سفر البعثة من القاهرة وفي اليوم الأول من ركوبنا الباخرة؛ أي يوم ٢٦ يناير، أن الدكتور محجوب ثابت كان معتكفًا في غرفته متألمًا من التهاب قدمه بسبب اصطدامها بحجر في بعثة طلبة الجامعة في فلسطين وسوريا. وابتهجنا في ٢٧ يناير حين رأينا الدكتور ينهض ويفرفش.

ونذكِّر أن الدكتور محجوب ولد في دنقلة، وكان والده ضابطًا بالجيش المصري، ولكن الدكتور لم يزر مسقط رأسه بعد انتقال والده إلى القاهرة.

وسن الدكتور ٥٣ سنة — كما يقول هو — وعلى الرغم من عدم معرفته السودان، لأنه كان صغيرًا عند انتقاله منه، فإنه يحدثك عن السودان قبيلًا قبيلًا ودربًا دربًا، ويأبى على العارفين وأبناء السودان أن يناقشوه في صحة معلوماته.

(٣-٦) اليوم الثالث (الوصول إلى بور سودان)

بور سودان في ٢٨ يناير سنة ١٩٣٥.

استيقظنا مبكرين صباح اليوم، متطلعين إلى بور سودان، وقد ظهرت لنا عند الساعة الحادية عشرة والنصف، وسارت الباخرة الهوينا، فوصلت إلى الرصيف الساعة

الأولى بعد الظهر، ونزلنا بفندق البحر الأحمر. وقد أرسلت التفاصيل بالتلغراف كما يأتي:

بيان البعثة بالتلغراف

أرسلت البعثة المصرية التلغراف التالي لدى وصولها إلى بور سودان:

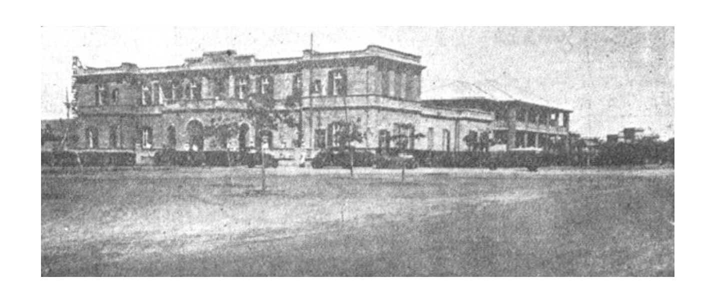
بورت سودان في ٢٨ يناير:

وصلت الباخرة شندوين المقلَّة للبعثة المصرية إلى السودان في الساعة الأولى بعد ظهر اليوم إلى ميناء بور سودان، وقد قوبلت بمزيد الحفاوة والحماسة، وكان في استقبالها جمهور كبير من رجال الحكومة والقضاء والعلماء والتجار والأعيان ومديري الشركات والبنوك ورؤساء الجمعيات وغيرهم، وفي مقدمتهم محافظ بور سودان ومدير الميناء ومدير الجمارك والمسيو كونتو ميخالوس رئيس الغرفة التجارية بالخرطوم والسيد عمر الصافي والشيخ أحمد عثمان القاضي رئيس تحرير جريدة حضارة السودان ومصطفى أفندي أبو العلا ومحمد أحمد البرير والسيد محمد البرير ووكيل شركة مصر للملاحة ومدير شركة جلاتلي وهانكي وقومندان البوليس وضابط قلم الجوازات ووكيل محلج دباس بسواكن ومدير شركة الشحن ومستر فلبس هاوس والمسيو عزيز كفوري والمسيو توتنجي ووكيل السيد إبراهيم عامر بك.

وفضلًا عن ذلك فقد ازدحم رصيف الميناء بالموظفين السودانيين وضباط البوليس وجنوده وجنود الجمارك وخفر السواحل، وقد أدوا التحية للبعثة. وقدم رجال الحكومة كل ما في استطاعتهم من التسهيلات للنزول من الباخرة للميناء، وأخذ المصورون صورًا عديدة للبعثة مع مستقبليها. وقد نُقلت أمتعة البعثة مباشرةً إلى القطار الفاخر الخاص الذي أعدته حكومة السودان لسفر الأعضاء اليوم إلى سواكن، وسيظل هذا القطار تحت تصرف البعثة في جميع تنقلاتها حتى وصولها إلى الخرطوم.

وقد توجه الأعضاء من الميناء إلى فندق البحر الأحمر ببور سودان، حيث استراحوا واستقبلوا وفود المهنئين.

وقد تلقت البعثة لدى وصولها إلى بور سودان خمس دعوات لتناول الشاي عند الساعة الخامسة مساء اليوم من المحافظ ومدير الجمارك ومدير



فندق البحر الأحمر ببور سودان الذي نزلت به البعثة.

شركة جلاتلي هانكي ومدير شركة مسيو كونتو ميخالس ومستر ورمس، فاضطرت البعثة إلى تقسيم نفسها خمس جماعات لتتمكن من تلبية الدعوات الخمس. وفي الساعة السابعة والنصف من مساء اليوم يستقل الأعضاء القطار الخاص إلى سواكن حيث يبيتون به الليلة.

وفي صباح غد يتوجه بالسيارات من سواكن وفد مؤلف من مندوبي الجمعية الزراعية والنقابة الزراعية العامة والغرفة التجارية بإسكندرية إلى طوكر لمشاهدة زراعة القطن في منطقتها، ويظل باقي الأعضاء في سواكن غدًا حيث يعود إليها وفد طوكر مساءً ويتلاقى مع الأعضاء المنتظرين ويعودون جميعًا بالقطار الخاص إلى بور سودان، فيصلون إليها عند منتصف الليل وينزلون في فندق البحر الأحمر. ا.هـ.

وفي صباح الأربعاء يزور الأعضاء مصانع ومنشآت بور سودان، ويلبون الدعوات الموجهة إليهم. وفي الساعة السادسة مساءً يستقلون القطار إلى كسلا.

وصحة جميع الأعضاء جيدة جدًّا، وسرورهم عظيم، ووسائل الراحة متوفرة، وقد اغتبطوا الاغتباط كله عندما علموا أن جلالة مولانا الملك — حفظه الله — تفضَّل بالإنعام على المسيو كونتو ميخالس رئيس الغرفة التجارية بالخرطوم بنيشان النيل من الطبقة الثالثة، وقد تلقوا تلغرافًا من القاهرة يفيد تحسن صحة حمدي سيف النصر بك، فكان له وقع عظيم في نفوسهم، وتمنوا له عاجل الشفاء، وقد أرسلت البعثة تلغرافًا إلى معالي كبير

الأمناء ترجو رفعه إلى الأعتاب الملكية ينبئ بوصولها، داعية لجلالته بدوام الصحة والعافية، وأرسلت لسمو الأمير عمر طوسون تلغرافًا آخر تعبر فيه عن عظيم شكرها لسموه، وتلغرافًا لدولة رئيس الوزراء ولمحافظ السويس تشكره فيه على حفاوته بالبعثة عند سفرها من السويس.

فؤاد أباظة

ووزعت شركة روتر التلغراف الآتي:

بور سودان في ٢٨ يناير: وصلت البعثة التجارية المصرية بعد ظهر اليوم فقوبلت بمظاهر الترحيب الحماسية، وقد حياها على ظهر الباخرة القومسيير وكبار الموظفين، وكذلك المسيو كونتو ميخالوس رئيس الغرفة التجارية. وقد اشترك كبار التجار في بور سودان في استقبالهم كذلك.

تحية البعثة: للأديب محمد حسني العامري

دع السكون إلى الأوطان والكسل ومتع النفس بالأسفار والعمل
سافر وجدَّ تجد عزًّا ومكرمةً في كل ناحيةٍ كالسادة الأُوَل
ترى الأوائل جابوا الأرض قاطبةً بحرًا مع الريح أو برًّا على الإبل
ولم تكن سبل الأسفار دانيةً ولا البخار جرى في البحر والجبل
فما لنا قد قبعنا في منازلنا ولا نفرُّ من الأزمات والعلل

ماذا رأينا ببور سودان

بور سودان ميناء صغير هادئ جديد على البحر الأحمر، دفعت مصر نفقة بنائه. أُنشئت في محل قرية تدعى الشيخ بوغوث يرجع تاريخها إلى سنة ١٩٠٥، مبانيه أكثرها مؤلف من دور واحد، والكثير منها من الأكشاك والمنازل مخصصة في الغالب للموظفين الحكوميين ورؤساء الشركات وموظفيها. وسكان بور سودان خليط من السودانيين واليمنيين والحجازيين والهنود، وهي مركز تجاري عظيم، وهي الميناء البحري المباشر الوحيد للسودان.

وقد وضعت الحكومة تحت تصرفنا قطارًا خاصًّا، كل صالون من صالوناته لعضو واحد من الأعضاء، وتتوافر في مركباته وسائل الراحة، وفي كل صالون حنفية ماء بحوضها، والمركبات نظيفة، وقطارات السودان خير من قطارات مصر من جهة الاستعداد.

وأهالي بور سودان أهل جد وسكون واتزان، وكان البِشر باديًا على مُحيَّاهم والسرور ظاهرًا في أساريرهم. وبينهم شُبَّان مديدو القامة وافرو الصحة والعافية، وفتيات جميلات، في أعينهن سحر، وفي حدقاتهن إيناس ونبل، وفي مسيرهن خفر.

وهذا المسيو كونتو ميخالوس رئيس الغرفة التجارية بالخرطوم عصامي كبير من أبناء اليونان، له نفوذ بعيد كسبه بكفايته التجارية حتى قبلت جميع الجاليات؛ ومنها الجالية البريطانية أن يكون رئيسًا للغرفة. وللرجل مكتب في إسكندرية، وفروع لتجارته في مدن السودان. وتجارته شاملة تصدير حاصلات السودان والاتجار في الواردات وتسيير البواخر والشحن والتفريغ والتأمين.

والرعايا اليونانيون منبثون في بور سودان، وقد علمت أنهم هكذا في أنحاء السودان؛ فهم أصحاب المعامل والمحالج والمصانع ومديرو البنوك وأصحاب الزراعات الواسعة.

وهكذا يدلل الشعب اليوناني على جده وكفايته وعصامية أبنائه وصبرهم، ويبرهن على أن النجاح حليف المُجد الصبور المتواضع.

تُنار بور سودان بالكهرباء، وشوارعها نظيفة، وفيها فيلات صغيرة وكبيرة، وسيارات التاكسي بها مريحة وجديدة، وهي من ماركة فورد وشفروليه.

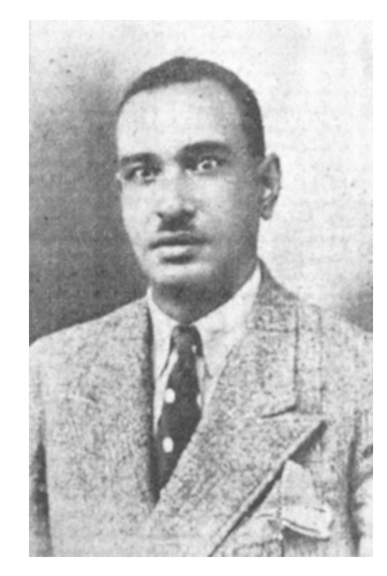
وقد بلغت نفقات تشييد ميناء بور سودان من سنة ١٩٠٥ إلى سنة ١٩٠٩ ٩١٤٣٢٠ج.م، وبلغت قيمة تجارتها سنة ١٩٠٦ أربعمائة وسبعين ألف جنيه مصري، وفي سنة ١٩٠٨ سبعمائة وخمسين ألف جنيه مصري، وتبعد عن السويس ٧٠٠ ميل بحرًا، وعن الخرطوم ٤٩٥ ميلًا برًّا، وعن سواكن ٣٦ ميلًا، وعن جيبت ٤٠ ميلًا.

(٣-٧) اللجنة السودانية لاستقبال أعضاء البعثة ومرافقتها

وتألفت لجنة لاستقبال البعثة في بور سودان ومرافقتها حتى نهاية رحلتها، وهي مؤلفة من حضرات: مسيو كونتو ميخالوس رئيس الغرفة التجارية بالخرطوم سابقًا، ومسيو عزيز كفوري التاجر الشهير بالسودان، والشيخ محمد أحمد البرير التاجر الكبير، ومصطفى أبو العلا أفندي التاجر بمصر والسودان، ومسيو توتنجي، وفضيلة



قديس عبد الملك.



مصطفى أبو العلا.

الشيخ أحمد عثمان القاضي رئيس تحرير حضارة السودان، ومستر فيليبس ومستر ريد ومستر كوكسين رئيس تحرير جريدة سودان ديلي هيرالد الإنجليزية ووكيل شركة روتر بالخرطوم، وقديس عبد الملك أفندي وكيل بوستة الخرطوم سابقًا، هذا عدا لجان الاستقبال المحلية الكثيرة.

(٣-٨) يوم طوكر وزيارة سواكن (في الثلاثاء ٢٩ يناير سنة ١٩٣٥)

استيقظنا صباح اليوم مبكرين، وتوجهنا — نحن وفد البعثة — لزيارة زراعة القطن في طوكر، فقد رئي ندب وفد مؤلف من حضرات فؤاد أباظة بك وعبد الحميد أباظة بك وعبد الحميد فتحي بك، والأساتذة علي شكري خميس وحسين الرشيدي ومحمود



فضيلة الشيخ أحمد عثمان رئيس تحرير جريدة حضارة السودان.



مسيو توتنجي.

مصطفي ومصطفى نصرت ورياض شمس، ومؤلف هذا الكتاب؛ ذلك لأن طريق السيارات — وهو طريق القوافل والطريق الوحيد من سواكن إلى طوكر، التي لا تتصل بالبلاد السودانية بالسكك الحديدية — طريق وعر شاق، ولأن الغرض من زيارة طوكر زراعي محض، فإن حضرة فؤاد أباظة بك لم يتمكن من زيارتها في رحلته إلى السودان والحبشة في العام الماضي.

«وطوكر» اسم معروف في مصر؛ فيقول الجمهور عن كل مكان بعيد «أنت عاوز توديني طوكر!» فقد كانت طوكر منفى المجرمين السياسيين وغير السياسيين.

بدأت السيارات مسيرها قبيل الساعة السابعة صباحًا من سواكن، ووصلت الساعة العاشرة والنصف، وكان في استقبالنا مستر بترسون مفتش الزراعة بطوكر وعبد الله شفيع أفندي مأمور مركز طوكر، ومعهما الموظفون. وكان معنا سندويتش وبيض وخبز وجبن وشاي ولبن وقهوة في زجاجات الترموس وليمون. ولضيق الوقت تناولنا طعام الإفطار بمجرد وصولنا إلى استراحة الحكومة بطوكر. وكانت ثيابنا محملة بالغبار، والعرق يتصبب من أبداننا، فبادرنا بالاغتسال بالماء.

وفي الساعة الحادية عشرة صباحًا توجَّهنا بالسيارات ومعنا مفتش الزراعة وحضرة مستر فيليبس مدير شركة كونتو ميخالوس إلى مزارع القطن بطوكر، فوصلنا إليها بعد نصف ساعة، وهناك شهدنا منطقة واسعة خضراء قد فُرشت بشجيرات القطن، فنزلنا من السيارات ومررنا بين الحقول.

وفي مكتب مستر بترسون مفتش الزراعة شهدنا خريطة منطقة طوكر، وهي على شكل دلتا مساحتها ٢٥٠ ألف فدان ترويها السيول والأمطار وروافد الأنهر الصغيرة — كنهير بركة — وهي غير متصلة بالنيل. وتنزل هذه السيول في هذه المنطقة في أثناء فصل الصيف، ولكن ما يزرع منها عشر مساحتها؛ من ذلك ٣٢ ألف فدان من القطن، وسبعة آلاف فدان من الدخن والعدس والذرة.

وقبل بدأ الأمطار يبذر الزرَّاع بذرة القطن بواسطة أداة تسمى «السلوكة»، وهي قطعة من الحديد يحفر بها الزارع حفرة في الأرض ويضع البذر. وعلى بعد متر ونصف المتر من الحفرة الأولى يفتح حفرة أخرى وهكذا، وتسمى الحفرة عند سكان طوكر «جورة».

وفي أول أغسطس يكون فصل الأمطار قد انتهى وينبت الزرع. وفي أواخر نوفمبر تظهر بواكير لوز القطن، وبين أواخر يناير وفبراير يمكن الحصول على «الجنية الأولى» من القطن. ويستمر الجني حتى وسط شهر يونية. ثم يبدأ فصل الصيف وتهب فيه ريح صرصر خطرة تسمى «الهبوب»، ويسمون الريح التي تهب في أثناء موسم الزراعة «الهبهب» مصغر «هبوب»، ويسمون «الجنية» من القطن «تلجيطة»؛ أي «تلقيطة» من «لقط» يعني جمع.

وفي أثناء فصل الصيف — أو فصل الهبوب — يهجر الزارع طوكر إلى أعالي الجبال أو إلى مساكنهم الأصلية، فإن كثرة الزراع من غير سكان طوكر، وإنما ينتقلون إليها من أنحاء مختلفة من السودان ومصر في فصل الزراعة وهو فصل الشتاء.

والأراضي ملك للحكومة، ولكنها توزعها للزراعة على القبائل، وعددها ٧٢ قبيلة مسجلة، وهناك قبيلتان غير مسجلتين. وتوزع الأرض الصالحة للزراعة على القبائل بنسبة عددها، والأهالي لايملكون أرضًا. على أن الحكومة تستبقي بضعة آلاف من الأفدنة لتوزعها على الأفراد من غير القبائل لزراعتها فقط أيضًا، ومنهم يونانيون.

ويحضر الزرَّاع القطن بعد جنيه إلى مركز طوكر، ويتولى بيعه سماسرة رسميون، وعددهم ١٢ من الأهالي. ويكون بيعه في بورصة مجاورة لمكتب مفتش الزراعة تحت إشرافه. وثمن القنطار ٨٠ قرشًا في المتوسط، وتختلف الأسعار سنة عن أخرى ويومًا عن يوم. وقد حُدِّد بدء بيع المحصول الجديد في ١١ فبراير القادم، ويستمر في الأيام التالية إلى يونية حتى يباع كله.

ويوضع القطن عند وصوله إلى المركز في شونة مسورة ويوزن، وبعد البيع ينقل إلى شونة أخرى ويوزن مرة ثانية، وينقص وزنه نحو ٨٪ في الوزن الثاني بسبب تبخر ماء القطن.

وأهم مشتري قطن طوكر هم مسيو كونتو ميخالوس وبيل بالإسكندرية، وشركة إسكندرية التجارية وأولاد إلياس دباس بمصر والسودان، ومستر راي إيفانس بليفربول. ويُصدر القطن إلى إنجلترا وفرنسا. وقطن طوكر كله سكلاريدس.

ويجود الفدان الواحد بنحو ستة قناطير صغيرة. والقنطار الصغير هو ما كان وزنه مع بذرته مائة رطل. ويحلج هذا القنطار؛ أي بعزل البذرة منه فيصبح قطنه متراوحًا بين ٣٠ و٣٥ رطلًا والباقي بذرة. وكان محصول العام الماضي سيئًا؛ إذ كان حوالي قنطارين ونصف، ولكن بشائر المحصول الجديد تنبئ بأن متوسط محصول الفدان سيكون ستة قناطير صغيرة، وأجود محصول فيه ثمانية قناطير.

وهناك مشروع لإنشاء خزان للانتفاع بماء السيول؛ لأنه يجري نحو البحر الأحمر فيضيع أكثره.

ويهرع أكثر الزراع بعد انتهاء الموسم إلى جبال سنكات العالية، أو إلى جبل أركويت، مصيف الحاكم العام للسودان، وهذه المناطق الجبلية العالية — على ما يقول العارفون — تشبه جبال سويسرا ولبنان في جوها وصلاحيتها كمصيف.

ولطوكر ميناء يسمى «ترنكتات»؛ منها سكة حديد بضائع ضيقة تصل إلى طوكر، وتحمل قطنها على بواخر مسيو كونتو ميخالوس.

وأهم القبائل قبيلة الهدندوة، ولأفرادها رطانة، وفيهم جمال، ويقول بعض المؤرخين إن أصل المصريين من هذه القبيلة أو إنهم مع المصريين من أصل واحد.

قامتهم متوسطة، وأنوفهم مدببة، نحاف، ونساؤهم بارعات الجمال، ويساعدن الرجال. ويحمل الرجل منهم قوسًا وسكينًا مقوسة، وشعرهم أسود فاحم، وهم حديدو البصر، ويعرفون العربية ويتعلمونها، ولكن لهم رطانة خاصة من أصل غير عربي يتحدثون بها.

وبعد هذه المشاهدة عدنا بالسيارات إلى المركز، حيث كانت الساعة الأولى والنصف، وبعد الاستراحة قليلًا ورد الزيارة لمفتش الزراعة والمأمور ووكيل البريد والتلغراف — والثلاثة سودانيون — ركبنا السيارات عند الساعة الثانية بعد الظهر وعدنا إلى سواكن في الساعة الخامسة، حيث كان باقي الأعضاء في المدينة.

وقد أقام حضرة جورج شكري أفندي وكيل شركة أولاد دباس بسواكن بمحلهم بها حفلة شاي، وقال: إن أنجال المرحوم إلياس دباس كانوا يودون الحضور إلى سواكن لاستقبال البعثة، وهم يعتذرون بارتباطهم بأعمال منعتهم من السفر. وقد أسس المحلج المرحوم إلياس دباس في سنة ١٨٧٤؛ أي في أثناء الحكم المصري للسودان، وقد نهبه الثوار في الثورة المهدية، وبعد إخمادها فتح من جديد، وهو يحلج قطن طوكر. وأصحاب المحلج مصريون، وجميع عماله من سكان سواكن، ولذا يمون قسمًا كبيرًا منها بالعمل والأجور.

وزاروا مصبغة الشيخ محمد السيد البربري وبها عشرون عاملًا، ثم زاروا منزل الشيخ الكبير محمود عثمان أرتيجه بك عمدة سواكن وزعيم قبائل الأرتيجة، ويبلغ عمره تسعين سنة، وقد فقد بصره. وعندما اعتذروا عن تناول القهوة بداره، دمعت عينا الرجل تأثرًا، وقال: هذا خيركم، فإن الخير جاء على يديكم. فاضطروا لتناول القهوة وشكره. وأخذ الرجل يروي قصصًا تاريخية غريبة عن حوادث السودان في عهوده المختلفة، وكان اللورد كتشنر باشا يزوره ويقدره.

وزاروا دار المحافظة القديمة بسواكن، وهي مشيدة على الطراز التركي القديم كقصور القاهرة القديمة في الأحياء الوطنية، وهي تشرف على ميناء سواكن. وأمام الدار مدفعان تركيان، وبجوارهما وقعت المعركة الفاصلة والختامية في حرب استعادة السودان، وأقام اللورد كتشنر باشا السردار العام للجيش المصري يومئذ في تلك الدار، حيث أسر البطل السوداني الكبير المرحوم عثمان دقنة زعيم دنقلة.

كانت سواكن الميناء السوداني الوحيد، وكانت مركزًا تجاريًّا عظيمًا بين السودان وأفريقيا من جهة، وبين الحجاز واليمن وسائر بلاد العرب وفارس والهند وغيرها من

جهة ثانية. ومن تجارتها تجارة النخاسة، حيث كان للرقيق الأسود سوق رائجة، ولذا كان بين سكانها السابقين والحاليين الكثير من أبناء اليمن ومكة وحضرموت.

وبها قصور وعمارات للسادة الميرغنية وللشناوي — وهو غير شناوي المنصورة — والبربري وأصله من السويس. وتدل المباني والشوارع على أنها مدينة قديمة المدنية، وأنها كانت ترفل في حلة العز، وتنعم بالجاه والثروة، ولكن كارثتين حلتا بها بدَّلتا بسعادتها بؤسًا، وبعمرانها خرابًا، وبعزها ذلًّا:

الكارثة الأولى: إنشاء ميناء بور سودان. ويقال إن اللورد كرومر هو الذي أوحى بإنشاء الميناء الجديد؛ لأن سواكن كانت موقعًا مهمًّا في خلال الثورة المهدية، ولأن سكانها شجعان وكانوا على ولاء للمصريين والأتراك ومتّصلين بحركة الخلافة الإسلامية. ومن جهة أخرى قيل بأن ميناءها لم يكن يصلح لرسوّ البواخر الكبيرة، وأن موقع بور سودان أصلح طبيعة للميناء من سواكن.

الكارثة الثانية: خروج الجيش المصري من السودان. فقد كان هناك معسكر كبير لذلك الجيش، وكانت النقود التي ينفقها الضباط والجنود تُتداول بين السكان.

وقد رأينا أكثر بيوتها بين مهدمة ومغلقة ينعق فيها البوم، وأكثر دكاكينها موصدة. وبهذا أصاب الفقر المدقع أغنياءها؛ فقد زالت تجارتهم وأقفرت عماراتهم الكبيرة جدًّا، حتى إنهم لم يجدوا سكانًا ولو مجانًا لتعميرها والحيلولة دون تهدمها. وقد هاجر أكثر من أربعة أخماس السكان إلى بور سودان وطوكر وغيرهما.

والحق أن الإنسان ليتأثر من هذا المنظر، والحق أن الشقاء مقدور للبلدان كما كُتب للإنسان.

ولم يبقَ لسواكن من مظاهر الجاه، غير أنها ظلت حتي اليوم ميناء حجاج السودان، فتقلهم الباخرة «تلودين» التابعة لشركة البوستة الخديوية يوم الاثنين كل أسبوعين، وتزورها الباخرة الثانية يوم الأربعاء كل أسبوعين، ولأهمية سواكن كانت ولاية عثمانية مستقلة عن مصر والسودان، وقد مُنحت ولايتها لمحمد علي مضافة إلى ولايته على مصر. وبعد استعادة السودان ظلت تابعة لمصر، حتى ضُمّت بعد عشرة أعوام تقريبًا إلى السودان وصار شأنها كالبلاد التي شملتها اتفاقية سنة ١٨٩٩. وكانت إدارتها الصحية تابعة لمصلحة الكورنتينات المصرية حتى بعد خروج الجيش المصري سنة ١٩٢٤، ولكنها فصلت أخيرًا، وأُنشئت فيها مصلحة سودانية يديرها مفتش إنجليزي يُندب في موسم الحج، وله مساعد وهو طبيب سوداني مستديم.

وبها مدرسة أولية فيها ١٢٠ تلميذًا. وتناولنا العشاء بالقطار الخاص وبتنا فيه.

توفيق بك بطل سنكات

قال الأديب محمود ذو الفقار الكاشف:

> قرأت مقالًا للأستاذ عبد الله حسين يصف رحلة البعثة المصرية عند زيارتها سواكن وطوكر وسنكات، وفات الأستاذ أن يذكر ما لسنكات من تاريخ حافل بالبطولة والشجاعة؛ فقد ترك قائد هذا الموقع الضابط توفيق بك صفحة خالدة من صفحات المجد في تاريخ مصر الحديث، إذا ذكرت حوادث السودان الشرقي ومعارك عثمان دقنة الزعيم السوداني المشهور. ويؤلمني جهل أبناء مصر التاريخ، وأمثال هؤلاء الضباط الذين أراقوا دمائهم في سبيل مجدها ونشر نفوذها في مجاهل السودان، وخليق بمصر أن تؤدي واجب الوفاء نحو هذا البطل وقد عرف له الإنكليز بطولته وقدروا بسالته فوضع جلالة ملكهم الحالي تذكارًا له ولجنوده الشجعان عند زيارته سنكات في سنة ١٩١٢. ولمناسبة ذكرها في مقال حضرة مندوبكم رأيت أن أكتب على صفحات «الأهرام» لمحة موجزة من تاريخ هذا الضابط العظيم.

ولد توفيق بك من أب مصري وأم سورية، وتعلم في المدرسة الحربية في عهد إسماعيل، وبعد أن جاز امتحانها أُلحق بالخدمة في محافظة سواكن، وتدرج في الرقي إلى أن عُين محافظًا لها في عهد الخديوي توفيق، ولما استتب الأمر للمهدي في السودان الغربي بعد إبادته لحملة هكس «أكتوبر ١٨٨٣» أرسل عثمان دقنة أحد أمرائه إلى سواكن ليدعو أهل السودان الشرقي لمبايعة المهدي ونصرته، فتمكن أميره من إثارة القبائل، والتف حوله عدد كبير منهم بجهات سنكات وما حولها، ولما بلغ توفيق بك أمره — وكان محافظًا لسواكن — توجه إليه بنفسه على رأس ستين جنديًّا، ولما وصل إلى هذه الجهة طلب من عثمان دقنة الحضور إليه فلم يحضر، بل فاجأه هذا بالهجوم عليه بغتة، فتحصن توفيق بك ومعه هذا العدد القليل من جنوده داخل سنكات، وكان ذلك في أكتوبر سنة ١٨٨٣، ولما زاد عدد الثوار تحت إمرة زعيمهم حتى بلغوا عشرين ألف مقاتل، واشتد الحصار على طوكر وسنكات التي استبسل قائدها في الدفاع عنها، رأت الحكومة المصرية تجهيز حملة بقيادة محمود باشا طاهر لإنقاذ المحصورين

فهُزمت شر هزيمة «نوفمبر ١٨٨٣»، ثم عادت وسيَّرت حملة أخرى بقيادة بيكر باشا فدحرها الدراويش «فبراير سنة ١٨٨٤»، ولما رأى توفيق بك ما حل بالحملتين من هزيمة منكرة خرج بجنوده وهو شاهر سيفه مخترقًا صفوف محاصريه وهم يبلغون عشرين ألف مقاتل، وظل يقاتل مستبسلًا على رأس جنوده إلى أن وقع أسيرًا، فأمر عثمان دقنة بقتله بعد أن عذبه كثيرًا. وكان أمير الدراويش قد طلب منه تسليم سلاحه ليؤمنه على حياته، فرفض الضابط الباسل الاستسلام مفضلًا الموت في ساحة الوغى على الخضوع والتسليم بعد أن قاوم أعداءه أربعة أشهر كاملة مقاومة دلت على بسالة وشجاعة نادرة.

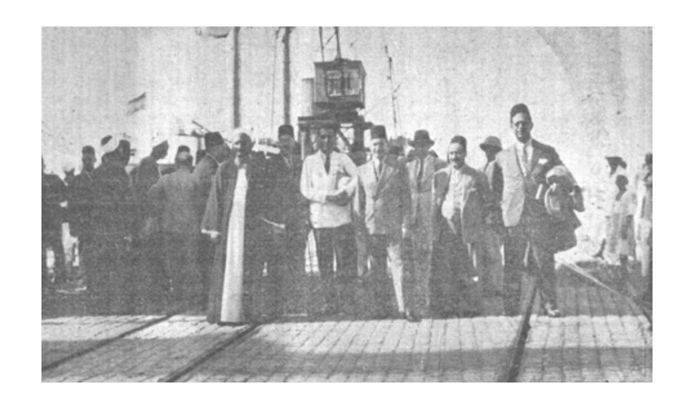
فهل آن لمصر أن تذكر أمثال هؤلاء الضباط البسلاء فتهمَّ بتخليد ذكراهم ولو بكتابة تاريخ موجز لكل منهم في كتب التاريخ التي توزع على المدارس! إذ بينما نجد فيها ذكر غوردون وكتشنر وصمويل بيكر وغيرهم من الضباط الإنكليز نجد هذه الكتب تغفل ذكر ضباطنا الذين استشهدوا والإنكليز جنبًا إلى جنب في مجاهل السودان. ألا يجدر بنا ونحن نذكر السودان ونتحدث عنه الآن أن نقيم في أرضنا تذكارًا خالدًا لهؤلاء الأبطال الذين أفنوا حياتهم في سبيل مجد مصر كي يحدث الأبناء عما فعله الآباء؟ وإنه لواجب أدنى لا يجوز التهاون فيه.

(٩-٣) العودة إلى بور سودان (يوم ٣٠ يناير سنة ١٩٣٥)

بتنا ليلة أمس — ٢٩ يناير — بالقطار الخاص الذي وضعته حكومة السودان تحت تصرفنا للانتقالات وللمبيت فيه حتى نصل إلى الخرطوم.

وقد استيقظنا الساعة السادسة صباحًا وتوجهنا إلى فندق البحر الأحمر، التابع لمصلحة السكك الحديدية السودانية.

هذا الفندق الأنيق الصحي الفسيح المشيد على أحدث طراز للفنادق الصيفية الأوروبية من مفاخر مصلحة السكك الحديدية في السودان، فقد أنشأت المصلحة طائفة من الفنادق التي تتوافر فيها وسائل الراحة؛ من جريان الماء الساخن والعادي، والإنارة بالكهرباء، والمراوح، والأبهاء، والصالونات، والحدائق، وبكل غرفة سريران وحمام متصل بها، والأجرة اليومية مع الأكل ١١٠ قروش، ولكن يمكن الاتفاق على أكثر من ليلة بأجر مخفض.



وصول أعضاء البعثة إلى ميناء بور سودان (ويرى من اليمين: محمود مصطفى الجمال. أحمد السيد أبو الفضل الجيزاوي. مسيو كفوري. فؤاد أباظة بك. عبد اللطيف أبو رجيلة. محمد عبد الرحيم سماحة. محمد أحمد البرير.)

وخدم الفنادق من سكان حلفا والشلال وأسوان، يلبسون العمائم السودانية ويتمنطقون بحزام أخضر اللون، وهم مؤدبون وأذكياء، وكثير منهم اشتغل في مصر.

أنشأت المصلحة فندقًا في كل من الشلال وجوبا والخرطوم وبور سودان.

ومن العجيب أن مصلحة السكك الحديدية المصرية — وهي أغنى من زميلتها بالسودان — لم تنشئ فندقًا على الأقل في مدينة كطنطا ثالث عواصم المملكة المصرية وعاصمة الوجه البحري، فليس بطنطا فنادق من الدرجة الأولى أو حتى الثانية، ومن المخجل أن لا يجد النزيل فندقًا يماثل الفنادق الحكومية بالسودان.

وبعد الاستحمام في فندق البحر الأحمر تناولنا طعام الإفطار، وكان مليئًا من البيض والسمك والفاكهة والجبن والكبد والقهوة والشاي والحلوى. وفي الميناء ركبنا قوارب صغيرة لمشاهدة قاع السواحل المرجانية، ومن أجل هذا رُبطت بالقوارب صناديق خشبية كان قعرها من الزجاج العادي وسطحها الأعلى غير مغطى، وإذا نظر الإنسان في الصندوق، رأى قاع البحر عند الساحل المرجاني. رأى عجبًا؛ فهناك صخور وأحجار قد طُويت وتحلت وأشبهت عناقيد العنب والإسفنج والعقيق والأصداف، كأنما هناك أطباق عُرضت فيها أنواع الفاكهة والزهور. وهناك أسماك اختلفت ألوانها بين الأحمر والأسود والأصفر والأخضر، والملون بأشكال الطيور؛ كألوان الببغاء والعصافير الزاهية.

ولولا أن الرائي يعرف أنه يشاهد أنواعًا من السمك، لحسبها أنواعًا أخرى من الطيور. وهناك أسراب بديعة فيها ألوف من السمك صفوفًا وصفوفًا.

أمضينا نحو ساعة ناظرين دهشين في هذا الساحل العجيب، وقد تساءلت متى يجيء اليوم الذي يستطيع فيه الإنسان أن يعيش في البحر وفي جوف الماء وبين الأسماك بعد أن استطاع أن ينتفع بالجو طائرًا ومتنزهًا.

ألا تكون هناك اختراعات تسهل للإنسان أن يعيش في الماء، حيث هناك جبال وتلال وأودية وسهول وحزون وألوف من الحيوانات، وحيث يستنقذ حياته من شقاء المدينة أو عذاب البر.

وقد دفع كل شخص عشرة قروش عن هذه المشاهدة، وأهدى إلينا البحارة قطعًا من هذه العناقيد الصخرية العجيبة اقتطعوها أمامنا بمهارة مدهشة.

وقد أنشأت مصلحة السكك الحديدية حمامًا في المينا به عشرة كابينات؛ وذلك لأن الاستحمام في البحر مباشرة خطر، لوجود سمك القرش وعقارب الأسماك، فتصيب الأبدان بجروح دامية.

وهناك حوضان للحمام: حوض كبير طوله مائة قدم وعرضه ٧٥ قدمًا، ويسع ١٢٠٠ طن، ويُملأ في ساعتين ونصف ويفرغ في ساعة ونصف. ويكون ملؤه بموتور كهربائي من البحر الأحمر مباشرة، وعمق الحوض طبقات: ٣½ و٤ و٥ و٧ أقدام. وحوض صغير للأطفال عمقه قدمان ونصف قدم.

وأجرة دخول الحمام خمسة قروش، وللأطفال قرشان ونصف القرش.

ثم زرنا حضرة عبد اللطيف أبو رجيلة أفندي وكيل شركة مصر للملاحة البحرية في مكتب الشركة ببور سودان، حيث أنشأه على نفقته لمعاونة الشركة في أعمالها، وهو شاب نابِه ألَّف شركة مع حضرات السادة يونس أحمد وعبد المنعم محمد وآخرين للاتجار والشحن والتصدير والتأمين وتعاطي أعمال بنك مصر. وهو من أبناء إسنا، ووالدته سودانية، وتعلَّم بالمدرسة السعيدية الأميرية.

وسيُنشئ فرعًا لشركة مصر لمصايد الأسماك في بور سودان بإنشاء ثلاجة بها، فيصاد السمك — وهو غزير — في مينا بور سودان ويوضع في سيارة لوري بها ثلج، ويُنقل إلى بور سودان، ويصدر إلى مصر.

زار الأعضاء محلج الحكومة، واستقبلهم مديره الإنجليزي. ويحتوي المحلج على ثمانين دولابًا، ويُدار بالكهرباء، وطرازه حديث، وبه ٣٠٠ عامل سوداني، ورؤساؤهم

مصريون. وبجانب المحلج مخازن مسيو كونتو ميخالوس، وهي تَسَع مليون قنطار من القطن.

وزرنا مصبغة إبراهيم عامر بك ومديرها نصري أفندي، وبه ٤٢ عاملًا من أسيوط، وقد شكر فؤاد بك حفاوة إبراهيم عامر بك، ورد عليه حضرة نصري أفندي شاكرًا.

وأقام مسيو كونتو ميخالوس رئيس الغرفة التجارية بالخرطوم حفلة شاي مساء اليوم بفندق البحر الأحمر، حضرها مديرو الشركات والبنوك، وألقى فؤاد بك خطابًا بالإنجليزية، وقد تجلت المودة بين الحاضرين وهم من مختلف الجنسيات، وكانت حفلة اجتماعية جامعة.

وببور سودان مدرسة حكومية ومدرسة كاثوليكية، وبها مستشفى، وهو خير من أي مستشفى في عواصم المديريات المصرية.

وبور سودان تشبه مصر الجديدة من حيث سعة شوارعها ووجود البواكي والمتنزهات ونظافتها وهدوئها، وقد احتملت أزمة شديدة، ولكن منذ العام الماضي أخذت الحالة في التحسن، والدلائل تنبئ بأنه سيكون لها مستقبل كبير.

وفي الساعة السادسة استقل الأعضاء القطار الخاص إلى كسلا، حيث يمضون ٢٦ ساعة لمشاهدة دلتا الجاش ومزارع القطن وغيره.

لقد كانت رحلتنا شاقة ومتعبة، وأشعر أن معرفة هذه البلاد تنقصنا، ولكن احتملنا العناء بلذة واغتباط.

(٣-١٠) بين بور سودان إلى كسلا (يوم ٣١ يناير سنة ١٩٣٥)

يقصر القلم حقًّا عن وصف حماسة إخواننا سكان بور سودان؛ أعيانًا وحكامًا وأهلين، عند توديعنا في فندق البحر الأحمر ببور سودان وفي محطتها، ولم يتمالك بعض الأعضاء والمودعين من ذرف دموع امتزج فيها فرح اللقاء بأسف الفراق. وقد شعر كل عضو بأنه يودع أهلًا وإخوانًا، وأنه يفارق ذوي الأرحام. وكنا نسمع لغة عربية فصيحة ونشاهد عادات مصرية طيبة في الكرم والاستقبال الباسم؛ «أهلًا وسهلًا» يقولونها دائمًا. وقد نسيت أنني في رحلة مع رفاق، وأن لنا برنامجًا محدودًا، وأن لي عملًا وأهلًا ومقامًا بالقاهرة، فوددت لو بقيت مع البور سودانيين!

وهؤلاء الشبان أعضاء «نادي السواكنيين» ببور سودان التفوا حول الدكتور محجوب ثابت، ودعوه ولفيفًا من صحبه لزيارة ناديهم، وخطبوا وخطب الدكتور

وخطب السيد علي شكري خميس وصفق الجميع، فكأنهم كانوا في حفل مصري بالقاهرة. ولقد كنا كلما وصلنا إلى محطة أو بلد، ألفينا الأهالي — رجالًا ونساءً، شيبًا وشبانًا — قد خرجوا للقائنا ثم عادوا لتوديعنا كأننا الغيث ينزل عليهم، أو ذوو الأرحام الغائبون يعودون إليهم، وكانت الأسرات الأوروبية — من إنجليزية ويونانية وغيرها — تشترك في استقبالنا وتوديعنا: عاطفة شاملة من الحب، وفيض عميم من الود.

عشرات من الدعوات لتناول الطعام والشاي والزيارة تلقيناها، وكنا نألم ونأسف لعجزنا عن إجابتها جميعًا.

وكنا نتبين في وجوه الداعين أثر الخيبة في عدم إجابة دعواتهم، فيقول لسان حالنا: لا حول ولا قوة إلا بالله!

وفي الساعة السادسة من مساء أمس — الأربعاء ٣٠ يناير — سار القطار بنا إلى كسلا.

وتناولنا طعام العشاء الساعة الثامنة مساءً بالقطار، وتفرقنا جماعات إلى الطاولة والبريدج والشطرنج.

في سوق درديب

وقد سار بنا القطار حتي محطة درديب وشهدنا بها سوقًا لبيع الدوم، ومحصوله ٨ آلاف طن قيمتها عشرون ألف جنيه تشحن من درديب، ونهايته إلى اليابان وإيطاليا لعمل الزراير، ويُباع بالمزاد العلني. وقد تقدم للمزاد رجل يدعى الشيخ بكاش محمد من تجار السودان ووكيل مسيو كونتو ميخالوس. وفي أثناء المزايدة تقدم الدكتور محجوب ثابت عندما كان المزاد بسعر ١٦ قرشًا ونصف للقنطار، وأعلن الدكتور أنه يزايد بمبلغ ١٧ قرشًا. فقال المنادي: «يستاهل.» ومعنى ذلك أن المزاد قد رسا على الدكتور، وطلب إليه المنادي أن يشتري كل الكمية على هذا السعر؛ لأن المزايدة كانت على الكمية كلها لا على إردب وحده.

فتحرج مركز الدكتور، إذ كان قد قدم مبلغ ١٧ قرشًا للمنادي، وحينئذ تقدم «بكاش» المشار إليه وأعلن أنه يقبل الكمية بهذا السعر، وثمن الكمية التي كانت بالسوق ٦٠ جنيهًا، فأنقذ الدكتور من الورطة …!

ثم عدنا إلى القطار وتناولنا طعام الغذاء، وفي الساعة الأولى وعشر دقائق وصلنا إلى بلدة «أرومة» حيث استقبلنا لفيف من مفتشي الزراعة الإنجليز، وركبنا معهم

السيارات حتى مزارع القطن في دلتا نهر الجاش، وهو نهر يروي أراضي مديرية كسلا، ومساحة المنطقة ١٥٠ ألف فدان، يزرع منها ٣٢ ألف فدان، منها ٢٨ ألفًا يزرع من السكلاريدس.

والأطيان المزروعة — بل جميع أراضي مديرية كسلا — ملك لحكومة السودان، وهي تؤجرها للأهالي، وهم من قبائل مختلفة، يحضر أكثرهم من جهات بعيدة، وتشرف مصلحة الزراعة على إعداد الأرض للزراعة والري، وتسلم الأرض للزراع. وهناك ترع رئيسية ومساقٍ لتوزيع ماء نهر الجاش، وتتولى الشركة الزراعية الإنجليزية بيع قطن الجاش في إنجلترا مباشرة، وتعطى نصف الأرباح إلى الزراع والنصف الثاني تستولي عليه الحكومة.

والزراعة بالمنطقة بالدورة الثلاثية؛ فيزرع القطن عامًا، وتظل الأرض خالية من زراعة القطن أو أية زراعة أخرى في العامين التاليين.

وقد قرأنا في أول المنطقة لوحة مكتوبًا فيها ما يلي:

> تاريخ الزراعة ١٩٣٤/٩/١٤، التربة أرض كثيرة تغطى بالطمي، الري: ١٧يومًا.
>
> حالة الزراعة معتادة، والحش ثلاث مرات.

وشهدنا حقلًا تجريبيًّا جُربت فيه زراعة القطن الأمريكي من الصنف المسمى «ويبار»، وقد بدأ موسم الجني في ١٥ ديسمبر، ويستمر إلى آخر مايو القادم. وتنزل الأمطار من يونية حتى ١٥ سبتمبر. وقد رأينا امرأة شابة تجني القطن من الحقل وهي حاملة طفلها الرضيع مربوطًا على ظهرها في وهج الشمس، وهي صابرة تبتسم لنا.

وفي وسط الحقل أعدت «منظرة» ذات أعمدة خشبية ومغطاة بالقش، جلسنا فيها واسترحنا قليلًا، ثم عدنا إلى القطار وواصل سيره.

في محطة كسلا

سافر القطار الخاص من محطة «أرومة» الساعة الرابعة والنصف، وقد ازدحمت المحطة بالمودعين من إنجليز ومواطنين، ثم سار القطار حتى وصل إلى محطة كسلا الساعة السادسة مساء. وكان في استقبال البعثة حضرة المأمور وجميع الموظفين والأهالي، وركب الأعضاء السيارات فزاروا نادي مستخدمي كسلا حتى الساعة الثامنة

مساء. وقد تناول العشاء على مائدة مدير مديرية كسلا الإنجليزي حضرات رشوان محفوظ باشا وفؤاد أباظة بك ويوسف نحاس بك والأستاذين على شكري خميس وعبد المجيد محمد الرمالي، مندوبي البعثة.

وقد تقرر سفر فؤاد أباظة بك وبعض زملائه صباح الجمعة أول فبراير إلى مديرية تسانايا في إريتريا لمشاهدة زراعة القطن بها. ويستقبل المدير حضرات الأعضاء الساعة الحادية عشرة صباحًا.

والطريق بين المحطة ونادي الموظفين وعرة وخطرة، وقد رأينا في الطريق منازل حقيرة يسكنها زراع رحَّل يسيرون على الأقدام إلى الحجاز للحج، ويُسمون «فلاتة».

ودار النادي من مخلفات الجيش المصري بكسلا، وتحيط به حديقة.

(٣-١١) زيارة كسلا وبيانات عنها

بتنا الليلة بالقطار الخاص أيضًا، حيث كان واقفًا أمام محطة كسلا وتناول الأعضاء الطعام صباح اليوم — الجمعة أول فبراير — وتوجهنا بالسيارات الساعة التاسعة صباحًا إلى داخل مدينة كسلا، وهي تبعد عن محطتها ٣½ كيلو مترات وطريقها وعر، وتبلغ المسافة من بور سودان التي قام منها القطار إلى محطة كسلا، ٥٥٠ كيلو مترًا. ورأينا في الطريق بين محطة كسلا وكسلا نفسها منازل «الفلاتة» بتشديد اللام، ويُسمون أيضًا «الهوسة» و«التكارنة»، وأصلهم من مهاجري السودان الفرنسي والحبشة، وهم أهل جد وعمل، يشتغلون بالزراعة في موسمها، وفي الأوقات الأخرى يقومون بحمل الذين يعبرون حوض نهر الجاش بين المدينة ومحطتها، وذلك عند فيضانه صيفًا بين يونية وأكتوبر، حيث يغمر ماؤه مجراه الذي عرضه كيلو متر واحد، ويبلغ عمقه عندئذ مترين أحيانًا، وهو عرضة للارتفاع والهبوط في اليوم الواحد، تبعًا لحالة المطر، وامتصاص الأرض للماء وانتشارها في أنحاء المجرى، وبعد الفيضان يظل المجرى في أشهر السنة الأخرى جافًّا.

ويبلغ عدد السكان الفلاتة عشرة آلاف نسمة، ولهم جَلَد غريب على العمل، إذ يؤدون فريضة الحج سيرًا على الأقدام، ونساؤهم سافرات في الغالب، ما عدا «العرائس» وهن في دور الشباب، ويشاركن الرجال في جميع الأعمال من زراعة وتجارة، ويتزوج رجالهن أكثر من امرأة واحدة، والكثير منهم متزوج بأربع نساء، وللرجل في المتوسط زوجتان.

ويبلغ سكان مدينة كسلا حوالي ثلاثين ألفًا، بينهم العشرة آلاف المشار إليها من الفلاتة.

وعلى جانبي الطريق أشجار «العشر» بضم العين وفتح الشين. وهو شجر قصير الساق ينتج طبيعيًّا من غير غراس، بداخل أوراقه وفروعه مادة لزجة بيضاء، تجهض المرأة، وتعمي البصر، وتمتص الشوكة التي تدخل في جلد الإنسان. ويُستخرج من زهره سكر قليل يشبه السكر «السنترفيش»، وثمرته كبيرة بداخلها وبر حريري يصلح لعمل الورق والأقمشة الحريرية، ويُستخرج من عيدانه مادة السبرتو.

البعثة في تسانايا وكسلا (وحفلة شاي بنادي موظفي كسلا في يوم الجمعة أول فبراير)

ازدحمت المعلومات والأخبار لدي في أثناء الرحلة، وتزاحمت الخواطر عندي، حتى لأجدني حائرًا في صياغة ما اجتمع لدي، ولكل شيء عندي أهميته وفائدته. ومن الأسف الشديد أننا نكتب عن بلد كان يجب أن تكون تفاصيل تاريخه وحوادثه معروفة للعامة؛ لأن السودان ارتبط بمصر قديمًا، وفيه دماء مواطنينا وأموالنا، ونحن بناة خطوطه الحديدية وطرقه، ومؤسسو حضارته، وكان معسكرًا لجيوشنا، ومستزادًا لضباطنا، وللمصري في كل ناحية أثر: في العادات واللغة والدين، وفي بناء المساكن، في تأثيث الدور، وبناء المساجد.

ونحن — الكتَّاب والسياسيين، صحفيين وغير صحفيين — طالما دبجنا المقالات من السودان ونبهنا الأذهان إلى علاقته بمصر، ولكنني — وقد زرت بعض مدنه — أقول إن ما كنا نتصوره عن السودان على ضوء الكتب التي طالعناها والروايات التي سمعناها، لا يصور الواقع كله، وسنعود إلى مصر وفي أذهاننا صورة أخرى صادقة.

إن بين مواطنينا الألوف ممن عاشوا في السودان — كرجال الجيش المصريين الحاليين والمتقاعدين، وكالموظفين المصريين السابقين في حكومة السودان أو في وزارتي الحربية والأشغال المصريين والتجار — ولكن من منهم عُني بوضع كتب أو إلقاء محاضرات عن السودان أو بعض مناطقه أو حوادثه أو حاصلاته؟! وإذا وُجد شيء من ذلك فهو النذر الذي لا يحتسب، والقليل الذي لا يشفي بعض الغلة.

وأعتقد أن البعثة المصرية للسودان ستعرف مواطنينا بالسودان، وأنها قد آصرت بين المصريين والسودانيين بما لم يقم به الألوف الذين عرفوا السودان وعاشوا فيه.

وقد دار حديث بيننا وبين أحد أعيان السودان، تناول هذه المسألة فقال: «لقد كانت غاية علمكم بالسودان ما سمعتموه من بعض الموظفين المصريين الذين يرون في السودان منفى، ولا يقنعون بشيء إلا أن يسكنوا القاهرة دائمًا فهم لا يرضيهم أن ينقلوا إلى أسيوط أو حتى إلى بنها!»

بعثتنا تزور السودان بروح أخرى غير روح الموظف الحانق على بعده عن القاهرة، ذلك الموظف الذي يأنس إلى حياة المقاهي والبارات والملاهي والرخاوة، أو يقبع في بيته، ويريد الحياة آمنة، ليس فيها شوك قتاد، أو بعد مزار.

إنني أدعو مواطني — وخاصة شباننا بالجامعة وغيرها — إلى زيارة السودان، وأدعو وزارة المعارف أن تحفل بدروس الجغرافيا والتاريخ عن السودان، فالكتب الحالية هي أسوأ سبيل للوقوف على حالة السودان.

لو كتبنا ألوف المقالات عن السودان وقدمنا البراهين والأسانيد على علاقته بمصر، لما أفادنا هذا شيئًا، إذا لم نواصل زيارة السودان، وإذا لم تغير وزارة المعارف منهج دروس الجغرافيا والتاريخ عن السودان.

زيارة تسانايا بإريتريا

في الساعة الثامنة من صباح اليوم زار حضرة فؤاد بك أباظة ومعه عشرة من زملائه مزارع تسانايا على الحدود السودانية الإريترية، وقد زارها حضرته في العام الماضي وفي سنة ١٩١١، بدعوة حضرة الدكتور جسباريني عضو مجلس الشيوخ الإيطالي لإريتريا والصومال سابقًا الذي استقال من هذا المنصب، وألَّف شركة لزرع القطن في تسانايا، في مساحة تبلغ ثلاثين ألف فدان قابلة للزراعة، وقد تم حتى الآن زراعة ٦٥٠٠ فدان من القطن السكلاريدي والأشموني، ولم تفلح تجربة زراعة القطن الأمريكي؛ فإن بذوره لم تثمر شيئًا، فعدل عن زراعته. ويجود الفدان بقنطارين أو أربعة، ولتسهيل الري أُنشئ على مجرى الجاش سدٌّ، وأُقيمت قناطر على الترعة المتفرعة منه، وينتفع بالسد في ري كسلا وبالقناطر في ري تسانايا بمقتضى اتفاق بين حكومتي إريتريا والسودان، وتدفع حكومة السودان ثمنًا للماء لحكومة إريتريا، التي تقرض زرَّاعها ٤٠ ليرة على كل فدان، وتقرضهم البذرة وتخصم القرضين من ثمن المحصول.

والجاش يجيء من الحبشة ويروي كلًّا من إريتريا وكسلا، وتربة الأرض تكاد تكون واحدة، وتزيد الشركة الإيطالية مساحة زراعة القطن في تسانايا سنة بعد أخرى؛

فقد زادت هذا العام ألفي فدان. أما ماء الري فهو كافٍ، ولكن العقبة هي في إعداد الري وفي إنشاء ترع جديدة؛ لأن الأرض ليست مسطحة، فهى في ارتفاع وانخفاض، والأيدي العاملة قليلة.

والوقت في إريتريا متقدم ساعة عن الوقت في السودان، فإذا كان الوقت به الساعة السابعة صباحًا كان في إريتريا الساعة الثامنة صباحًا. ومباني تسانايا منتظمة ومقبولة، وبها أحجار الجرانيت ومعدن الذهب، وبها محلج ومعصرة للزيت ومصنع للصابون. وقد عُين نجار مصري من المنصورة لصنع دواليب المحلج، بمرتب شهري قدره ٢٥ جنيهًا، وله إجازة ستة أشهر في السنة.

وموعد جني القطن في تسانايا يقع في موسم زراعة القطن عندنا، فهم الآن يجنون قطن تسانايا ويستمر الجني حتى مايو القادم، ونحن في مصر نبدأ بزرع القطن الآن. وأنفقت إيطاليا نحو نصف مليون جنيه لتنظيم الري.

وبين كسلا وحدود إريتريا ٢١ ميلًا، وبين الحدود وتسانايا ٢٢ ميلًا عند سد الجاش المشار إليه، وفي تسانايا دوم له مصنع بها لصنع ألواح الزراير وتُصدَّر للهند، حيث تستكمل صناعتها وتُباع فيها. وسكان إريتريا جميعًا مسلمون، ويتألف منهم جيش وطني حسن الزي العسكري «يماثل جنود قوة الدفاع عن السودان»، ويلبس جنوده طرابيش ذات أزرار حمراء وبأحزمة صفراء.

وطريق السيارات بين تسانايا وكسلا سهل.

وقد تناول الأعضاء طعام الغذاء على مائدة وكيل جسباريني وعادوا إلى كسلا الساعة الثانية والنصف بعد الظهر.

حفلة موظفي كسلا

أقام حضرات موظفي بندر كسلا حفلة شاي تكريمًا للبعثة الساعة الخامسة من مساء اليوم — الجمعة أول فبراير — حضرها الأعيان والتجار، وألقيت فيها الخطب. وقد تجلت روح الأخوة والإخلاص في هذه الحفلة، وشعرنا جميعًا أننا أبناء أسرة واحدة.

ولحضرات الموظفين نادٍ رئيسه عمر الأمين العمرابي أفندي، وأمين صندوقه إبراهيم البلولة أفندي، وسكرتيره أحمد فرج الله أفندي، والأفندية: حسن عبد الغني مدير أعمال، وتوفيق صالح جبريل أمين مكتبة، وحسن قورين سكرتير ألعاب، والأفندية: محمد عثمان العوض المرضي، والشيخ إبراهيم مالك، وشفيق رمزي، وإبراهيم الجندي،

والدكتور علي أحمد باخريبة، والدكتور عباس حمد نصر، وحمد النيل، وإبراهيم حاج أحمد، أعضاء.

وأعجبني حسن إلقاء الخطباء مع أنهم من التجار ومن غير محترفي الأدب؛ ولذا أسجل فيما يلي شيئًا من هذه الخطب:

خطاب الحسن العوضي

ألقى حضرة الشيخ الحسن العوضي بالمعهد العلمي بأم درمان سابقًا خطابًا قال فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ.

وبعدُ، فإني أتشرف بالمثول أمامكم لأتلو كلمات، فإن أحسنت فذلك الغرض والحمد لله. أيها السادة، إن الحياة تستلزم العمل، وهو ذو طرق شتى، ومظاهر جمة تختلف باختلاف النفسيات. وقديمًا قالوا إن طرق الكسب الناجعة أربعة: الإمارة، والتجارة، والزراعة، والصناعة، وهذه كلها أسها المتين الذي ترتكز عليه، وقوامها الحق الذي تنمو به شيئان: الإخلاص والصدق.

أيها السادة، إنا نحتفل بأمة هي ذات القدر العظيم — أستغفر الله — بل أمم في هذه الشخصيات التي بين ظهرانيكم، أمم لها النصيب الأوفر والقدح المعلى في جميع ضروب الحياة. أمم التفكير، أمم الرقي، أمم التمدن، أمم الإحسان.

وواصل خطابه على هذا النحو، وقوبل بالتصفيق الحاد.

خطاب أحمد البشير حسن

السلام عليكم ورحمة الله. بالأصالة عن نفسي ونيابة عن إخواني التجار الأجانب والوطنيين، أقف لأحييكم تحية حارة، وأهنئكم بسلامة الوصول لبلدتنا «كسلا» التي أشرقت عليها شمس مصر المضيئة، وإننا سنسجل لكم هذه الزيارة في سويداء القلوب لكي تظل خالدة كلما مر هذا اليوم.

سادتي، إن هذا الحفل الصغير في مبناه، الكبير في معناه، هو أقل ما يُعمل لهذه الزيارة الميمونة.

وقد قوبل خطابه بالتصفيق والإعجاب، وقد ألقى كل من حضرات فؤاد أباظة بك، والأستاذين عبد المجيد الرمالي وعلي شكري خميس، كلمة شكر وإخلاص وود. وقد ودعنا الأهالي حتى المحطة خير وداع، تشيعنا قلوبهم قبل أبصارهم. وركبنا القطار الخاص مساء إلى القضارف.

وقبل سفرنا زرنا المدينة وشهدنا حوانيتها ومساكنها. والمدينة مخططة، وطرقاتها صغيرة منتظمة، ومنازلها ذات دور واحد، وبها تجار يونانيون مع عائلاتهم. وزرنا الشركة التجارية الحبشية التي يملكها أربعة يونانيين، ولها وابور النور الذي يضيء المدينة بالكهرباء، وسعر اللمبة الواحدة ١٥ قرشًا في الشهر بالنسبة للأهالي، وخمسة قروش لكل ٤ كيلوات لمكاتب الحكومة. وللشركة مطحنة تجارية ومصنع للثلج والكازوزة ومخازن لمبيع الأقمشة والخردوات.

على أن أكثر السكان يستضيئون بالكلوبات والغاز العادي، وكل من يسير خارج المدينة يجب عليه حمل مصباح وإلا قبض عليه.

وزرنا دكان مسيو كوستي لبيع جلد النمر. وللمدينة أسواق منظمة تباع فيها المأكولات والذرة وأفمام السجاير.

وأكثر مساكنها وعقاراتها للحكومة التي تعطي الأرض للأهالي حكرًا.

وبالمدينة لوريات لحمل البضائع والركاب، وعربات نقل تجرها الحمير.

ويؤخذ ماء الشرب من آبارٍ ماؤها عذب هي قريبة جدًّا من سطح الأرض، وكلما وجدت أشجار العشر كانت دليلًا على قرب الماء. وتبنى المنازل من الطوب الأخضر والبوص والجريد. ودور الحكومة والحوانيت الكبيرة من الطوب الأحمر.

وزرنا المجزرة حيث تباع اللحوم، وسوق بيع الخضر، «وسوق النسوان»؛ وهي سوق تتولى البيع فيها النساء والعجائز.

ثم زرنا عند الجبل «الخاتمية»، وهي موطن السادة أصحاب الطريقة الميرغنية التي لها أشياع في أكثر أنحاء السودان؛ ولا سيما مديريتي كسلا ودنقلة. وقد زرنا منزل فضيلة الحسيب النسيب السيد محمد حسن الميرغني، واستقبلنا فضيلتة بالإكرام. وهو شاب في العقد الثالث من عمره، مديد القامة، نحيف الجسم. ثم زرنا ضريح زعماء السادة الميرغنية، ثم صعدنا إلى جبل «الختمية» وشهدنا «السرف» بفتح السين

والراء، وهو نبع ماء معدني عذب في أسفل الجبل، به ماء جارٍ بين أحجاره — وهي من الجرانيت — ورأينا حوله بعض النساء والأولاد يملآن بأيديهم الجرار من ماء النبع بسهولة. وشربنا جرعة فوجدناه ماء صافيًا. ويستعمل الأهالي هذا النبع أيضًا في غسيل الملابس حوله ولشرب الماشية.

ثم زرنا دار فضيلة الحسيب النسيب السيد محمد عثمان الميرغني، وهو الشقيق الأكبر للسيد محمد الحسن الميرغني، واستقبلنا بحفاوة وإكرام.

والطريقة الميرغنية يتزعمها الآن حضرة الحسيب النسيب السير السيد علي الميرغني بالخرطوم. وقد تعلق الأهالي بزعمائها، حيث يلثم عامتهم الأعتاب عند زيارتهم. وللسادة الميرغنية نفوذ عظيم جدًّا. ويزور الأهالي ضريح الخاتمية يوم الجمعة من كل أسبوع.

وزرنا المكتبة الميرغنية لصاحبها السيد «الطيب الدويح»، وهي تتولى بيع الجرائد والمجلات المصرية والخردوات وغيرها.

وفي الساعة الحادية عشرة والنصف صباحًا زرنا مستر «ريدفورد» مدير كسلا في ديوان المديرية، حيث استقبلنا بحفاوة، وألقى محاضرة على ضوء خريطة مديرية كسلا. ونظرًا للحر كانت هناك مروحة من القماش تبلغ مساحتها ١٢ مترًا مربعًا معلقة في سقف الغرفة ومرتبطة بحبل يخرج من ثقب في جدرانها إلى جوار بابها، وهناك عامل يمسك بالحبل ويحركه فتتحرك المروحة وترطب جو الغرفة.

وقابلنا حضرة مأمور مركز كسلا عمر أمين أفندي وحضرة إبراهيم الجندي أفندي الموظف بهندسة السكة الحديدية السودانية.

وننشر فيما يلي خلاصة محاضرة المدير.

محاضرة مدير كسلا

بلغ محصول الذرة المصرية ٢٢٤٩١١ إردبًّا، والسمسم ٣٥٥٨٨ إردبًّا، والدخن ٥٤٠٠ إردب. ٥٩٨٤٠ قنطارًا من القطن، و١٤٢٥٣٠ إردبًّا من الذرة.

ونُقل بالسكة الحديد ٩٩٧١ طنًّا من الذرة، ومن السمسم ٦٨٥٥ طنًّا، ومن الصمغ ١٥٧٨ طنًّا، ومن حب الدوم ٢٦٣١ طنًّا.

وتتولى الشركة الزراعية الإنجليزية بيع قطن «نهر الجاش» بكسلا في إنجلترا، وتعطي الأهالي ٥٠٪ من الأرباح. وقد بلغ نصيبهم في العام الماضي ٩٥ ألف جنيه. وتأخذ

الحكومة ٢٥ في المائة من أرباح بيع قطن طوكر، الذي يتولى بيعه الأهالي أنفسهم. وقد بلغ نصيب الحكومة في العام الماضي ١٥٨٦٢ جنيهًا، ونصيب الأهالي ٤٧٥٨٦ جنيهًا.

وبلغ ما أنتجته مديرية كسلا من الذرة ٣٦٧٤٤١ إردبًّا في العام الماضي.

وتشتهر مديرية كسلا بتجارة الجمال، وتتولى هذه التجارة «قبيلة الرشايدة»، وهي من عرب جزيرة العرب، أقامت بالسودان منذ ٨٠ سنة، وتصدِّر الجمال إلى مصر فتُباع بأسواق فرشوط وإمبابة، ويقول بعض الأهالي إن الجمال تسير من كسلا إلى فرشوط في مدة ١٤ يومًا، وهي تسير ليل نهار ومعها حراسها الأكفاء الساهرون. ويتراوح ثمن الجمل بين ثلاثة جنيهات وأربعة وستة وثمانية وعشرة، ومتوسط الثمن ستة جنيهات. وقد بلغ ثمن الجمال المبيعة، وعددها ١٤١٠٥، سنة ١٩٣٤، ٨٤ ألف جنيه.

وتتألف مديرية كسلا من مديريتي كسلا والبحر الأحمر؛ فقد ضُمَّتا أخيرًا وأصبحتا مديرية واحدة طولها ٧٤٠ ميلًا، وعرضها ٢٥٠ ميلًا، ومساحتها ١٣٥٦٠٠ ميل؛ أي مثل مساحة فرنسا وسويسرا معًا. وهي ثالث مديريات السودان اتّساعًا، فتأتي بعد كردفان ودارفور. وللمديرية مدير ونائب مدير ومفتش مديرية، وفيها عشرة مفتشين لمراكز كسلا. ومن مراكزها: سواكن وكسلا والقضارف وسنكات وطوكر. لها مأمورون.

وعدد سكان مديرية كسلا ٣٧٨١٠٩ نسمة، وهم من قبائل الهدندوة والبجة وبني عامر والبشاريين والحلانقة والرفاعية والشكرية والبطاحين، ومن مهاجري مكة والحجاز واليمن وحضرموت والحبشة وإريتريا والسودان الفرنسي وبربر.

ولكسلا شاطيء على البحر الأحمر، به سلسلة جبال تبتدئ من جبل المقطم، وهناك شركتان لاستخراج الذهب من بعض مواقع هذه الجبال بكسلا، وفيما بين يونية وأغسطس تنزل الأمطار بكثرة، وأشد برودة في الشتاء في نوفمبر وديسمبر، وفي القضارف يخزن الماء في آبار تحفر، وتدفع حكومة السودان إلى حكومة إريتريا خمسين ألف جنيه ثمنًا لماء نهر الجاش الذي ينبع من جبالها.

ثم زرنا بستان البكباشي عثمان علي كيلة، وهو ضابط مصري من أصل سوداني، له بستان مؤلف من واحد وعشرين فدانًا يرويه وابور، وينتج من الفاكهة: العنب والموز والجوافة والتين والرمان والباباز. واستقبلنا استقبالًا كريمًا، ثم تناول الأعضاء طعام الغداء، وقد أقام تجار المدينة وموظفوها حفلة شاي تكريمًا لأعضاء البعثة.

وقد توجه صباح اليوم الساعة الثامنة فؤاد أباظة بك ومعه تسعة من أعضاء البعثة إلى تسانايا داخل حدود مستعمرة إريتريا، وحصلوا على ترخيص باجتياز الحدود

لمشاهدة زراعة قطن الجاش في إريتريا، وعادوا إلى محطة كسلا الساعة الثامنة والنصف بعد الظهر.



موسيقى فرقة العرب الشرقية بالقضارف تحيي البعثة.

الفصل الخامس

من القضارف إلى سنار

في يوم السبت ٢ فبراير

بارح القطار الخاص محطة كسلا الساعة الثامنة من مساء أمس إلى «القضارف»، فوصلنا إليها الساعة الرابعة والنصف من صباح اليوم، وعند الساعة السابعة والنصف استقبلنا جمع غفير من الموظفين والتجار والأعيان يتقدمهم حضرات الشيخ حمد أبو سن ناظر خط القضارف ورئيس فرع قبيلة الشكرية، والشيخ عبد الكريم زايد ناظر عربان الضباينة، والسيد مدني، والحاج علي الكردي، وأحمد الحاج عبد الله، والحاج علي الحسين، والحاج محمد يوسف علقم، وعبد القادر الخانكي، وعباس تولة، وجعفر النصيري، وكرار كشة، ومحمد سيد ميزو، وعوض السيد جابر، والخواجات كيكوس جوانيدس، وجورج مكريدس، وروفائيل جريس، وكرياكو بابا جورجي، ويعقوب أجيب بشيان، وباغوص كالباكيان صاحب معصرة الزيت بالقضارف.

وشارة مديرية كسلا التي يضعها الجنود على ملابسهم «الشوتال»، والشوتال هو سكين ملتوية يحمله أفراد قبيلة الهدندوة. ولكل مديرية في السودان شعار مأخوذ من عادات سكانها أو شهرة حيواناتها.

وتوجهنا بالسيارة إلى «نادي الوطنيين»، وهو نادٍ للأعيان والتجار، وقد رُفعت أمامه الأعلام وأُعدت موائد لتناول طعام الإفطار، ووُضعت في وسطها منضدة عليها أوعية تحمل كل منها صنفًا من حاصلات القضارف.

وقد حيَّت البعثة موسيقى فرقة العرب الشرقية، وهي الفرقة المخصصة لحماية الحدود. وعندما وصل الميرالاي «كير» بك صدحت الموسيقى بسلام السردار، وهو السلام المعتاد في الحفلات العسكرية والرسمية. وفي الحفلات الرسمية الأخرى تؤدي الموسيقى

سلام ملك إنجلترا. وبين القضارف وحدود الحبشة مسافة تقطعها السيارات في ٦ ساعات. وهناك فرقة العرب الشرقية مؤلفة من البيادة والسيارات والجمال.

وأصل كلمة «القضارف» «الغضارف».

وسكان المدينة من الشكرية والجعليين والمغاربة والمهاجرين إليها من المديريات الأخرى؛ إذ قد مُنع دخول المهاجرين الأحباش نظرًا لما لوحظ فيهم من الميل للإجرام والاتجار بالأعراض، وحمل الأمراض.

وتتصل القضارف بمدينة «القلابات» على حدود الحبشة، ونصف سكانها من الأحباش، وبها مصنوعات الحبشة والبن والعسل والدوم والفول والعدس والكسبرة والكمون والبقر.

وبعد تناول طعام الإفطار ألقى حضرة الشيخ محمد سيد ميزو — من تجار القضارف — الخطاب المنشور بعد.

وزار الأعضاء غربال مسيو كونتو ميخالوس، وهو غربال آلي لتنقية الذرة من الطين، وثمن التنقية مع الحزم والشحن ٢٥ قرشًا للطن.

ثم شهدنا سوق السمسم — وبه بورصة للمضاربة — فيقيد البائعون أسماءهم في دفاتر، وكذلك طلاب الشراء الذين يقفون صفًّا وبيد كل منهم نمرة، فيمر المنادي بكل منهم ويذكر له الثمن الأساسي. فإذا زاد عليه أحد المشترين، عرضه المنادي على المشتري التالي، فإذا لم تحصل زيادة عرض المنادي الثمن الذي رست عليه المزايدة على البائع، وسأله هل يقبل البيع بهذا الثمن، فيقول نعم أو لا كما يشاء، فإذا قال نعم تم البيع. وكان ثمن إردب السمسم ١٥٦ و١٥١ قرشًا اليوم. والإردب ١٦ كيلة، والأسعار أغلى من أسعار بور سودان. ويجود الفدان بأربعة أو خمسة أرادب.

وكذلك للصمغ سوق وبورصة على الطريقة السالفة، وكان ثمن قنطار صمغ الهشاب متراوحًا بين ٥٥ و٦٠ قرشًا، وثمن صمغ الطلح ٢٢ قرشًا؛ لأن العادة أن تكون أسعار الأسواق الصغيرة أعلى؛ نظرًا لكثرة من يستطيعون شراء الكميات الصغيرة. أما في الأسواق الكبيرة فإن الكميات كبيرة والمشترون قليلون والمضاربة ضعيفة.

وفي القضارف مدرسة ابتدائية أميرية بها ١٩١ تلميذًا في أربع فرق وثلاثة مدرسين، وناظرها الشيخ إبراهيم عامر. وكذلك توجد جمعية رياضية باسم «جمعية التعاون الرياضية».

خطاب الشيخ محمد سيد ميزو

سادتي الأجلاء:

أحييكم تحية المودة والإخلاص، وأحيي في أشخاصكم الكريمة الهمم العالية والعقول النيرة، ولي الشرف أن أقف بين أيديكم معبرًا عن سرور تجار القضارف.

ثم قال:

وبما أن مهمة هذه البعثة الاستطلاع على حالة البلاد التجارية والزراعية وتحسين العلاقات الاقتصادية، وبما أن القضارف هي بلدة زراعية، فإني أود أن أشرح لسعادتكم حالتها بإيجاز فأقول:

هذه البلدة ذات أراضٍ واسعة جدًّا وخصبة، ويتوقف ريُّها على الأمطار التي تهطل بكميات وافرة من أوائل يونية إلى أوائل أكتوبر، حيث تزرع فيها المحصولات المتنوعة من الذرة بأنواعها والسمسم والفول السوداني والقطن، هذا بخلاف ما تنتجه غاباتها الكثيفة من الصمغ بنوعيه؛ هشاب وطلح، وأيضًا القرض.

الحاصلات:

السمسم: كان محصوله في العام الماضي سبعة آلاف طن تقريبًا، وهو — بلا شك — أجود أنواع السمسم السوداني، ونوعاه: طبيعي «ناتورال»، ومغربل بغربال مسيو كونتو ميخالوس. ويصدر معظمه للقطر المصري.

الذرة: وأهم أنواعها «الفتريتة»، ومتوسط محصولها حوالي أربعين ألف طن تقريبًا، يُستهلك معظمها محليًّا في السودان.

الذرة المقد والقصابي والحميري صُدِّر منها في العام الماضي أربعة آلاف طن تقريبًا للقطر المصري. وأنواعها: الشامي، وتزرع على شاطيء الرهد بعد الخريف، وصدِّر منها في العام الماضي حوالي ٣٠٠ طن.

ويمكن إنتاج القطن الأمريكي هنا، وقد أُهملت زراعته لتدهور أسعاره.

الصمغ الهشاب: كان محصوله في العام الماضي ١٣٠ طنًّا، وكان سنة ١٩٣٢ أربعة آلاف طن صُدِّرت للخارج. الصمغ الطلح: وقد كان محصوله في العام الماضي ٧٠ طن صُدِّرت للخارج. القرض: ويصدر إلى مصر.

وأهم ما نستورده من مصر: السكر والصابون، والسجاير، والحلوى وبعض الأقمشة نسيج نقادة وأخميم، والأحذية، وغيرها. ا.هـ.

كلمة فؤاد أباظة

وألقى حضرة فؤاد أباظة بك كلمةً شكر فيها الداعين وقوبلت بالتصفيق.

زيارة الشيخ حمد أبو سن

وقد زار الأعضاء دار الشيخ حمد أبو سن ناظر خط القضارف وعين أعيانها، وهو الشيخ حمد بن محمد بن عوض الكريم بن أحمد باشا أبو سن ناظر خط أبي سن بالقضارف، وهو شيخ في منتصف الحلقة السابعة من عمره، مديد القامة، وافر الصحة، وضاح الجبين، واسع الكرم، يرأس محكمة القضارف الأهلية. وللمحاكم الأهلية في السودان نظام خاص يشبه نظام محاكم الأخطاط في مصر أو المحلفين في أوروبا. يتناول مرتبًا كبيرًا، وله أملاك ومزارع وماشية، وله ولدان يعاونانه في أعماله الزراعية، وكلاهما رئيس محكمة في منطقة؛ اسم كبيرهما محمد، والصغير أحمد.

وقد قدم أبو سن للأعضاء نوعين محليين من الشراب البارد؛ أحدهما اسمه «الآيري»، وهو خبز رقيق جاف كالورق يُنقع في الماء ويشرب منقوعه مسكَّرًا أو غير مسكر «بفتح الكاف المشددة»، وله حموضة مقبولة تقرب من مذاق شراب التمر هندي.

ويُصنع هذا الخبز من عجينة الذرة الناعمة جدًّا المخمرة، كطريقة صنع الرقاق في مصر.

والثاني «غباشة»، وهو شراب يُتخذ من اللبن الرائب، سواء أنزع منه الدهن الذي يسمى «الروب» أم لم ينزع، ويضاف إليه شيء من الماء، ويمكن تحليته بالسكر. وهو شراب مُغذٍّ مرطب للجسم، ملين لذيذ الطعم، ناقع للغلة. وسأثابر على تعاطيه عند عودتي.

وقد زرنا المدينة وشهدنا بها حيًّا بريطانيًّا يسكنه الموظفون الإنجليز، ودكاكين المدينة ومنازلها. وطرقها مخططة خطوطًا مربعة، وقد جُعلت الحوانيت في منطقة، ولم تبنَ المساكن فوق الحوانيت، بل جُعلت إلى جوارها. وكلها دور واحد، وجديدة البناء. وبالمدينة مستشفى يسع ٦٠ مريضًا، وبه طبيب إنجليزي وآخر مواطن سوداني، ومستشفى عسكري يسع ٢٥ سريرًا، ومستشفى للجذام يسع ثلاثين مريضًا، ومحكمة أهلية، ومدرسة بنين أولية، ويلبس تلاميذها الجلاليب البيضاء، ويجلسون القرفصاء في الفصول — كما في جميع المدارس الأولية بالسودان — ومسجد، ومصنع للكازوزة والثلج. وليس بها كهرباء، وجوها معتدل صحي إلا في الخريف، وسكانها أهل جد وسماحة، وفيهم يونانيون وأرمن كثيرون يتجرون في كل شيء. وفي الغالب يشتمل الحانوت الواحد على العطارة والخردوات وأدوات المنازل والأحذية والسجاير. والأرض ملك للحكومة، وتعطى حكرًا للأهالي لمدة ثمانين سنة لهم حق الانتفاع، وتؤجر الحوانيت بين جنيه وخمسة جنيهات. ورخصة الحانوت جنيه في السنة، وتؤجَّر الحوانيت بالمزاد، وبناؤها ملك للأهالي وفقط الأرض للحكومة، وتنتشر البضائع اليابانية في المدينة وفي السودان كله. ولمسيو فيليب كالفاكيان فابريقة للزيت والثلج، وهو صياد ماهر، وللشركة التجارية الحبشية بكسلا فرع بالقضارف. وللخواجة روفائيل جريس «مصري» متجر كبير.

وجامع القضارف بُني سنة ١٩١٢ في عهد صالح عبد الرحمن أفندي المأمور سابقًا.

وقد ودعنا الأهالي في المحطة حيث سافر القطار في منتصف الساعة الأولى بعد الظهر.

ويبلغ عدد سكان القضارف ٥ آلاف داخل البندر، و٥٠ ألفًا بضواحيها. وواصل القطار سيره من القضارف حتى سنار، وكان الجو حارًّا، وكان السكان على طول الطريق في كل محطة يخرجون لاستقبال البعثة، وتلقي الخطب.

عبد الرحمن مصطفى بقلع النخل

وقد ألقى حضرة الشيخ عبد الرحمن مصطفى بقلع النخل كلمةً قال فيها:

> أراني سعيدًا جدًّا بتقديمي هذه العجالة للترحيب بكم أصالةً عن نفسي ونيابةً عن إخواني التجار بقلع النخل، وإن لم أكن أهلًا للوقوف أمام سدتكم، ولكن داعي الغبطة والسرور دفعني دفعًا لهذه الجرأة.

> سادتي، لا أكون مبالغًا إذا تجرأت وقلت إن التجار السودانيين على أتم الاستعداد الكامل لأن يبرهنوا على أن السودان تجارًا وشعبًا يرحبون بهذه الزيارة التي هي بمثابة الحلقة المفقودة.

فقوبل خطابه بالتصفيق ورد عليه فؤاد أباظة بك بكلمة شكر.

وقد مررنا بمحطات ود الحوري هلت، ومتنا، وقلع النخل، وجبل قرين، وحواتة هلت، والحصيرة، وخور العطشان، والدندرد.

ثم السوكى حيث استُقبلنا استقبالًا رائعًا لوقوف القطار ٢٥ دقيقة، وقد أدهشنا هؤلاء القرويون بمعرفتهم لأسماء الأعضاء وسؤالهم عن الأعضاء المتخلفين في القاهرة؛ كسعادة جعفر والي باشا وحضرة حمدي سيف النصر بك، وسؤالهم عن الدكتور محجوب ثابت ومعرفته بمجرد رؤيته، وسؤالهم عن الدكتور يوسف نحاس بك وطلبهم مشاهدته، وكسؤالهم عني. فلما سألتهم كيف يعرفونني، قالوا لي: إننا نقرأ مقالاتك، ونعرف أن لك مجلة تسمى الجريدة القضائية، وأنك محامٍ. فكنت دهشًا لهذه المعلومات التي يوجد كثيرون في مصر لا يعرفونها. وسألوا عن الأستاذ فكري أباظة، وذكروا لنا — في ذكاء عجيب — أخبارًا كثيرة عن مصر.

ثم مررنا بمحطات حمدنا الله وكساب الدوليب، وشهدنا خزان سنار الذي كان معروفًا فيما مضى باسم خزان مكوار — ومكوار قرية. وقد رؤي أن ينسب الخزان إلى سنار أولى من مكوار — ووصلنا محطته الساعة الحادية عشرة مساءً، وبتنا في القطار.

أحراش وأشجار

وقد رأينا أحراشًا على طريق السكة الحديدية بين كسلا والقضارف شاملة أشجارًا متوسطة الطول حمراء السيقان، أكثرها الطلح الذي يؤخذ منه صمغ معروف باسم «صمغ الطلح» بواسطة فتح لحايته فتتجمع المادة الصمغية اللزجة في الفتحة وتتجمد، وعند ذلك تُجنى. وتشبه هذه العملية تجمع الدم وتجمده إذا ما جُرح الجسم.

وبين شجر الطلح ظهر شجر آخر أبيض الشكل يسمى «اللعود»، له صمغ خاص أقل قيمة من صمغ الطلح وأشجار «السدر»، وله ثمر يعرف بالنبق أقل حلاوة من التمر، وهو مكور صغير الحجم يشبه العنب، تؤكل جلدته امتصاصًا وتُرمى نواته، وقد يُجفَّف ويُدقُّ ويُعمل من دقيقه أقراص تؤكل كأقراص التمر هندي الذي يسمى



سوق سودانية.

في السودان «عرديب»، ويوجد أيضًا أشجار السلم والشمر والسيال المعروف «بالغضا»، وهو خشب صلب الجمر في النار.

وقد ورد «الغضا» في قول مالك بن الريب:

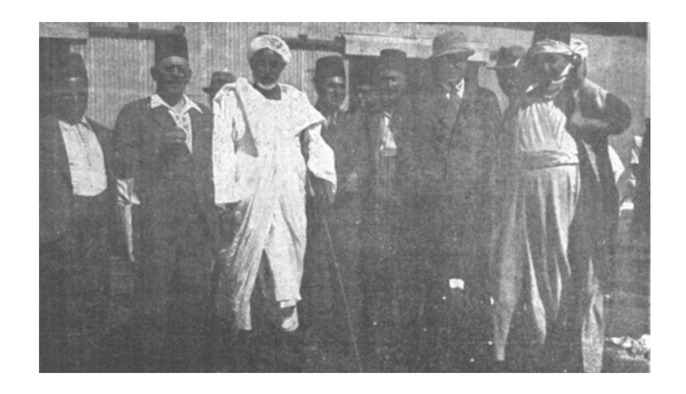
فليت الغضا لم يقطع الركب عرضه وليت الغضا ماشى الركاب لياليا

ويغمر هذه المنطقة أيضًا حشائش تستوي على سوق دقيقة وترتفع نحو المتر والنصف، وساقه ذات عقل وهو هش الجوف، ولهذه الحشائش أسماء؛ منها: النال، ويُستعمل في صنع الأخواص للمساكن، ولا ينفذ من قبابها ماء المطر. والنال عطري الرائحة. ويتخلل حشائش النال قصب العدار، حبه يشبه حب الدخن لونًا وحجمًا، ويمكن أن يصنع منه خبز خشن يأكله الفقراء أو يؤكل في المجاعات، وهو أيضًا مرعى خصيب للأبل.

وخشب شجر السرح يُستعمل في الوقود.

وعلى الطريق مزارع الذرة التي بعد أخذ حبها ورعي المواشي أوراقها الخضراء تُحرق بالنار لإعداد الأرض للزراعة الجديدة. والرماد المتخلف يكون سمادًا صالحًا للتربة، وتُعرف حبوب الذرة على اختلاف أنواعها باسم «العيش».

وأرض المنطقة خصبة جدًّا، وتنقصها اليد العاملة.



في القضارف (يرى من اليسار: عبد الله حسين. عبد الحميد أباظة بك. الشيخ حمد أبو سن. فؤاد أباظة بك. عبد المجيد الرمالي. خميس. عبد المجيد السيد).

الفصل السادس

سنار — خزانها — سنجة

(١) غابات الخشب والقردة وصيد السمك والطيور (في يوم الأحد ٣ فبراير سنة ١٩٣٥)

يحتاج كل رحَّالة أو وصَّاف رحلة إلى تدوين المذكرات، وكذلك كان شأني في تدوين أنباء البعثة المصرية في السودان، وكنت في بداية الأمر بين أن أدون رءوس المسائل، على أن أعد بحوثي عند عودتي إلى القاهرة أو أن أبادر بوضعها يومًا بعد يوم وساعة فساعة، فأخذت بالرأي الثاني حتى تتتابع الرحلة عملًا وتتتابع على صفحات «الأهرام» وصفًا؛ لأستطيع أن ألمَّ بالتفاصيل خشية أن أنساها لازدحام الأخبار وتراكم المشاهد، ولأذكرها وأنا في محيط السودان.

وكان في الأخذ بهذا الرأي عناء احتملته في لذة، وإن استأداني إهمال الطعام وتقاضاني السهر الطويل، فأنا أكتب في القطار والسيارة، وفي أثناء تناول الطعام، وبين غفوات القيلولة — في حرٍ وصلت درجته أحيانًا إلى الخمسين بميزان سنتيجراد!

وإنني كلما فاضلت بين الكاتب يحتمل الجهد والعناء ويحرم النوم والغذاء وبين الصحفي السياسي يجهد أن يحصل على خبر من وزير مصري، فضَّلت الكاتب في حرمانه على الصحفي في استمتاعه براحة، وكم ثارت نفسي على بعض الوزراء والكبراء الذين لا يقدرون مهمة الصحافة أو يفهمونها على أنها آداة تسخَّر للدعاية لهم، ولا يجوز لها أن تطالبهم بالثمن، والثمن هو الخبر الصحفي المعقول، أو لا يجوز أن تعارضهم في رأي.

(٢) في سنار

استيقظنا مبكرين صباح اليوم — الأحد ٣ فبراير — وتناول الأعضاء طعام الصباح ثم توجه فريق منهم عند الساعة التاسعة صباحًا إلى محلج القطن التابع للحكومة والمجاور لمحطة سنار، ويديره — مقاولة — الصياد الإنجليزي المشهور مستر جاكسون، الذي صاد أكبر سمكة عرفها متحف لندن؛ فقد صاد حضرته من النيل الأزرق عند سنار سمكة وزنها ١٢٦ رطلًا إنجليزيًّا من صنف يدعى في مصر «البياض» وفي السودان «العجل».

ويقوم المحلج بحلج القطن الأميركي المزروع في بلاد النوبة في السودان.

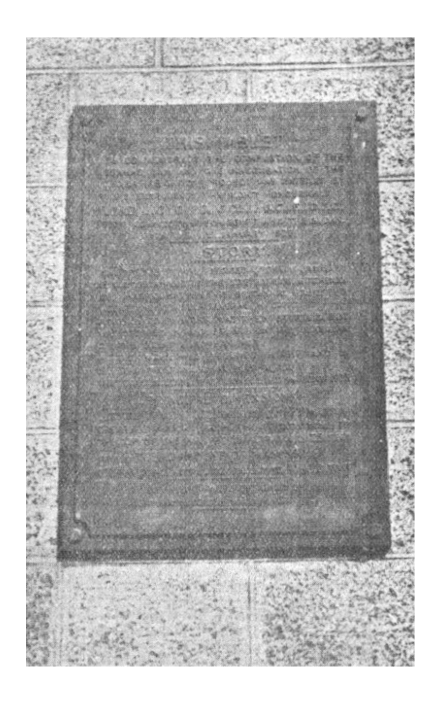
وعند الساعة التاسعة والنصف صباحًا زار الأعضاء مكتب مستر إلين المهندس المقيم لخزان سنار — الذي عرف قبلًا باسم خزان مكوار — وأطلعهم جنابه على رسم برنزي للخزان: أبوابه ومناوره وترعته الرئيسية التي تروي أرض الجزيرة. ثم توجه معهم إلى معاينة الخزان نفسه، بادئًا بالترعة الرئيسية التي تأخذ ماءها من النيل الأزرق، الذي ينبع في بلاد الحبشة.

يشبه خزان سنار خزان أسوان والقناطر الخيرية في حجزه الماء خلفه، وفي إحاطته بحديقة واسعة للنزهة، وفي حبس الماء للانتفاع به في ري أراضٍ زراعية، وفي أن سقف الخزان طريق عام لمرور العربات والجمهور. وعرض النيل الأزرق عند خزان سنار ٣٠٠ متر، على أنه يفيض على جانبيه ويغمر جزءًا من الأراضي المجاورة، فيزداد عرضه عند الخزان أحيانًا، وأحجاره من الجرانيت قد اقتطعت من جبل «سجري» على بعد ٢٥ كيلومترًا من سنار. وللخزان أبواب فوقها مناور، تفتح الأبواب لمرور الماء في مجرى النيل الأزرق إلى نهر النيل حاملة الطمي، وإذا كان الماء كثيرًا فتحت المناور أيضًا. وعدد الأبواب ٨٠، وعرض كل باب متران، وارتفاعه ٨ أمتار ونصف.

ويُملأ الخزان من نوفمبر إلى يناير من كل سنة، ثم يُفرغ حيث تكون الجزيرة قد أخذت نصيبها من الماء.

وارتفاع ماء النهر عند الخزان ٢٠ مترًا، حيث يُخزن الماء. وارتفاعه حيث يفرغ ثلاثة أمتار، وارتفاعه عند الونش ٢٤ مترًا.

وفي مجرى النيل الأزرق — قريبًا من الخزان — مرتفعات ومنخفضات، وكانت هناك جزيرة في المجرى أخذت تتلاشى، وبجانب جرفها منخفض عمقه ٤٥ مترًا يظهر أنه تآكل بقوة ارتفاع الماء على سطح الجزيرة الآخذة في التلاشي.



لوحة خزان سنار التي تبين تاريخه بالإنجليزية.

وتصيب الملاريا في السنة من الموظفين بنسبة ٤ إلى ١٣٠. وقد تم بناء الخزان في عهد مستر أرشر الحاكم العام، وهناك لوحة في أعلى الخزان كُتب فيها أسماء الحكام العامين الذين تعاقبوا على السودان من كتشنر وونجت إلى ستاك وأرشر، وسنوات مشروع الخزان وأدوار بنائه منذ سنة ١٨٩٩ و١٩١٧ و١٩٢٤ إلى ١٩٢٦ حيث تم الخزان، وكان إنشاؤه موضوع خلاف بين مصر وإنجلترا، وطلب المهندسون المصريون وقفه محافظةً على ماء النيل الأزرق الوارد إلى مصر، وأوقف إنشاؤه فترات في سنة ١٩١٤ بسبب الحرب، وقررت وزارة عدلي باشا سنة ١٩٢١ وقف العمل فيه مع وقف العمل في خزان جبل الأولياء. وزار شفيق باشا وزير الأشغال فيها السودان لهذا الغرض، ولكن سير لي ستاك لم يقبل، وتم العمل فيه مدة خلفه، وفُتح في ٢١ يناير سنة ١٩٢٦.

وذكر أسماء المقاولين والمهندسين، وأولهم السندريني مقاوله، ومردوخ ماكدونالد، وسير أرثروب «مستشار المشروع»، وغيرهم.

(٢-١) خزان سنار وافتتاحه

احتُفل بافتتاح خزان سنار احتفالًا رسميًّا بحضور اللورد لويد المندوب السامي وبعض وزراء الأشغال المصريين وكبار الموظفين والحاكم العام والصحفيين، وناب صاحب العزة الدكتور محمد حسين هيكل بك مدير السياسة عن الصحافة المصرية، وتحدد يوم الأربعاء ٢٠ يناير سنة ١٩٢٦ الساعة الثامنة والدقيقة أربعين مساءً، لقيام المدعوين بالقطار المخصوص من الخرطوم إلى مكوار لافتتاح خزان سنار رسميًّا يوم الخميس ٢١ يناير سنة ١٩٢٦ عند منتصف الساعة التاسعة صباحًا. وقد وصلوا إلى «مكوار»، وإلى خزان سنار الساعة الحادية عشرة صباحًا، وكانت حفلة الافتتاح الساعة الرابعة بعد الظهر، مع مشاهدة وابورات الحليج ببركات.

وتحدد يوم الجمعة ٢٢ يناير سنة ١٩٢٦ الساعة السابعة صباحًا لعودة المدعوين إلى الخرطوم.

وقد جلس اللورد لويد المندوب السامي البريطاني والحاكم العام وقرينتيهما، وجلسوا إلى المنصة وجلس معهم معالي إسماعيل سري باشا وزير الأشغال بالوزارة الزيورية يومئذ، وجلس خلفهم فضيلة الشيخ محمد الطيب هاشم قاضي النيل الأزرق الذي وُكل إليه إلقاء ترجمة الخطب من الإنكليزية إلى العربية، ثم ألقى السير جوفري آرشر حاكم السودان العام خطابًا بالإنجليزية تعريبه فيما يلي:

> يا فخامة اللورد، إني بالأصالة عن نفسي وبالنيابة عن ضباط وموظفي حكومة السودان وهذا الجمع المحتشد، وفي الواقع بالنيابة عن سكان هذه البلاد، نرحب بفخامتكم ترحيبًا قلبيًّا. كلنا نعلم حق العلم مابذلتم فخامتكم أثناء تقلدكم منصب حاكم بومباي من العناية الفائقة والهمة العظيمة في أمور الري وغيرها من المشروعات الآيلة لإسعاد الشعب وترقيته المادية. ولم يمضِ بعدُ سنتان على وضعكم الحجر الأساسي لهذا العمل العظيم على نهر السند الذي أُطلق عليه اسم فخامتكم، فدُعي قناطر لويد. إننا نقدر عظم ملاءمة هذه الفرصة بمناسبة زيارتكم الأولى للسودان كمندوب سامٍ للاحتفال بإقامة خزان سنار، ذلك العمل العظيم الشأن لخير هذه البلاد.

هذا وإننا يا فخامة اللورد لنتفاءل خيرًا بحسن المستقبل لوجودكم بيننا في هذا اليوم، ولا ريب عندي أن السودان في أيامكم وبفضل عنايتكم يبلغ شأوًا بعيدًا في سبيل التقدم والفلاح. وكذلك أودُّ يا فخامة اللورد أن أعرب لكم اليوم عن أمل عظيم، هو أنكم كممثل جلالة الملك في مصر تتمكنون بالاتفاق التام مع مصر من ترويج وتوسيع نطاق الأعمال التي من شأنها حفظ وصيانة مياه النيل لدرجة يُستطاع معها — بدون أن تتعارض مصالح القطرين — زيادة الثمرات، ليس في مصر فقط، بل في السودان أيضًا.

وإن العمل العظيم الذي نشاهده كاملًا أمامنا في هذه اللحظة ما بلغ هذه النهاية إلا بفضل جهاد أناس كثيرين؛ فقد ظل مشروع ري سهول الجزيرة موضوع بحث المستشارين البريطانيين الذين تعاقبوا في وزارة الأشغال المصرية من عهد السير ويليم جارستين، فالأبحاث الأولية التي بدأها المستر ديبوي أكملها السير مردوخ ماكدونلد بمعاونة المرحوم اللورد كتشنر والسير ريجنالد ونجت والمرحوم السير لي ستاك. وإني لا أشك في أن جميع الحاضرين يأسفون أشد الأسف لعدم تمكن السير مردوخ ماكدونلد والسير ريجنالد ونجت من الحضور معنا في هذا الاحتفال. وقد وصلني اليوم الرسالة الآتية من السير ريجنالد ونجت: «عسى أن يكون افتتاح الخزان ومشروع الجزيرة فاتحة عصر فلاح جديد للسودان وشعبه.» ولا بد لي في هذا المقام من القول بأننا نحن الذين تربطنا بالسودان روابط خاصة نُقدِّر أعظم تقدير اهتمام السير ريجنالد ونجت لخير شعوب هذه البلاد الذين حكمهم مدة سبع عشرة سنة بالحلم واللطف. وقد تكرمت وزارة الأشغال المصرية فوضعت بعناية السخاء تحت تصرف حكومة السودان كل ما كان لديها من الموارد للقيام وإنفاذ هذا المشروع العظيم.

وإني لأنتهز فرصة وجود صاحبي المعالي السيد إسماعيل باشا سري، وعبد الحميد باشا سليمان هنا اليوم لأعبر لهما بالنيابة عن السودان عما نحن مدينون به لجميع الوزراء الذين تعاقبوا في وزارة الأشغال العمومية، وللمهندسين القديرين الذين جاءوا من مصر وكان لمجهوداتهم فضل في المعاونة على إتمام هذا المشروع، وسوف لا أجهد فخامتكم في مثل هذا الظرف السعيد بسرد الصعوبات التي صادفت العمل في بدئه، وما زادت الحرب

ونتائجها في تلك الصعوبات، وكذلك لا أطمع في أن أضمن هذا الخطاب القصير ما يجب من الاعتراف لفضل كل أولئك الذين عملوا لإتمام هذا المشروع الذي نحتفل اليوم به. هذا وإني أتقدم بالشكر للسير إدجار نارد والسير إدجار لونهام كارتر والسير جيمس كري لما قاموا به وهم في حكومة السودان من ابتكار هذا المشروع وتنفيذه.

وبعد أن أثنى الحاكم العام على خدمات كل الذين اشتركوا في هذا العمل العظيم ختم خطابه بالكلمات الآتية:

ولي الشرف أن أدعو فخامتكم إلى تكريس هذا العمل الهندسي العظيم لخير السودان وشعوبه.

وقام من بعده لورد لويد فألقى خطبة هذه ترجمتها:

يا صاحب المعالي، ويا حضرات ضباط وموظفي حكومة السودان وعلماء ومشايخ وأعيان وأهالي السودان، حقًّا إني لكبير الحظ أن تكون أول زيارة لي لهذه البلاد كمفوض سامٍ كانت لأجل الاحتفال بإنجاز هذا العمل العظيم الذي تم لي الشرف بافتتاحه هذا اليوم، وقد قابلت أكثركم لأول مرة في الاستقبال الذي أُقيم في الخرطوم احتفالًا بيوم الملك، وأثَّر بي ما رأيته من روح المودة الخالصة التي تسود ذلك الاجتماع الممثل لمصالح متعددة وهامة، وإني أرحب بهذا الاحتفال الذي تقيمه الآن، حيث قد ختمت تلك المودة بفضل عظيم، الغرض منه جلب المنافع الدائمة لكم يا أهالي السودان للبلدان الأخرى التي تستورد المواد لصناعتها من محصولات أراضيكم، وإن السواد الأعظم منكم اليوم ليستطيع أكثر مني تلك الحكمة والبصيرة والجراءة التي جعلت خزان سنار في حيز الاستطاعة. إن السودان اليوم يجني ثمار عبقرية اللورد كرومر المقرونة بطول الأناة؛ فقد كانت سياسته كما تذكرون ترمي إلى ترقية البلاد ترقية ثابتة دون أن تتجاوز حدود طاقتها، وقد اقتفى السير ريجنالد ونجت والمرحوم السير لي ستاك هذه الخطة وواصلا العمل بإخلاص ونجاح باهرين؛ الأول لمدة سبع عشرة سنة، والثاني لمدة السبع عشرة سنة الأخيرة من حياته. ويجب أن لا ننسى اليوم ما نحن مدينون به

لهؤلاء الثلاثة. وعليَّ أيضًا أن أؤيد السير جيوفري أرشر فيما فاه به من ثنائه على البراعة والمثابرة والهمة التي أبداها أولئك المهندسون الشهيرون الذين منذ أن وضع السير ويليم جارستن المشروع الأصلي سعوا الواحد تلو الآخر لأجل تحقيقه. وللسودان في شخص السير جيوفري آرشر الحاكم العام الذي أثق كل الثقة أنه سيحافظ على تقاليد الماضي. وقد جاء للسودان في وقت مناسب وفي دور حيوي في تاريخ البلاد؛ فإن خزان سنار — كما تعلمون — ليس سوى جزء من مشروع عام لأجل ترقية وتحسين موارد النيل، وقد أثبتت المباحث الدقيقة التي أجراها الخبراء في الماضي أن مياه النيل إذا أُحسن صيانتها وتوزيعها بالعدل والإنصاف يجب أن تكفي وتزيد عن احتياجات مصر والسودان الحالية والمنتظرة في المستقبل.

ومن دواعي سرورنا الخاص أن يكون حضرة صاحب المعالي السير إسماعيل باشا سري، أحد أبناء مصر والمعروف بالنبوغ والشهرة حاضرًا معنا اليوم؛ وذلك نظرًا لاشتراكه شخصيًّا في إعداد هذا المشروع، وكذلك نتفاءل خيرًا بوجود صاحب المعالي عبد الحميد باشا سليمان، فإني واثق أن مقدرته وسعة نظره يبعثان على إزالة ما بقي عالقًا من سوء الإدراك للمسائل العلمية الحاسمة بالمشروع.

أما والوقائع الجوهرية هي كما تعلمون، فإذا ساد المفاوضات روح الحكمة السياسية فلا يجب أن تقوم صعوبة في سبيل الوصول إلى تسوية تضمن ضمانًا وافيًا حاجة مصر، وفي نفس الوقت تمكِّن السودان من السير في طريق العمران بقدم ثابتة حسبما تسمح له موارده. وللسودان في أحوال كهذه أن ينظر إلى المستقبل بعين الثقة والطمأنينة، وعسى أن يبقى العمل الذي افتتحه اليوم شاهدًا دائمًا على الفوائد الناجمة عن قيام الحكومة بعمل كهذا بغاية الحكمة والتبصر، ويجب أن يكون من نتائج هذا المشروع ليس فقط ازدياد رفاهية المزارعين الوطنيين، بل يجب في نفس الوقت أن يعود بفائدة عاجلة مقابلة لرأس المال الكبير الذي أُنفق على إنشائه.

وختامًا أقول إنه بالرغم من أن زراعة القطن هي الغرض الأول من مشروع الجزيرة، فهناك شرط على جانب عظيم من الحكمة يضمن وفرة المواد الغذائية محليًّا وعدم تعرضها للنقص، وأود في الختام أن أشير إلى

موضوع آخر عام وعلى جانب من الأهمية، وهو أن الروابط التي تربط الحكومة وأهالي السودان لهي روابط صداقة شخصية. ومن المبادئ الأولية في مشروع الجزيرة كما في غيره من المشاريع التي يمكن أن تُقام في هذه البلاد أن تلك الروابط المرغوبة يجب أن يُحتفظ بها بغاية الاعتناء. والحكومة تعتقد أن من الأمور الجوهرية ترقية الشعب على موجب طبيعته، وأن التحسين المتعاظم في الأمور المادية لا يجب أن ينتج ضياعًا أو انحطاطًا في الأفكار والتقاليد التي هي أساس أخلاق الشعوب. ولي ملء الثقة أن يقوم قادة الأفكار في السودان؛ سواء كانوا رؤساء دينيين أو زعماء قبائل أو ذوي معارف ممتازة، بالواجب عليهم للمحافظة على الحالة السعيدة الحاضرة. ويسرني أن أخاطبكم بلهجة المتفائل بحسن المستقبل أن الرجم بالغيب محفوف دائمًا بالمخاطر، وإنما يمكنكم أن تتأكدوا من شيء واحد، هو أني سأبذل أقصى الجهد وروح التساهل الودي لإزالة كل العوائق التي قد تقف في طريق المشروعات العظيمة لارتقاء وعمران السودان في المستقبل. وإن ما اختبرته في هذه المدة الوجيزة أثناء زيارتي الأولى للسودان يبعث في نفسي الاعتقاد بأن في استطاعتي الاعتماد على ولاء ومساعدة كل شخص في السودان سعيًا وراء تلك الغاية العظمى التي لا بد أن تثير اهتمام وعطف العالم المتمدن بأسره.

ثم وقف حضرة صاحب المعالي سري باشا وألقى خطبة هذا نصها:

يا فخامة المندوب السامي، ويا صاحب المعالي الحاكم العام، ويا سيداتي ويا سادتي:

كان من بواعث سروري العظيم أن أُدعى لحضور هذا الاحتفال الزاهر بافتتاح خزان سنار المعد لإحياء موات جزء عظيم من الأراضي السودانية بالري الصناعي الذي ما دخل أرضًا إلا زاد إنتاجها كما هو معلوم. ومن بواعث الفخر لمصر أن تكون هي واضعة مشروع ري الجزيرة بواسطة كبار مهندسيها، وفي مقدمتهم المرحومان السير ويليم جارستن والسير آرثروب، ومن تبعهما كالمستر ديبوي والمستر توتنهام والسير مردوخ ماكدونلد الذي تم على يديه تحضير المشروع نهائيًّا وإعداده للتنفيذ. ولا حاجة لأن أذكر أن

كل هؤلاء من أعاظم المهندسين التابعين لوزارة الأشغال العمومية المصرية على العمل في مدة تنفيذه.

ويمكنني أن أزيد مع الفخر اشتراك شخصي الضعيف في تحضير المشروع، وإني أذكر هنا مع مزيد السرور لأهالي السودان الحاضرين معنا عطف الأمة المصرية عليهم بهذه المناسبة السعيدة، وأخبرهم بأنها يسرها أن ترى السودان في بحبوحة من الرغد والسعة، وأن يزداد أهله رفاهيةً وتقدمًا في العمران. ولا ريب عندي أن ما يجري من الماء في النيل السعيد يكفي، بل يزيد عن احتياجات مصر والسودان لريهما معًا إذا أحكم تدبيره بالأعمال الصناعية التي أولها هذا الخزان. وإني أسأل المولى القدير المتعال أن يوفقنا جميعًا للوصول لأداء واجباتنا.

ثم وقف المندوب السامي وأمسك باليد التي صيغت على مثال[١] «امينمحعت الثالث»، فجرى الماء من الخزان إلى القناة. وإنما صيغت اليد على مثال «امينمحعت الثالث» الذي حكم مصر منذ ألفين وثلاثمائة سنة تقريبًا لما عرف عن هذا الملك القديم في التاريخ من أنه أول من حاول بصفة جدية ضبط مياه النيل لحسن ري الأراضي، كما تذهب الأساطير إلى أنه هو الذي أنشأ بحيرة موريس.

وفيما كان الماء يندفع من إحدى بوابات القناطر في ترعة الجزيرة وقف مطران السودان المحترم جوين، ووقف إلى جانبه مفتي السودان الشيخ إسماعيل الأزهري فوق العين التي يتدفق منها الماء، وتليا عبارات التبريك لهذا الماء الخصب المنساب إلى أراضٍ لم تكن تعرف الخصب ولا الزراعة من قبل. ووقف الحضور جميعًا في أثناء تلاوة صلاة التدشين التي فاه بها الأب المحترم جوين والخطبة المباركة التي ألقاها المفتي الأزهري وصلاة المطران جوين الثانية.

فتحات السد معمولة باتساع يسمح بمرور أكبر تصرف للنيل الأزرق وزيادة، وهو ١٥٠٠٠ متر مكعب في الثانية، والفتحات كالآتي:

أولًا: الفتحات السفلى، وعددها ٨٠، وعرض كل واحدة ٢ متر، وارتفاع ٨,٤٠، ومنسوب العتب ٤٤,٢، ويعمل عليها الموازنة ببوابات حديد تفتح بواسطة ونش بخاري.

[١] عشرة أيام في السودان — هيكل.

ثانيًا: الفتحات العليا، وتسمى فتحات التخفيف، وهي ٧٢ فوق الفتحات السفلى. عرض كل واحدة ٣ متر، وارتفاعها ٢ متر. وهذه الفتحات يُعمل عليها الموازنة بواسطة أخشاب غما أفقي، وترفع بهلب باليد.

ثالثًا: يوجد بالجبهة الشرقية من الفتحات المبينة عاليه ٢٠ فتحة عليا ومثلها في الجهة الغربية. وعرض كل فتحة ٥ متر، وارتفاعها ٢ متر. وعتب عموم الفتحات العليا على منسوب ٤١٧,٢، وتفتح وتقفل بواسطة أخشاب غما أفقي.

سعة الخزان وملوه وتفريغه:

أولًا: أعلى منسوب تصل إليه المياه أمام الخزان هو ٤٢٠,٧، ويخزن على هذا المنسوب ٦٣٦ مليون متر مكعب.

ثانيًا: في أول يوليو من كل سنة يكون منسوب أمام الخزان على ٤١٤,٥، ويرتفع تدريجيًّا في مدة خمسة عشر يومًا إلى ٤١٧,٢٠ لإعطاء مياه لري القطن بالجزيرة، وتُحفظ المياه على هذا المنسوب إلى أول نوفمبر.

ثالثًا: من أول نوفمبر إلى ديسمبر يرتفع منسوب المياه تدريجيًّا إلى ٤٢٠,٧، ويبقى على هذا المنسوب إلى ١٨ يناير.

رابعًا: من ١٨ يناير تأخذ الجزيرة كافة احتياجها من الماء المخزون أمامها والتصرف الذي يكون في النيل الأزرق في الروصيرص؛ أي تصرف النهر الطبيعي يمر خلف الخزان كما هو لاحتياجات القطر المصري لغاية أول يوليو حيث يتكرر الترتيب المبين عاليه.

ملحوظة:

قد اتبع نظام خاص في الحجز على الخزان هذا العام لعدم أخذ مياه كثيرة في يوليو يمكن أن يحصل منها ضرر للقطر المصري، وفي أول ديسمبر من هذا العام تم حفظ أمام الخزان على الدرجة المطلوبة وهي ٤٢٠,٧.

ترعة الجزيرة:

أولًا: فم الترعة عبارة عن ١٤ فتحة، عرض الواحدة ٣ متر وارتفاع ٥ متر، والعتب على منسوب ٤١١,١٠. من هذه الفتحات سبعة مقفولة بالخرسانة المسلحة، وتُعمل الموازنة بواسطة بوابات حديد ترفع بونش يدار بواسطة رجلين.

ثانيًا: الترعة عرض قاعها ٢٦ مترًا، وارتفاع المياه بها ٣,٤٥ متر، وانحدار ٧ سنتي في الكيلو، وذلك كافٍ لري المساحة الحالية وهي ٣٠٠٠٠٠ فدان ومسطاح الترعة يسمح بتوسيعها عند زيادة الزمام.

ثالثًا: أول قناطر حجز على الترعة عند كيلو ٥٧ ويتفرع أمامها خمس ترع ومصرف على النيل لتخفيف المياه بالترعة، وعندها يبدأ الري بالجزيرة، وكل الري بالراحة.

رابعًا: ثاني قناطر للحجز عند كيلو ٧٧ وأمامها ثلاث ترع ومصرف على النيل للتخفيف ثم قناطر حجز أخرى عند كيلو ٩٩ ثم عند كيلو ١٤٤.

وبلغت الأرض المقرر زراعتها بالجزيرة سنة ١٩٢٦ تم ري ثمانين ألف فدان قطن و٤٩٠٠٠ فدان ذرة وعشرة آلاف لوبيا، والزراعة حالتها حسنة.

والمقرر هو أن يزرع مائة ألف قطن ومثلها ذرة وبقول، ويترك ألف فدان بور.

السبع فتحات المقفولة بفم الترعة والمسطاح المتروك بالترعة يسمحان بزيادة الزمام إلى مليون فدان.

وقد طرأ على بعض ما في هذه المذكرة تعديلات فيما يتعلق بالتواريخ التي تبدأ فيها حاجة مصر لتصرف النهر الطبيعي، نعرض إليها حين الكلام عن مشروعات ضبط النيل كافة. كما أن سعة الخزان بعد ملئه للمرة الأولي تبين أنها ٨٠٠ مليون متر مكعب. والمناسيب المذكورة فيها مذكورة بالمقارنة إلى ارتفاع مياه البحر الأبيض المتوسط، أما ما ورد على مسطاح الترعة وكونه يسمح بتوسيعها عند زيادة الزمام، فذلك لأن الخزان يتسع لخزن مياه تكفي زراعة نصف مليون فدان؛ أي ضعف المساحة الحالية إلا قليلًا. والسبع فتحات المقفلة بالخرسانة من فتحات ترعة الجزيرة تكفي لإمداد هذا المقدار بالمياه اللازمة له.

ويحسن أن ننبه القارئ كي يسهل عليه إدراك حكمة تواريخ الملء والتفريغ الواردة في هذه المذكرة إلى أن زراعة القطن بالسودان تبدأ في أواخر شهر يوليو أوائل أغسطس. فرفع مستوى الماء في الخزان من ٤١٤,٥، وهو الرقم الموازي لمنسوب

الفيضان الطبيعي للنهر إلى ٤١٧٫٢٠ في النصف الثاني من شهر يوليو، إنما يقصد به إلى تغذية أرض الجزيرة بمياه الراحة اللازمة لري الأرض وزرعها قطنًا. ويبقى هذا المنسوب ثابتًا إلى شهر نوفمبر حين تخلو مياه النهر من الطمي ويمكن التخزين. وفي شهر نوفمبر يرفع منسوب التخزين في سنار إلى مستوى ٤٢٠٫٧ ويبقى أن تبدأ حاجات مصر للماء لزراعة القطن وتغذية النهر. وإذا كانت أولوية مصر أمرًا مقررًا مقدمًا به من الجميع فقد وجب البدء في تفريغ الخزان بحيث تأخذ أراضي الجزيرة كل حاجاتها منه ويبقى تصرف النهر الطبيعي وقفًا على مصر. والواقع أن حاجة أراضي الجزيرة للماء تقل بعد شهر يناير الذي تبدأ فيه الجنية الأولى من جنيات القطن، ينتهي في شهر مارس، فلا تبقى ثَمَّ حاجة لغير مياه الشرب. وهذا يكفيها ما مقداره تصرف عشرة أمتار في الثانية، فإذا كان شهر يوليو ابتدأت الحاجة إلى المياه في الجزيرة لزراعة القطن وابتدأ الفيضان يجعل رفع الماء في الخزان غير ضارٍ بحاجات مصر، بدئ في عملية رفع المياه في الخزان من جديد.

كيف نُفذ مشروع خزان سنار

يعد السير ويليم جارستين مستشار وزارة الأشغال المصرية أول من أشار بري سهل الجزيرة ريًّا صناعيًّا في سنة ١٨٩٩، وذكر ذلك في تقرير قدمه في سنة ١٩٠٤ إلى اللورد كرومر قنصل بريطانيا الجنرال في مصر. وقد عُرفت زراعة القطن في السودان، فقد روى المسيو بونسيه الذي زار سنار مع المبشر زافريوس دي برفان سنة ١٦٩٩ أنه وجد بها مائة ألف من السكان رائجة تجارتهم في تصدير القطن إلى حد أن اتفق السلطان الأزرق — وذلك هو اللقب الذي يُطلق على أمير هذه المنطقة الواقعة على النيل الأزرق — مع ملك الحبشة على إبقاء ضابط بالنيابة عنه في شلجا عند حدود الحبشة لتحصيل العوائد على القطن الصادر واقتسامها شطرين، يأخذ كل أمير منهما شطرًا. كذلك روى بركار الذي زار شندي في سنة ١٨١٤ أن أهم صادرات سنار كان الدمور المصنوع من القطن، كما روى أن مصانع القطن في سنار وبجرمي هي التي كانت تمون القسم الأكبر من أفريقيا الشمالية بالملابس. على أن هذه الصناعة انحطت في السودان وتدهورت لقيام الصناعة الكبرى في أوروبا ومزاحمتها الصناعة اليدوية في الأسواق.

فعاد السودان إلى زراعة الحبوب وأصبح سهل الجزيرة مخزن حبوب السودان كافة. وقد أدخلت زراعة القطن عند فتح محمد علي السودان، ثم بعد ثورة المهدي كانت زراعة القطن وصناعته قد تدهورت.

ولما قدَّم السير جارستن تقريره عن إمكان ضبط مياه النيل الأزرق لري الجزيرة بدأت حكومة السودان في ديسمبر سنة ١٩٠٤ بمساحة أراضي هذا السهل المترامي الأطراف وبتقرير حقوق ملاك هذه الأراضي، وقد استمرت المصلحة التي أُنشئت لهذه المساحة قائمةً بعملها حتى أتمت القسم الأعظم منه في سنة ١٩١٢. كذلك بدأت الحكومة خطًّا حديديًّا ما بين الخرطوم وسنار، وبدأت العمل فيه في سنة ١٩٠٩ ووصلت[٢] به إلى سنار في سنة ١٩١٢، ثم اخترقت به أرض الجزيرة من جنوبها حتي وصل إلى كوستى على شاطئ النيل الأبيض اتجه إلى بلدة الأبيض.

وفي أثناء ذلك بدأت الحكومة تجربة زراعة القطن، فأقامت في سنة ١٩١١ محطة طلمبات عند بلدة الطيبة على الشاطئ الغربي للنيل الأزرق، وحفرت الترع التي تأخذ مياهها من محطة الطلمبات هذه لتغذي ثلاثة آلاف فدان زيدت بعد ذلك إلى خمسة آلاف. وعهدت حكومة السودان في القيام بهذه التجارب إلى نقابة زراعة القطن بزيداب في شمال الخرطوم، وبدا نجاح تجربة الطيبة نجاحًا باهرًا في سنة ١٩١٣، فدعا هذا النجاح إلى ضرورة التفكير في أصلح طرق الاستغلال. وكان لورد كتشنر يومئذ قنصل بريطانيا الجنرال في مصر، فتوسط في الأمر وأتم الاتفاق على أن تكون حكومة السودان مسئولة عن الترع الكبرى في كل ناحية يُزرع القطن فيها، وأن تكون نقابة زراعة السودان مسئولة عن الترع اللازمة لهم، وأن يقوم الزراع بالعمل في الأراضي، وأن يوزع محصول القطن الناتج من الزراعة بنسبة خمس وثلاثين في المائة منه للحكومة، وخمس وعشرين في المائة للشركة، والأربعون في المئة الباقية تكون للمزارع، كما تكون له سائر الحاصلات التي تنتجها الأرض.

في هذه السنة عينها سنة ١٩١٣، وعلى أثر زيارة لورد كتشنر للسودان مع الفنيين في الري من رجال الحكومة المصرية، وبعد أن رفضت الحكومة المصرية ضمان القرض الذي أُريد إصداره بمبلغ ثلاثة ملايين من الجنيهات لإقامة خزان سنار، ونجاح مشروع

[٢] عشرة أيام في السودان — هيكل.

ري الجزيرة. في هذه السنة أقر البرلمان البريطاني الحكومة الإنكليزية على ضمان القرض، وعلى ذلك بُدئت الأعمال التمهيدية لبناء الخزان في سنة ١٩١٤، لكنها وقفت عندما شبَّت نيران الحرب الكبرى.

وقد رفضت الحكومة المصرية إذ ذاك ضمان هذا القرض؛ لأنها رأت الأمل ضعيفًا في استرداد ما دفعته للسودان سدادًا لعجز ميزانيته، ولأن السياسة الإنجليزية كان ظاهرًا ميلها إلى استئثار إنكلترا بالسودان بعد أن تكون مصر قدمت له من الأموال ما مكنه من الاستقلال ماليًّا عنها. وربما كان للحكومة وللجمعية التشريعية عند ذلك من العذر أن الأموال التي دفعتها مصر للسودان في السنوات المتعاقبة كانت ملايين كثيرة. وضمان مصر لقرض الجزيرة قد ينتهي بأن تدفعه مصر فتضاف هذه الملايين إلى تلك لتعود فائدتها آخر الأمر على إنكلترا وحدها.

تنحت مصر إذن عند الاشتراك في استغلال سهل الجزيرة فأقدمت إنكلترا بتشجيع لورد كتشنر على الانفراد بهذا الاستغلال، وأقرَّ البرلمان البريطاني ضمان الحكومة الإنكليزية قرض الجزيرة، فبُدئ بالأعمال التمهيدية لإنشاء خزان سنار، ثم استعرت نار الحرب فوقفت هذه الأعمال. لكن وقفها لم يمنع من الاستمرار في قيام نقابة زراعة السودان بإجراء تجارب جديدة؛ خصوصًا بعدما تقرر أن تكون مساحة الأراضي التي يرويها خزان سنار ثلاثمائة ألف فدان يزرع ثلثها قطنًا في كل عام، فأنشأت النقابة المذكورة في أوائل سنة ١٩١٤ محطة طلمبات جديدة في بركات لري ستة آلاف فدان، ثم أنشأت بعد ذلك محطة أخرى لري ١٩٥٠٠ فدان في ناحية الحوش بدأت استغلالها سنة ١٩٢١، ومحطة رابعة في وادي النور لري ثلاثين ألف فدان بدأت استغلالها سنة ١٩٢٢، وكان هذا الاستغلال على قاعدة زراعة الثلث قطنًا والثلث ذرة ولوبيا، والثلث الباقي بغير زرع؛ أي على قاعدة الدورة الثانية.

ولم يكن غاية حكومة السودان ولا نقابة زراعة السودان من إنشاء محطات الطلمبات هذه مجرد القيام بتجارب لزراعة القطن، فقد كانت تجربة الطيبة كافية منذ سنة ١٩١٣، لكن زراعة القطن كانت قد اندثرت من السودان قبل ثورة المهدي بزمن غير قليل، والمصريون المدربون على زراعة القطن رفضوا الاشتراك في الاستغلال. وقد عطلت الحرب استمرار القيام بأعمال إنشاء الخزان فرأت الحكومة ورأت النقابة الاستفادة من هذا الظرف لتدريب أكبر عدد ممكن من المفتشين الإنكليز ومن أهالي السودان ومن الوافدين عليه من النيجر والسودان الفرنسي، والحث على القيام بهذه

الزراعة ومراقبتها، حتى إذا تم بناء الخزان وإنشاء الترع والقنوات في الثلاثمائة فدان أمكن زرع ثلثها أو ما يقرب من الثلث قطنًا دفعة واحدة، والزراع الوطنيين والمستأجرين الذين مرنوا على زراعته. وأمكنت زراعة ثمانين ألف فدان قطنًا على أثر تمام بناء الخزان مباشرة في شتاء سنة ١٩٢٥–١٩٢٦.

أما هذه الثلاثمائة ألف فدان التي تقرر منذ البداية أن يتكون منها مشروع ري الجزيرة فتمتد على الشاطئ الغربي للنيل الأزرق مبتدأة عند قرية الحاج عبد الله على بعد سبعة وخمسين كيلو مترًا إلى شمال مكوار حيث يقوم الخزان، «وقد نسي الناس في السودان اسم قرية الحاج عبد الله وأصبحت هذه النقطة معروفة عند المهندسين باسم الكيلو سبعة وخمسين.» ثم تستمر في امتدادها شمالًا على محاذاة النهر وسكة الحديد مدى خمسة وثمانين كيلو مترًا. ويختلف عرضها من الشرق إلى الغرب بين أربعة عشر وخمسة وعشرين كيلو مترًا، ويسير — وأمامك هذه الأبعاد — أن تتصور هذه النقطة من السهل المطمئن لا تقوم عليه ربوة من الربى ولا عقبة من العقبات محاذية النيل الأزرق المخصب، وأن نتصور إلى جانب ذلك أنها ليست إلا جزءًا من عشرة أجزاء من تلك الأراضي التي يمكن ريها بالمشروعات والتي تبلغ ثلاثة ملايين فدان من خمسة ملايين هي مجموع مساحة سهل الجزيرة. وأن نتصور أخيرًا أن هذه الثلاثمائة ألف فدان تقررت سنة ١٩١٣، وها هي حكومة السودان ونقابة زراعة السودان تراها الآن غير كافية بالحاجة الزراعية مع أنه لم يبدأ بزرعها إلا عام ١٩٢٥ و١٩٢٦؛ أي منذ عام فقط.

لم تكن الثلاثمائة ألف فدان كغيرها من أراضي سهل الجزيرة ملكًا لحكومة السودان، وهي ليست إلى الآن ملكًا لها، بل هي في ملك أهالي السودان الذين كانوا يزرعونها على المطر حبوبًا. وقد رأت الحكومة أن نظام مشروع الجزيرة لا ينتج ثمراته إذا بقيت هذه الأراضي تحت يد ملاكها، ورأت من ناحية أخرى أنه لا بد لنجاح المشروع من أن تكون للأهالي مصلحة مادية فيه، فاستأجرت أراضي المشروع لمدة أربعين سنة بإيجار سنوي عشرة قروش للفدان، كما اشترت الأراضي اللازمة للترع الرئيسية وغير الترع الرئيسية من المنافع العامة بثمن جنيه واحد للفدان. وكانت هناك هيئة حددت مساحة هذه الأراضي تحديدًا دقيقًا وأتمت عملها في سنة ١٩١٢، وسجلت أملاك الأهالي بأسمائهم.

وتحاذي هذه الثلاثمائة ألف فدان ترعة الجزيرة حينًا وتحيط بها حينًا. وقد قسمت الحكومة والنقابة هذه المساحة إلى تسع عشرة قطعة، كل منها تبلغ نحو خمسة

عشر ألف فدان، ثم قسمت كل قطعة مساحات مربعة. وتمر بها الترع الرئيسية الآخذة من ترعة الجزيرة، وبين كل واحدة وما بعدها نحو ١٥٠٠ متر، ومن هذه الترع تروى الأرض عن طريق فتحات منتظمة أدق نظام.[٣]

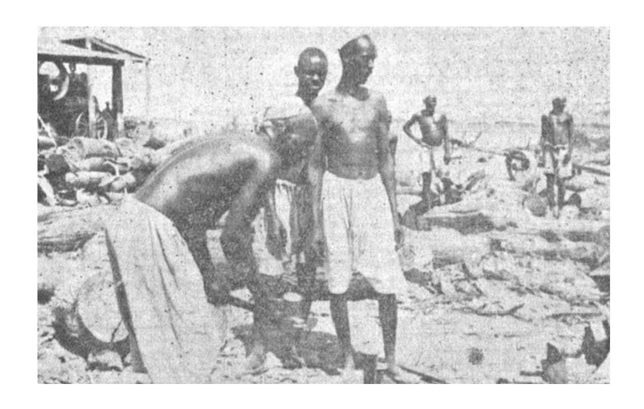
وقد رأت الحكومة أن قدرة الزارع في الاستغلال الصالح لا يمكن أن تعدو العمل في ثلاثين فدانًا يزرع منها عشرة أفدنة قطنًا وعشرة ذرة ولوبيا، وتترك العشرة الباقية بغير زراعة؛ لذلك جعلت هذه الثلاثين فدانًا وحدة ما يضع الرجل عليه يده في أراضي الجزيرة. وملاك الأراضي الأصليون يفضلون على من سواهم في الاستغلال؛ فكل مالك يضع يده على ثلاثين فدانًا من أرضه، وجعلت القاعدة أن يكون للمالك حق اقتراح الأشخاص الذين يستغلون سائر ما استأجرته الحكومة من ملكه، وهو غالب الأحيان يقترح من يتصلون به بصلة القربي. وما دامت تقارير المفتشين عن هؤلاء المزارعين صالحة فلا محل لإجلائهم عن الأرض التى يستغلونها.

بعد انتهاء الحرب عاد المسيو السندرينى الذى كلفته الحكومة مباشرة أعمال إنشاء الخزان، وجعل ارتفاعُ الأسعار على أثر الحرب المبالغ التى قدرت لإتمام البناء غير كافية، على أنه استمر في العمل لحساب الحكومة، وباشر منه قسمًا غير قليل، ورأت حكومة السودان النفقات باهظة، فلما قررت الحكومة البريطانية رفع قرض السودان إلى ستة ملايين طُرح إكمال بناء خزان سنار في المناقصة، ورسا على محلات بيرسون وأولاده بلندرة فبدأوا العمل فيه من أبريل سنة ١٩٢١، وهم الذين قاموا بإتمامه، ويبلغ طول خزان سنار ومعه الحوائط الصماء ٣٢٥٠ مترًا، وعليها شريط سكة الحديد، وهناك مذكرة فنية عن خزان سنار وضعها ألفي بك الذى كان مدير أعمال بتفتيش ري مصر بالخرطوم.

(٣) زيارة سنجة

وبعد مشاهدة الخزان والترعة الرئيسية ركبنا السيارات إلى سنجة عاصمة مديرية الفونج، تلبية لدعوة حضرة الفاضل السيد مصطفى أبو العلا أفندى وعوض أبو العلا أفندي وإخوتهما. وهم من كبار تجار السودان، نشأوا في إسنا وأنشأوا مكاتب ومخازن تجارية في الخرطوم وبور سودان وسنجة وأم درمان والقاهرة وغيرها.

[٣] راجع: عشرة أيام في السودان — هيكل.



عملية قطع الخشب في غابة القزازة في سنجة. العمال والأخشاب ثم الآلة في الطرف الأعلى.

وزرنا مدير المديرية مستر ووكر، وكان طريق السيارات بين سنار وسنجة سهلًا، وكان الحر شديدًا بلغ ٤٢ درجة مع أننا في الشتاء …

وزرنا الساعة الأولى بعد الظهر غابة القزازة، حيث شهدنا أشجار السنط ورأينا آلة قطع الأخشاب يشرف عليها أحد اليونانيين وعمالَ سودانيين معهم البلط والمناشير. وتُستعمل الألواح في فلنكات السكة الحديدية وفي أعمدة التلغراف، ولا تصلح لنجارة الأثاث؛ لأن الخشب خشن لا يقبل النعومة بالفارة. ويعطى قاطع الخشب أربعة قروش عن كل متر، ويستطيع العامل أن يقطع من الخشب المتر والنصف والمترين في اليوم، ويشتغل العمال في حرارة الشمس ولا يلبسون غير السروال. ونفاية الخشب وكساؤه يستعملان وقودًا لوابورات نشر الأخشاب والرفاصات. والأرض هناك جيدة التربة تنقصها اليد العاملة، وأشجار السنط التى على النيل ملك «لعمر الخضر»، وبقية أشجار المنطقة ملك للحكومة.

(٣-١) عند آل أبي العلا

وعند الساعة الأولى والنصف تناولنا طعام الغذاء في منزل الوجيه مصطفى أبي العلا في سنجة، وقوبلنا بالحفاوة والإكرام، وألقى الداعي خطابًا رقيقًا، وألقى كل من حضرات فؤاد أباظة بك والأستاذ علي شكري خميس والسيد محمد عبد الرحيم سماحة كلمات

مناسبة للمقام في بيان فضل آل أبو العلا في توثيق الروابط التجارية والاجتماعية بين مصر والسودان، واشتهارهم بالصدق، وشكر سكان «سنجة»، وقد قوبلت الخطب بالتصفيق.

خطبة الوجيه مصطفى أبو العلا

سادتي، إخواني التجار:

بالأصالة عن نفسى وبالنيابة عن إخواني أشكر لحضراتكم جميعًا تفضلكم بقبول دعوتنا، وتحملكم مشقة السفر، وأحمد الله على سلامتكم.

وكم كان بودي لو أن زيارتكم لمدينة سنجة كانت مرتبة في برنامج الرحلة حتى نكون على استعداد عظيم للقائكم والحفاوة بكم، ولكن رب صدفة خير من ميعاد، فالحفاوة بكم هي محبتكم في قلوبنا، وهذا الشعور الجميل المتبادل معكم، والتوفيق الذي يلازم بعثتكم الموقرة. وحسبكم ما رأيتم في بقاع السودان جميعًا من البشر والابتهاج، وما يطلقه السودانيون على مجهوداتكم العظيمة من الخير العميم الذي يعود على القطرين بالسعادة والفلاح.

وفي هذه الفرصة السعيدة يمكننى أن أذكر لكم ملخصًا بسيطًا عن سنجة؛ فهي من أقدم المدن التجارية في السودان، ولا زالت موردًا عظيمًا للسمسم الأبيض والأذرة والصمغ. والأراضي الزراعية بها من أجود أراضي السودان.

وأرجو قبل الختام أن أوجه خالص شكري لسعادة فؤاد بك أباظة الذى طالما بذل الجهود الطيبة في توثيق العلاقات بين مصر والسودان.

أيضا مسيو كونتو ميخالوس الذي يسهر دائمًا على سعادة السودان ودوام الروابط الاقتصادية بين القطرين. والسلام عليكم ومرحبًا بكم ألفًا. «تصفيق».

خطبة محمد عبد الرحيم سماحة

أيها السادة:

أشكر الظروف السعيدة التى هيأت لنا فرصة الحضور إلى مدينة سنجة وزيارة السادات أبو العلا، وأشكر لهم جزيل الشكر على دعوتهم لنا وحسن استقبالهم وجميل شعورهم.

اسمحوا لي أيها السادة أن أذكر مع الفخر أن السادات أبو العلا تجار مصريون أسس المرحوم والدهم محلهم التجاري بالسودان منذ سبعين عامًا، وسار في تجارته سيرًا حميدًا حتى وصلوا الآن إلى مقام محمود في تجارة السودان. وقد اتصلوا بتجارة مصر منذ إقامتهم في السودان، ولما راجت تجارتهم واتسعت أعمالهم افتتحوا فرعًا لهم في مدينة القاهرة، وحازوا في القاهرة شهرة واسعة، وكانوا خير مثل للصدق وحسن المعاملة. ويسرني أن أذكر لكم بعض ما أعلمه عن تجارتهم.

ذلك أنهم تقدموا الصفوف في العمل على زيادة الروابط بين القطرين الشقيقين فأصبحوا بفضل جهودهم التجارية أكثر المحلات التجارية اتصالًا بمصر، والدلائل كثيرة على استمرار نموهم التجارى.

وقد صدَّروا وحدهم إلى مصر في العام الماضي ما يزيد على نصف صادرات السودان إلى مصر، ولم يقعدهم نشاطهم على تجارة مصر والسودان فحسب، بل اتصلت تجارتهم بأوروبا وأمريكا، فكانوا في مقدمة المصدِّرين لتلك البلاد من محصولات السودان.

هذه عجالة من أعمالهم؛ لذلك أرى لزامًا علينا أن نفخر بهم، ونحيي فيهم الشجاعة والإقدام. وقبل الختام أكرر لهم شكري، وأخص بالشكر منهم حضرة مصطفى أفندى الذي عمل كثيرًا مع مسيو كونتو ميخالوس وإخوانه جميع أعضاء الغرفة على تهيئة هذه الرحلة الميمونة.

(٤) العودة إلى سنار

وحوالي الساعة الثانية والنصف عدنا من سنجة إلى سنار، ورأينا في الطريق بيتًا من الخوص به حانوت من القش؛ حيث كانت شابة سودانية تُدعى «بنتوم» تعايشية من طاما متزوجة عمرها ١٣ سنة، تتولى بيع القهوة والبيض المسلوق.

وفي طريق السيارات حوانيت تقدم فيها القهوة السودانية المعروفة بالجَبَنة (بفتح الجيم والباء والنون)، وهي تصنع من البن العادى الذي يحمص على النار أولًا أمام الزبون وتغلى في إناء من الفخار الأحمر يشبه الإبريق الصغير بدون «بزبوز»، ولهذه القهوة مذاق خاص يعجب به الدكتور محجوب ثابت كثيرًا.

ويجلس الدكتور على مقعد خشبى أمام أمثال هذه الحوانيت التي تسمى «رواكب» ويسأل النساء اللواتي يقمن منفردات أو مع الشيوخ بهذه المهنة عادةً، عن أسمائهن وقبائلهن. وطالما استوقفهن وبعولهن في الطريق يقص عليهم حديثًا في أنساب القبائل السودانية

وعند ذهابنا إلى سنجة صاد فؤاد أباظة بك طيورًا ببندقيته، وهي «دجاجة الوادي» وقُمريًّا وغرنوبًا ودرًّا وطيرًا ملونًا، وعدنا إلى محطة سنار الساعة الرابعة مساءً، وتوجه الدكتور محجوب إلى المستشفى الأميري، وهو يسع ١٢٦ سريرًا منها ٤٠ للنساء والأطفال، وبه أقسام للحميات والجروح وأمراض النساء والعمليات، وعملت مكمدات لقدم الدكتور، ثم توجهنا ومعنا حضرة الشيخ أحمد عثمان القاضي رئيس تحرير جريدة «حضارة السودان» لنلحق برفاقنا إلى غابة النسانيس، وهي تبعد ١٩ ميلًا عن خزان سنار، ومررنا في طريقنا عند الخزان بحديقة الخزان، وتبلغ مساحتها ٨٠ فدانًا، زرع منها ٤٠ بالفاكهة من موز وباباي وجوافة وتفاح ويوسفي وغيره، وتباع فاكهتها، ويسمح للجمهور بالتنزه فيها، ما عدا حوض السباحة فهو خاص بالموظفين الإنجليز وعائلاتهم، وكان طريقنا إلى الغابة يقع بين النيل الأزرق والترعة الرئيسية، ومررنا بأنقاض مدينة سنار القديمة التي هدمتها الحروب، وكان في سنار ملك ودولة قبل أن يفتحها إسماعيل وقبل أن تحتلها «المهدوية» في ثورتها وقبل استعادتها مع استعادة السودان. وبين الأنقاض جامع كان مكتوبًا عليه «بُني بأمر الحاج محمد علي». وكان لملوك سنار صداقة ببني عثمان، وينتمي الملوك إلى بني أمية، وكانوا يرسلون في القرون الخالية بعثات من الطلبة السناريين إلى الجامع الأزهر.

وقد جنحت حكومة السودان إلى إطلاق «سنار» على «مكوار»، ومكوار اسم شخص وضع علمًا على «حِلة»، والحلة «بكسر الحاء وتشديد اللام» هى قرية أو عزبة، وسمي الخزان أولًا خزان مكوار ثم دعي خزان سنار. وسنار اليوم هي المباني الجديدة التى للحكومة من مباني المهندس المقيم وموظفي الري السوداني والمصري الذي يتولاه المهندس حسن الديب، والمحطة والمستشفى، والحديقة والحوانيت المخططة، والحلل المجاورة. وهناك سنار التقاطع؛ لتقاطع الخطوط الحديدية إلى القضارف والأبيض، وهى تبعد عن سنار المركز بنصف ساعة.

وفي غابة القردة والنسانيس في جبل المشايخ حارس، وكان العلم المصري موضوعًا عن يمين باب الدخول لمكاتب الحكومة، وعن اليسار العلم البريطاني، وكذلك في جميع مصالح الحكومة السودانية.

وتُصاد النسانيس بإحدى طريقتين: بعمل حفرة في جوز هند فيدخل النسناس يده ولا يستطيع أن يخرجها، أو بوضع شراب المريسة في إناء، فإذا شرب منه النسناس أُغمي عليه وسهل القبض عليه. وتستعمل الطبقة الأرستقراطية جلد النسناس في صنع الحقائب وغيرها.

(٤-١) صيد السمك

الأستاذ عطا عفيفى — من أعضاء البعثة — صياد ماهر في البر والبحر، وقد اتفق مع صديقه مستر جاكسون مدير محلج الحكومة في سنار على صيد السمك من النيل الأزرق الذى هو غني بالسمك، فصاد الأستاذ عطا سمكة من نوع العجل وزنها ٢٦ رطلًا إنجليزيًّا، وأخرى وزنها ٨ أرطال، وقد هنأه الأعضاء على مهارته، وتبرع بالسمكتين لمطبخ القطار الخاص، حيث يقدم السمك عند غداء اليوم التالى ٤ فبراير.

وطريقة صيد السمك الكبير أن يستعمل الصائد سنارة مدلاة من حبل طويل مربوط بقصبة من الغاب، فإذا أمسكت السنارة السمكة وجب على الصائد إرخاء الحبل؛ لأنه إذا جذبه إليه قاومت السمكة، أما إرخاؤها فهو مضعف لقوتها، حتى بعد ربع ساعة مثلًا تصبح بغير مقاومة فيجذبها الصائد بسهولة.

(٤-٢) حفلة شاي سنار

وأقام حضرات تجار مدينة سنار حفلة شاي تكريمًا للبعثة عند منتصف الساعة السابعة مساءً، كان يتقدم الداعين حضرات السيد حميدة سر تجار المدينة ووكيل شركة شل ومتعهد مقاولات وتوريدات الحكومة، والخواجة جورجي هب الريح، والطيب أحمد سليمان، ويوسف حامد، وعباس الضوي، وعثمان الحسن، وعبد السلام العجل، وعزت شامي، وأكثر التجار من بربر.

وألقى حضرة الشيخ خليفة عبد السلام تاجر الحبوب كلمة ترحيب بالبعثة باسم التجار. وأُقيمت الحفلة في دار الخواجة جورجي هب الريح — وهو من أصل سوري — وحضرها مستر كين مفتش سنار والدكتور أحمد عبد الحليم طبيب المستشفى الأميري وكبار الموظفين.

وقال مستر كين: إنني لم أشهد منذ حفلة افتتاح خزان سنار سنة ١٩٢٦ اجتماعًا في سنار كاجتماعنا اليوم.

وفي داخل بيوت المدينة غُرست أشجار الحناء. ويُدعى عمدة سنار «الفضل المرجى».

وبجوار سنار حلة الفلاتة — مهاجري السودان الفرنسي وغيرهم — تُدعى «حلة مايرنون» عليها شيخ يلقبونه «بسلطان» يُسمى «الحاج طاهر».

وبسنار مخبز إفرنجي، واستراحات ثلاث:

(١) للحكومة.
(٢) للسائحين الإنجليز وأمثالهم.
(٣) للأفندية.

وبسنار خزان لماء الشرب الذى يُؤخذ بآلة رافعة من النيل الأزرق وثلاجة، فيُوضع الماء في الأزيار.

ويورده للمنازل مقاول عنده عمال يحملون الماء في جرادل من صهريج الماء، والأجرة تُدفع بحسب الدور. والدور قدره صفيحتان من الماء، يأخذ المقاول النصف والعامل النصف. والأجرة يُتفق عليها بين الساكن والمقاول.

وبين سنار وواد مدني ثلاث ساعات بالقطار وساعتان ونصف بالسيارة، وهناك لوريات تحمل بضائع وركابًا يدفع المسافر فيها إلى واد مدني ٤ قروش، ورخصة كل دكان مائة قرش في السنة، ورخصة عربة الكارو عشرون قرشًا في السنة، وهناك ضريبة على الأرباح تُقدَّر بسبعة في المائة. وبالمدينة لجنة من التجار برياسة سر تجارها لتقدير رأس مال كل تاجر وما يجب عليه دفعه للحكومة في السنة، وتُفتح الحوانيت منذ الفجر وتُغلق الساعة السادسة مساءً عند الغروب عادةً، ما عدا القهاوي ومحلات الشاي فتبقى لمنتصف الليل.

وأهالى سنار معروفون بإكرام الغرباء، ولا يوجد بها بار لبيع الخمور. ورخصة الخمر خمسون جنيهًا في السنة. وتنار مكاتب الموظفين ومنازلهم بكهرباء مستمدة من الخزان، أما الأهالى فليس عندهم كهرباء. والبضائع اليابانية منتشرة في سنار وفي السودان كله، وخاصة الدامور والدبلان والخامات الهندية. وقد شرع ممول إنجليزى يفاوض الحكومة في إنشاء مصنع للنسيج بسنار.

ومحاصيل سنار: الذرة بأنواعها من فترية ودغفر وشامي ودجني والسمسم واللوبيا، وتشتهر بمراعي الأبقار ذات اللون الأسود في بياض والعنق المرتفع، ولا يوجد

بها جاموس. وأرض بندر سنار ملك للحكومة وحكر للأهالي، وسنار مركز. وأمراض سنار: الملاريا والبلهارسيا والزهري.

وفي الساعة العاشرة مساءً، سار القطار إلى محطة سنار التقاطع فوصلها الساعة العاشرة والنصف واتخذ طريقه إلى كوستى.

الفصل السابع

من سنار إلى الأبيض

(١) يوم الاثنين ٤ فبراير زيارة كوستى وتندلتي وأم روابة

يلحظ زائر مدن السودان أنها نظيفة منظمة، وأن سكانها متحلون بأدب وذكاء، عارفون للنظام، على بساطة حياتهم وقلة كسب سوادهم، وهذا دليل على أن الإنسان يستطيع أن يكون مهذبًا نظيفًا، ولو كان فقيرًا مدقعًا وجاهلًا. وفي الواقع لقد أدهشنا المواطنون السودانيون بهذه الأخلاق الفاضلة، والاحتفاظ بالسجايا العربية، وبالأخذ بشيء من المدنية التي لم تطغَ على تقاليدهم الكريمة، وكثيرًا ما يحزن القلب أن تكون مدننا الصغيرة غير نظيفة، وأن جانبًا كبيرًا من سكان القرى وبعض المراكز قذر الثياب، أو أنه ينقصهم شيء من الكياسة، مثال ذلك ما رأيته — ورآه غيري — من قذف غلمان القرى والأزقة السيارات بالحجارة وتشييعها بصيحة الاستهزاء، وتدافع الجمهور أحيانًا عند استقبال الكبراء بما يحدث مضايقةً وتبرمًا. أما غلمان السودان وأطفاله فلا يعبثون ولا يفحشون.

(١-١) موظفو الحكومة

وموظفو الحكومة السودانية متحلون أيضًا بخلق رضي، وهم قادرون الواجب نحو الجمهور، هم مدركون أنهم خدام الجمهور لا سادته، ولم يحتج البوليس إلى استعمال الهراوات للمحافظة على النظام عند اجتماع الألوف، على تباين قبائلهم وتنابذ عشائرهم.

(١-٢) المستشفيات

العناية بالمستشفيات ظاهرة في السودان، والمستشفيات وافية نسبيًّا، ومقابلة المرضى الفقراء حسنة جدًّا، ونذكرها مع الاغتباط لمواطنينا السودانيين، ومع الأسف لما هو سائد في مستشفيات الحكومة بمصر — أو أكثرها — من سوء معاملة الفقراء، أحيانًا بضربهم، فضلًا عن إهمال علاجهم.

(١-٣) في كوستى

وصلنا إلى مركز كوستى الساعة الرابعة صباحًا، ووقف القطار في محطتها، وكان أكثر الأعضاء لا يزالون نائمين في القطار الخاص الذي استمر في سيره منذ سافر الساعة العاشرة من مساء أمس من محطة سنار — وكان الجو باردًا.

وعند الساعة السادسة صباحًا رأينا كبار الموظفين والأعيان يجتمعون قريبًا من المحطة، وموائد الشاي والحلوى والمرطبات قد أُعدت لإفطارنا.

وفي الساعة السابعة نزل أعضاء البعثة من القطار، وكان في استقبالهم وفد التجار؛ وهم حضرات المشايخ: حميدة جامع سر تجار البندر، وفضل الله بركة حمزة، وعبد الرحمن جميل، ومبروك الطيب وكيل شركة شل، وسليمان أبو مرين، وعبد القادر الشيخ، وطه قاسم، وأحمد كوكو، والخواجة هادي جورج إستامبولي، والخواجة ساراتدة أنطوناكيس، وعبد الكريم أحمد، والخواجه ميشيل بربرى، والخواجه يوسف معري، والشيخ عثمان موسى، والخواجه باغوص دورينيان، والشيخ دفع الله بابكري، ومن الموظفين حضرات مستر كرول معتمد المركز، ومستر هاريسون المفتش، والشيخ مدثر القاضي الشرعي، والشيخ أحمد الطاي مساعد القاضي الشرعي، واليوزباشي عبد الرازق أفندي مأمور المركز، والعوض صالح الملك أفندي نائب المأمور، وبابكر الرياح أفندي رئيس الحسابات، والشيخ رضوان عبد الرحمن كاتب المحكمة الشرعية، وحسين الحكيم أفندي المفتش التجاري، والدكتور خليل عبد الرحمن طبيب المركز، وإلياس إبراهيم أفندي ناظر المحطة، والصاغ المتقاعد موسى أبصام، والملازم أول المتقاعد سلام مرسال أفندي، والملازم أول المتقاعد الدود محمد سليمان، والملازم أول المتقاعد فرج الله بشارة أفندي، والملازم الثاني المتقاعد نورين بحر أفندي، والحارث محمد إبراهيم أفندي مترجم المركز، وإبراهيم حسن أفندي صراف المركز، وعبد المجيد سليمان أفندي

كاتب حسابات، وعبد اللطيف بابكر كاتب بالمحكمة الشرعية، ومحمد حسن عمران مخزنجي، ومحمد عثمان حسن رئيس مكتب تلغراف المحطة، والشيخ حسن عبد النور ناظر المدرسة الأولية، ومن الأعيان: محمد التوم عمدة كوستى، والشيخ محمد الطيب إمام مسجدها، والشيخ يعقوب سلام. ومن تجار ناحية الدويم: عبد القادر كريم الدين، ومحمد حمودي، وعثمان شبيكة، وسليمان السباعي، والخليفة الحسن، والخواجة عبود جرجفليا التاجر بالقويقة.

واصطف جميع أهالى البندر وصبيته صفوفًا منتظمة فرحة مرحة، ووقفت فرقة موسيقي نادي الموظفين بكوستى تحيينا وتطربنا منذ نزولنا من القطار حتى عودتنا، وهي فرقة مؤلفة من ٢٤ جنديًّا من جنود الرديف السودانيين الذين كانوا بالجيش المصري ويعزفون أدواره، فهتفت بنا ذكريات، وهي موسيقى ذات آلات نحاسية وملحق بها قربتان، وأنفارها يلبسون زيًّا يشبه زي الكشافة، برباط أصفر فاقع، وهم مديدو القامة، عليهم سيماء الشجاعة، ولهم سيمة الفروسية، وأنفار الموسيقى هؤلاء يشتغلون الآن كفلاحين، ونادي الموظفين هو الذي اشترى لهم الأزياء وآلات الموسيقى وقرر لهم إعانة، وفي المناسبات يعزفون ويُعطى كل منهم خمسة قروش عندئذ، ولا شك أن من سلامة ذوق سكان كوستى وكياسة موظفيها إحياء هذه الموسيقى، وحبذا لو كانت مراكزنا وقرانا المتقدمة تنتفع بأبنائها من رديفها في إنشاء فرقة للموسيقى وغيرها، فإننا نرى الكثير من مدننا الريفية خلوًا من المسليات ومن بروز شخصية كل مدينة.

وبعد تناول الشاي والتحدث إلى هؤلاء الفضلاء والموظفين الأعزاء، شاهدنا حاصلات البلاد على مائدة، ثم زرنا أسواق البندر: سوق الحوانيت، حيث ترى الدكاكين تنتظمها شوارع مربعة، ولا تعلوها دور، وبها بضائع يابانية ومقاهٍ ومحال أشبهت كثيرًا دكاكين المناخلية والتربيعة بالقاهرة، ويغلب في التجار وأصحاب الحوانيت أن يتجروا في أصناف كثيرة — هذا ما خبرته في بنادر السودان — كما لحظت أن لكبار التجار دائمًا فروعًا ووكالات في جميع البنادر.

ثم زرنا سوق الحاصلات، وبها بورصة للمبيعات وتحديد الأسعار. وتعقد يوميًّا صفقات بمزادات، والعادة أن أصحاب المحاصيل يسكنون البوادي والجبال، ويرعون الماشية ويزرعون الأرض الزراعية ويحضرون الحاصلات إلى أسواق البنادر القريبة.

وكان موعد فتح بورصة الحاصلات الساعة العاشرة، وكانت زيارتنا لها الساعة الثامنة صباحًا، وهناك مكتب للبورصة له ملاحظ اسمه محمد توفيق فتح الله أفندي، وهو شاب مهذب. وتجري الأعمال في البورصة كما يلي:

يُحضِر الباعة الحاصلات إلى السوق — والسوق يقوم على فضاء واسع، بعض أنحائه مسور أو مخطط — وتُقيد أسماؤهم وأسماء المشتركين في البورصة في سجل، ويُعطَى لكل بائع ورقة ونمرة نحاسية، ويوضع محصوله في مكان معين، وينادي الملاحظ على الثمن الأساسي، في حضور التجار طلاب الشراء وهم مصطفُّون فتحصل المزايدة، فإذا استقر الثمن عند حد، عرضه الملاحظ على البائع، فإن قبل تمت الصفقة وإلا لم تتم، وقد يستعيد بضاعته من السوق لو شاء، وإذا تمت الصفقة أعطى الملاحظ البائع ورقة رسمية بها اسمه ونوع بضاعته والقيمة وتاريخ البيع، وبمقتضاها يتسلم الثمن. وقال لي الملاحظ إن قيمة الورقة كقيمة الشيك.

ثم زرنا سوق البقر، وشهدنا طريقة حقنه بالمصل الواقي من الطاعون، وتعلَّم أبقار كل تاجر بعلامة خاصة، تسمى «دمغة»، وذلك بحديدة تنتهي بنمرة — كنمرة «٤٤» — فتُحمى في النار وتُكوى بها عجل البقر، وبعد الحقن بالمصل والدمغة، يجوز شحنه بالسكة الحديد وقبل ذلك لا يمكن الشحن.

والبقر في كوستى ألوان: الأسود والرمادي والأبيض والمختلط بين لونين، وأكثره ذو قرون طويلة مقوسة.

ثم زرنا المستشفى الأميري مع طبيبه الدكتور خليل عبد الرحمن، وكان معنا الدكتور محجوب ثابت الذي كان يسأل كل مريض ويشخصه ويسأل عن نسب القبائل، وهو ما يحفل به الدكتور محجوب دائمًا؛ حيث يسأل المواطن السوداني: «جعفرى، والا مولد، والا فلاتة؟» ويأنس السامعون لحديث الدكتور.

هذا وتتصل بورصة كوستى مع البلاد الأخرى بالتلغراف لمعرفة الأسعار وتدوينها، وقد قرأنا في سبورة كتب عليها بالطباشير الأسعار كما يأتي:

كوستى ٣ فبراير سنة ١٩٣٥

- ٤٤ الصمغ.
- ١١٤ السمسم.
- ٤٣ الفول.
- ٧٧ الماريق.
- ٧٦ الصفراء.

- ٥٦ الفترينة.
- ٥٦ الهجرج.

والأصناف الأربعة الأخيرة هي أصناف الذرة التي تجود بها منطقة كوستى، ويقابل ما تقدم على السبورة ما يلى:

أم درمان ٢ فبراير سنة ١٩٣٥

- ٤٨ صمغ.
- ١٣٥ سمسم.
- ٥٤ فول.
- ١٠٠ ماريق.
- ٩٠ صفراء.
- ٨٠ الدخن.
- ٧٣ القصابي.
- ٦٨ الفتريتة.

هذا و«كوستى» مدينة أُنشئت سنة ١٩٠٤ عُرفت باسم تاجر يوناني نزل في منطقتها ويُدعى «كوستى»، وقد ودعتنا موسيقى الدراويش وهى مؤلفة من نفرين، كما ودعتنا موسيقى النادي.

(٤-١) في تندلتي

عند الساعة العاشرة صباح الأربعاء تحرك القطار بين الهتاف والتصفيق، وعند الساعة الثانية عشرة والدقيقة ٢٠ وقف القطار ونزلنا في محطة تندلتي، وهي ليست مركزًا ولكنها بندر تجاري، وقد استقبلنا من التجار حضرات السيد يونس عبد المنعم محمد، وهو عضو غرفة الخرطوم التجارية وشريك رفيق البعثة حضرة مصطفى أبو العلا أفندي، والسيد الفقيه عمدة قبيلة الجِمَع (بكسر الجيم وفتح الميم)، والسيد أحمد طه الشامي، والمشايخ محجوب نعمان ومجدوب فضل الله بركة ومحمد عبد اللطيف صادق الأمين وعلي عبد اللطيف مبارك ومحمد أحمد عثمان إدريس وعبد الله موسى ودفع الله

الضو وإبراهيم مالك وعثمان إبراهيم السيد وعثمان إبراهيم وبشير إبراهيم ومصطفى كوكو ومحمد البشير وسليمان فرج وناظر تندلتي الشيخ المكي أحمد عساكر والشيخ حمد علي عمدة تندلتي وعبد الماجد غرجاج وحمزة علي وإخوانه، والخواجات رياض سكلة وإسكندر جرجس وشفيق إبراهمشة وفؤاد عبد المجيد شكري ... إلخ.

ثم توجهنا إلى سوق الدكاكين، وتُباع فيها الأقمشة اليابانية والإنجليزية والمصرية «من نقادة» بالصعيد، حيث تصنع الغزالى يدويًّا وتُصدر للسودان. وزرنا محل تجارة الشيخ يونس عبد المنعم محمد وشريكه السيد مصطفى أبو العلا وآخرين، حيث نُظمت موائد الشاي والقهوة والمرطبات والشكولاتة والحلوى، وألقى حضرات فؤاد أباظة بك والسيد عبد المجيد الرمالي والأستاذ علي شكرى خميس كلمات شكر قوبلت بالتصفيق.

وعُرضت حاصلات «تندلتي» على مائدة؛ وهي الذرة الصفراء والفاتاريتا وزناري مريح ولب البطيخ والسمسم والدخن والشطة والفول، وشهدنا عصارة زيت السمسم الآلية حيث يُنقى السمسم ويُضغط بين ألواح وينزل منه الزيت يُجمع في أوانٍ تحت سطح الأرض. وشهدنا العصارة الخشبية يديرها جمل.

وفي تندلتي صمغ هشاب وحب بطيخ وتجارة بقر، ويسكنها عرب الجعليين والبقارة والجوامعة.

خطبة السيد عبد المجيد الرمالي

إخواني التجار:

شكرًا لكم على حفاوتكم العظيمة بإخوانكم المصريين. لقد كنا مشتاقين إليكم شوقًا كثيرًا فلم نشعر بأي مشقة في رحلتنا الطويلة من مصر. لقد أنسانا أشقاؤنا السودانيون أهلنا وأصدقاءنا المصريين. نحن نشعر بينكم أننا في بلدنا، بين أهلنا وأحبائنا، وإني بالأصالة عن نفسي وبالنيابة عن جميع إخوانكم المصريين عمومًا، وعن التجار المصريين بصفة خاصة، وعن الغرفة المصرية التجارية بالقاهرة بصفة أخصّ، أتشرف بأن أبلغ إليكم سلام مصر وأهلها التى حمَّلتنا إياه أمانة لإخواننا السودانيين.

نحن نحب أن نراكم في مصر، كما أننا سوف لا نسلو أبدًا السودان، بل ننتهز كل فرصة لزيارته.

سنصف للمصريين عند عودتنا جمال السودان وكرم أهله وخصوبة أرضه وكثرة موارده، ونرجو أن تكون هذه البعثة فاتحة عظيمة لتوثيق عرى التبادل التجاري بين القُطرين بما يعود على البلدين بالخير والرفاهية. «تصفيق». ا.هـ.

ثم عدنا إلى القطار حيث قام الساعة الأولى والربع، وقد ألقى الحاج عبد اللطيف في تندلتي ما يلي:

يا ركب هب لي بيانا	أقضي به واجباتي
ويا كرام اسمحوا لي	بهذه الكلمات
لعل ساعات عمري	كهذه العجالات
تمر مرًّا سريعًا	إلى مقر الحياة
وعلَّ تخليد ذكرى	فى هذه اللحظات
وعلَّ يومًا كهذا	أبز فيه لداتي
حسبته يوم أنسٍ	لكل غادٍ وآت
إذا به مهرجان	للبر والحسنات
شهدت فيه نفوسًا	بهذه البسمات
بدت خلال وجوه	تخشع بالطيبات
أحيت موات رجائي	بهذه المبتسمات

(١-٥) في أم روابة

وفي الساعة الرابعة وقف القطار عند محطة أم روابة.

واستقبلنا الأعيان والتجار يتقدمهم حضرات الشيخ علي جاد الله عمدة البندر، والمشايخ عبد الرحمن علوان وإبراهيم الكوباني وعبد الحفيظ عبد الله ومحمد علي السيد وحسين السيد ومنصور سوار الذهب والحاج عثمان محمد صالح وإبراهيم البلك

والدكتور محمد النيل طبيب المستشفى والزبير محمد التوم أفندي مأمور المركز وصديق عبد الوهاب أفندي نائب المأمور والمستر لونج مفتش البندر وعبد العظيم حسن.

وسكانها من الجعليين والبقارة وبرنو والفلاتة والهوسة.

وركبنا الخيل والحمير التي أعدها لنا المستقبلون من المحطة حتى البندر، وشهدنا سوق الصمغ والسمسم والبورصة، وقد أخروا موعد افتتاحها — وهو الصباح — خصيصًا لكي نشهد أعمالها، وهي تماثل بورصات البنادر المتقدم ذكرها.

وإردب السمسم في سوق أم روابة ١٥ كيلة، وكان الإردب منه في سعر بورصة اليوم ١٢٠ قرشًا، ويبلغ ما بيع فيها من أول نوفمبر حتى الآن حوالي ٨٢ ألف إردب، وكان بالسوق اليوم ٦ آلاف إردب. وثمن قنطار صمغ هشاب ٤٢ قرشًا، وقد ربحت الحكومة أكثر من ٨٠٠ جنيه من النولون.

وكانت النساء يزغردن عند وصولنا وعودتنا.

وتأخذ الحكومة عوائد دخولية على قنطار الصمغ ٨ مليمات، وقنطار السمسم ٦ مليمات، وقنطار الفول ٧ مليمات، وقنطار الذرة ٤ مليمات.

ثم سافرنا إلى الأبيض فوصلنا إليها الساعة العاشرة إلا ربع واستقبلنا التجار والحكام بحفاوة.



الحفاوة بالبعثة وحماس جماهير السودانيين.

(٢) زيارة الأبيض وبورصتها الكبيرة (في ٥ فبراير سنة ١٩٣٥)

حوالي الساعة العاشرة إلا ربعًا من مساء أمس الاثنين ٤ فبراير سنة ١٩٣٥ وصل القطار الخاص المقل للبعثة المصرية في السودان إلى محطة الأبيض، حيث كان في استقبالها حضرات مأمور مركز الأبيض وتجارها وأعيانها، وبعد تحية أعضاء البعثة والتعرف بهم، بقي بعض المستقبلين في القطار مع الأعضاء إلى وقت متأخر من الليل، بينما زار بعضنا مدينة الأبيض فوجدوا حوانيتها مغلقة وأكثر سكانها نيامًا.

واستيقظنا اليوم مبكرين، لعلمنا أن البريد المسافر إلى مصر ينقل بقطار الساعة الثامنة صباحًا، فبادر كل منا إلى إعداد رسائله والرد على الخطابات الواردة إليه، ولم يكن الدكتور محجوب ثابت — وهو من جيراني، في المركبة — يعلم بموعد البريد، ولم يكن قد تلقى خطابًا أو كتب لأحد كتابًا، لأن الدكتور تشغله الرحلات والأسفار — وخصوصًا رحلة السودان — عن الكتابة، فقد وجد أهلًا بأهل وإخوانًا بإخوان، وهو دائمًا واجدهم في كل مكان؛ وخاصة في السودان!

ولكن يظهر أن الدكتور قد أخذته الغيرة من رفقته، إذ ألفاهم جميعًا منهمكين في الكتابة، فطلب من السيد سماحة ورقة ليكتب فيها فأعطاه «كارت بوستال».

وكان قد حان موعد قيام القطار، وكان الدكتور من جهة أخرى في صالونه خالع العذار استعدادًا للاستحمام، فنبهت سائق القطار وعامل البريد لانتظار بريد الدكتور. ولما تسلم العامل «رقعة البريد» التى كتبها الدكتور، سافر القطار في الحال إلى الخرطوم.

وكان بين مودعي المسافرين فتاة بكت متأثرةً من فراق جدتها قائلةً: «مع السلامة يا حبوبة.» والحبوبة معناها الجدة، فقال لها الدكتور: «وليش تبكى يا بنية …؟»

(٢-١) في سوق الصمغ

ثم وصلت وفود المدينة عند الساعة التاسعة صباحًا، وقد أعد الملاك سياراتهم الخصوصية لأعضاء البعثة، فركبوها في منتصف الساعة العاشرة صباحًا مع المستقبلين إلى المدينة … إلى سوق الصمغ، وهو أكبر سوق له بالسودان، وهو منظم تنظيمًا بارعًا، بحيث لا يغبن منتج، ولا يضل تاجر، ولا يوجد للغبن محل.

يقع السوق في فضاء واسع، وقد وُضع الصمغ في أكياس من الجلد — وصمغ الأبيض من صنف «هشاب» — وبه مكتب يديره ملاحظ سوداني اسمه «عباس علي

رحمة أفندى»، وهناك رفوف وضعت عليها قطع من ألواح صغيرة من أخشاب الغابات السودانية القريبة من الأبيض، وأهمها خشب الموجني، وزجاجات صغيرة بها أنواع الصمغ وبذوره، ورسوم ظهرت فيها أشجار الصمغ على اختلاف أنواعها.

وإلى جانب هذا سبورة سوداء كُتب في رأسها ما يلي:

سوق صمغ الأبيض
يوم ٥ شهر ٢ سنة ١٩٣٥
حمير — ثيران — جمال — رسالة

ولا تعني أسماء الماشية المذكورة أنها للبيع، فإن السوق للصمغ لا للماشية، وإنما يعني ذكرها حمولة حمار أو ثور أو جمل.

ويوضع للرسالة رقم، وتتضمن محصول الصمغ لكل بائع. والباعة من أعراب السودان في البيداء. هذا وتنبت أشجار الصمغ من غير غراس وبدون ري، وكل ما يفعله الأعرابي أنه يجمع الصمغ من أشجار الغابات والأحراش ويضعه في أكياس ويبيعه في أسواق المدن والرسائل تكون على الترتيب: ١ و٢ و٣ و٤، وأمام رقم الرسالة — على السبورة — الحمولة من الحمير أو الثيران أو الإبل.

وقبل موعد افتتاح السوق والجلوس في البورصة، يدون الملاحظ في دفتر خاص بيانات الرسائل وأرقامها، وأسماء أصحابها وتاريخ السوق، ويعطي لكل من أصحابها وصلًا، ثم يحضر المشترون، وهم تجار في المدينة أو وكلاء لكبار التجار في الخرطوم وأم درمان وبور سودان ومصر. ولكل من التجار أو وكلائهم في الأبيض دفتر صغير يدونون فيه بيانات الرسائل كالوارد في دفتر الملاحظ.

وبورصة السودان بناء فسيح به مقاعد أمامها مناضد تشبه ما يوجد في حجر التدريس بالمدارس، ولكل مقعد رقم نحاسي معلق في عمود يجلس أمامه كل تاجر أو وكيله من المشترين. ولا يسمح بالاشتراك في مضاربات البورصة ومزادها إلا للتجار أو وكلائهم المسجلة أسماؤهم في سجل السوق. والتسجيل يكون بناء على طلب يُقدم للملاحظ، وكل من حصل على قيد اسمه يجب عليه أن ينفذ جميع الشروط، وفي مقدمتها عدم الغش، ودفع الثمن الذي رسا مزاده على المشتري في اليوم نفسه للبائع، وإلا استبعد اسمه نهائيًّا من السوق وحُرم من التعامل فيه. ويسمون صاحب البضاعة بائع الصمغ، وغيره «خبير».

وفي السوق سبورة مكتوب فيها ما يلي:

المشتريات الشهرية

يونس	٩٦	١٥٧٦
العشار	٨٠	١٥٥٩
البر	٢١	١١٣٥
الفرنساوي	٥١	١٠٧٢
البتو	١٢	٩٩٥
محمد طه	١١	٨٤٩
اكسبورت	٣٨	٧٣٥
لانسج	٢٣	٦٩٦
متري		٦١٧
عدلان	٧٤	٤٧٠
هنري	٦٧	٣٦٥
شون	٩	٢٥٧
رامجي	٣	٣١
الوارد الشهري		١٠٣٦١٨٧
الثمن		٣٢٥٦٩٧٥
المتوسط الشهري		٣٨٢

وقد فُتح السوق اليوم الساعة العاشرة والدقيقة ١٠ صباحًا، وانتهى الساعة العاشرة والدقيقة ٣٥، وكان وارد اليوم إلى السوق ٦٠٠ قنطار من صمغ هشاب. والسوق مفتوحة يوميًّا.

وبعد أن راجع الدلَّال والتجار البيانات المُشار إليها ظهر اختلاف مرة واحدة فقط، فرفع التاجر أصبعه، فقال الدلال: «فيه ملاحظات.» وصحح الخطأ. ثم بدأت العملية، وعند بدئها يفتح صاحب رقم ١ المزاد، ويقف الدلال على منبر ومعه جرس وأمامه الكشف وفي يده قلم، ويشير إلى أصحاب رقم ٢ و٣ وهكذا لكي يزايدوا، حتى إذا انتهت المزايدة سأل الدلال «الخبير» — أي البائع: «بتبيعوا؟» فيقول: «نبيع.»

وعند انتهاء المزاد يعطي الملاحظ لكل بائع ورقة يتسلم بها الثمن من المشتري في الحال، ويوزن الصمغ ويُقيد وزنه في الورقة. وقد بيع قنطار الصمغ بمبلغ يتراوح بين ٤٠ و٥٠ قرشًا، والصمغ القديم بين ٣٥ و٤٠ قرشًا.

وقد أعدت لنا في بورصة الصمغ كراسي جلسنا عليها بجوار مقاعد التجار، وشهدنا العملية تجري في نظام وسكون. وقد عزم تجار البعثة على اقتباس هذه الطريقة وتعميمها في البلاد المصرية؛ لأنها تعود بالخير والراحة والنظام على التاجر والبائع.

وانصرفنا إلى مخازن تنظيف الصمغ، وهى مخازن أعدت للتجار المشترين، ويشتغل فيها فتيات ونسوة من كل سن، وتأخذ كل منهن ٢٥ مليمًا أجرًا على تنظيف الصمغ الذي يملأ كيسًا «زكيبة». وكان الفتيات في أزياء جديدة ملونة وبضفائر مجدلة لمناسبة زيارتنا، وقد زغردن وطفقن ينشدن ويبدعن ويرقصن في أثناء زيارتنا، كأنهن في عرس وزفاف.

وقد أطلق الدكتور محجوب نفسه على كامل سجيتها وحريتها مع الفتيات العاملات في تنظيف الصمغ، وكان يعاونهن في أناشيدهن ويصفق معهن، وقد أُخذت له صور عديدة وهو في وسطهن، وقد أُخذت للأعضاء معهن صور عديدة. وكانت ساعة سعيدة تلك التي قضاها الدكتور والأعضاء في مخازن تنظيف الصمغ! وكنا نشعر أننا في ليلة زفاف أُعدت لزيجات متعددة في ساعة واحدة. واختار الدكتور محجوب أربع فتيات أُعجب بهن، وقد ودَّ لو تكون إحداهن زوجًا صالحةً له.

وقد بلغ من فرط ابتهاج الدكتور والأعضاء بهذه الزيارة أنهم تأخروا عن موعد زيارة سوق الحاصلات وسوق الماشية.

وبهذه المناسبة نذكر أن حضرة فؤاد أباظة بك قد أعدَّ شريطًا سينمائيًّا بمناظر الرحلة كلها — وسيرى مواطنونا مشاهد زيارة اليوم بين مناظر الرحلة وسيشاركوننا الابتهاج والأفراح والليالى الملاح!

زرنا بعد ذلك سوق الحاصلات من سمسم ونحوه، وقد قال لنا حضرة نائب المأمور إن تجربة بورصة الصمغ في سوق الحاصلات لم تفلح؛ ولذا فالبيع في سوقها بالممارسة لا بالمزاد.

ثم زرنا سوق الماشية وبه خراف وأبقار، وثمن الأقة من اللحم الضأن المذبوح قرشان ونصف، ولحم البقر قرش ونصف القرش.

ثم انتشرنا في شوارع المدينة حيث زرنا متاجرها وحوانيتها، ورأينا تجارًا من مصر وسوريا ولبنان، وتجارًا من الهنود واليونانيين والأرمن، فضلًا عن تجار المدينة. وقد احتفوا جميعًا بنا واستقبلونا وتنافسوا في إكرامنا.

وزار بعض الأعضاء مطار الأبيض، ومسجدَي المدينة: مسجد الأبيض الذي بُني سنة ١٩١٢ في عهد الجيش المصري ومسجد الإسماعيلية. والمسجد الأول واسع وأنيق، به مئذنتان وبه مكان خاص يصلي فيه السيدات صلاة الجمعة، وبه حلقتان للدروس الدينية عقب صلاة العشاء. وقد صلى الشيخ المحترم السيد أحمد أبو الفضل صلاة العشاء بمسجد الأبيض. وهنا حضر معنا الدكتور محجوب وعرَّف المصلين بأن السيد أبو الفضل نجل المرحوم الأستاذ الأكبر الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوى شيخ المالكية والأزهر سابقًا.

وزاروا أيضًا الاسبتالية الأميرية، وبها ١٢٠ سريرًا وثلاثة أطباء، كبيرهم إنجليزي. وبالمدينة كنيسة إنجليزية وكنيسة للروم الكاثوليك وكنيسة للأقباط الأرثوذكس.

وكان ماء الشرب في المدينة من الآبار، وكان ثمن الصفيحة يصل إلى ثمانية قروش؛ خصوصًا في الصيف، وكان من يملك بئرًا يملك ثروة بسببها. وقد أنشأت الحكومة آلة لرفع الماء من بئر ارتوازي، وأقامت مستودعًا عاليًا، ومواسير بحنفيات في المنازل بأجرة معتدلة معينة، ولكن الفقراء ما زالوا يشربون من ماء الآبار.

وقد خُصص للماشية مكان للشرب يؤخذ ماؤه من الآبار.

وهناك أسواق منظمة: سوق للخضر، وسوق للحم — واللحم يُذبح في مجزر تحت إشراف طبيب بيطري ويُختم — وسوق للفاكهة، وسوق للنسوة، ويتولى البيع فيه سيدات يبعن خبزًا وخرزًا وحبوبًا ... إلخ.

(٢-٢) الفلاتة والحلبة

وفي خارج المدينة منازل من الأخصاص وغيرها لفئة تُعرف باسم «الفلّاتة» بتشديد اللام، وهم مهاجرو السودان الفرنسي ونيجيريا وجنوبي السودان ونحو ذلك، يحضرون مع عائلاتهم إلى السودان للحج مشيًا على الأقدام لفقرهم المدقع، فإذا عادوا من الحج فضل الكثير منهم العمل في السودان كزرَّاع وخدم وفعلة وحمالين؛ لأنهم لا يأنفون من العمل، فوق حاجتهم إلى القوت الضروري، ولأنه ليس لهم في بلادهم الأصلية ما يغريهم بالعودة إليها؛ خصوصًا وأن صغارهم وزوجاتهم معهم في حجهم.

ولكن سكان المدن يعدونهم غرباء، ويأنفون من الزواج منهم، فاحتفظ الفلاتة بعاداتهم ولهجتهم. ونساؤهم سافرات الوجوه، وأكثرهن يعملن في تنظيف الصمغ. وهم من قبائل منوعة، ويوجدون دائمًا حوالي المدن.

أما «الحلبة» أو «الحلب» بفتح الحاء واللام، فهم فئة الغجر، وهم يشتغلون بالحدادة، ويعيشون في بيوت من الشعر ونحوها خارج المدينة وبعيدًا عن سكانها وعن أعراب الصحراء وعن الفلاتة.

وفي الأبيض مدرسة أولية للبنين ومدرسة للبنات ومدرسة يونانية، وحي للموظفين الإنجليز، وملاعب للتنس، وترام تمتد خطوطه من المحطة إلى مخازن التجار، ويمر ببعض الشوارع ويجره ثوران، وتحمل مركباته البضائع، وفي النادر يركبه الناس. ويوجد فرع لشركة سنجر يديره مواطننا زكي بطرس أفندي، ويبيع الفرع ١٥٠ ماكينة في السنة، ويعهد إلى بعض خريجات مدرسة الخياطة للبنات بتعليم مشتريات الماكينة الخياطة. والمنازل مبنية من الطوب الأخضر والمحروق المسمى «قلوص».

وتوجد في الأبيض فرقة من الهجانة والحملة الميكانيكية، وهى مؤلفة من خمسة بلوكات وسيارات مسلحة، ويوجد فرع للبنك الأهلي، ويوجد جبن بقري وعسل نحل. والبضائع اليابانية تغمر السوق، وأرض السوق حكر للحكومة، ويؤجرها الأهالي لمدة طويلة ويبنون عليها الحوانيت لمدة ٤٠ سنة عادة، وعند انتهائها تُسلَّم للحكومة من غير بناء. وإذا أعدت الحكومة أرضًا للتأجير أقامت مزادًا، وتتراوح أجرة المتر في السنة بين ١٥ مليمًا و٢٠ قرشًا. وجو الأبيض معتدل في أكثر فصول السنة، وأرضها رملية، ولشوارع المدينة يفط، وهى لوحات من الخشب مكتوب على كل منها بحروف صغيرة اسم الشارع بالعربية والإنجليزية. واللغة الإنجليزية تسود أكثر مكاتبات الحكومة.

(٢-٣) مأدبة غداء وحفلة شاي

وقد أقام أعيان المدينة وموظفوها مأدبة غداء، وفي المساء حفلة شاي في ساحة مولد النبي في سرادق كبير، حضرها مستر بريدن نائب المدير؛ لأن المدير مستر نيوبولد كان متغيبًا، ومستر كوليات مفتش المديرية، ومستر آجلن مفتش المركز، وحضرات التجار والأعيان الأفندية والمشايخ: محمد أحمد الإمام سر تجار الأبيض، وعمر التني نائب ناظر البندر، ونايل عثمان وبناجة حسن، وعبد الرحمن محمد صالح ناظر المدرسة الأولية، وفضيلة القاضي الشرعي الشيخ عبد الله أمين، ومجدوب علي حسيب نائب

القاضي الشرعي، وعبد الله أحمد محمد خير، ومجدوب البر، ومحمد باي عوض خليل، وعبد الله الفقيه، وبشير الفقيه، وعبد الرحيم مبارك، والدليل المحسي وحسن أبوه، ومكي إلياس، وعوض الكريم العشر، وكلنج همشتد، وجورج بريمو، وشماع بريمو، ودلماك كوركوجيان، وجندي نخلة، وأنطون الحياح وكيل الشركة الغربية للصمغ، وميشيل ميخاليديس صاحب محل أبو نجمة، ورئيس الجالية السورية حضرة قناوي أفندي وإخوته، وكوتكوجيان، وفارس عجم، وجورج فتال، وسيد أحمد نور، وميخائيل مصرية، وديمتري ميخائيل قسيس الكنيسة القبطية، ولطيف نخلة أفندي باشكاتب المديرية. ومن الضباط المتقاعدين اليوزباشي صادق الجزولي، والحاج عبد الرحمن محمد، وعبد الله عدلان، والملازمون الأول عبد المنعم عبد الله وحسن عبد التام، ومحمد مصطفى.

وقد بذل حضرة الشاب المهذب الفاتح محمد البدوي أفندي نائب مأمور مركز الأبيض مجهودًا كبيرًا في تنظيم حفلات الاستقبال والغداء والشاي والتوديع.

وألقى حضرات فؤاد أباظة بك كلمة شكر، ثم ترك الكلمة لمندوبي التجارة فخطب السيد محمد عبد الرحيم سماحة والوجيه علي شكري خميس والسيد عبد المجيد الرمالي فأجادوا.

خطبة الوجيه محمد عبد الرحيم سماحة بالأبيض

أيها السادة:

لم يكن لي أن أقول شيئًا بعد الذي سمعتموه، ولكن دفعني للقول لكم عوامل كثيرة أثارتها في نفسي هذه المظاهر الفخمة التى قابلتمونا بها. ففي مساء الأمس جئتم إلينا بالقطار بعدما أسدل الليل ستاره وكنتم في حاجة إلي راحتكم، ولكن أبت عليكم مروءتكم إلا أن تطوقونا بجميلكم، واليوم هو يوم مشهود تجلت فيه كل المعاني التي تخالج نفوسنا ونفوسكم: وجوه مستبشرة وثغور ضاحكة ونفوس مشوقة إلى اللقاء بعد طول الغياب، فالحمد لله والثناء له جلت قدرته، فقد جمع بين الشقيقين بعد أن ظنًّا ألا تلاقيًا.

إخواني، كنا نحسب للسفر ومتاعبه حسابًا، ولكن حسابنا لم يكن صحيحًا؛ فعندما نزلنا إلى بور سودان وجدناها زاخرة بالمستقبلين من الأجانب والوطنيين، وبالغوا في الحفاوة بنا، وذهبنا إلى سواكن الخالدة فرأينا

عظمتها التاريخية، وبيوت الكرام فيها لا زالت قائمة، وعدنا إلى بور سودان ومنها إلى كسلا والقضارف وسنار وسنجة وكوستى وتندلتي وأم روابة، فزرنا المدن وقطعنا السهول والغابات وكنا في كل بقعة من بقاع السودان المترامية نقابَل فيها بكل مظاهر الحفاوة. وجئناكم فوجدناكم قد جمعتم كل الحفاوات في حفلاتكم، وقد يملك السرور على إنسان كل مشاعره حتى يفقده قوة التعبير عما يخالج نفسه، فإن عجزتُ فإني لا أعجز عن أتلمس من كل هذه المظاهر معنى ساميًا فوق كل المعاني، ذلك هو قوة الله تعالى. فالله أكبر الله أكبر الله أكبر.

كيف لا وقد خلق الله مصر والسودان أرضًا واحدة تُسقى بماء واحد!

إخواني، هل تعلمون ما هي أغراض البعثة المصرية للسودان؟ إن أغراضها اقتصادية زراعية تجارية، فمنَّا أعضاء الجمعية الزراعية والنقابة الزراعية وجمعية خريجي مدرسة الزراعة وتجار مصر والإسكندرية وذوو فضل من المصريين، كل أولئك جاءوا في البعثة المصرية ليدرسوا أحوال السودان عن رؤية وروية، ولكي يعملوا كل مجهود في سبيل زيادة الروابط بين البلدين.

إخواني، سهلت لنا رحلتنا حكومتكم السنية ورجال غرفتكم التجارية، وعلى رأسها جناب مسيو كونتو ميخالوس وإخوانه الأماجد؛ خصوصًا الذين رافقونا من بور سودان، وبدأنا مباحثاتنا على ضوء الحقيقة ورأي العين، وإني وإن كنت لا أنكر عليكم أن الإحصاءات الرسمية دلت على أن مصر هي أول سوق لحاصلاتكم، وأنتم لا شك واثقون أننا سنعمل متفقين مع غرفتكم بالخرطوم على زيادة النمو التجاري.

وحتى تتحقق أمانينا وأمانيكم أرجو منكم أن تتصلوا بغرفة الخرطوم بكل ما يعنُّ لكم من اقتراحات أو طلب تسهيلات في سبيل تجارتكم مع مصر. ونحن من جانبنا سنعمل كل مجهود في سبيل ذلك.

وإذا كانت الأبيض من أقدم مدن السودان في التجارة فإنا نراها لا تزال في مقدمة مدن السودان التجارية. ويسرني جدًّا أن أعلن فيكم أن تجار مصر يفضلون دائمًا حاصلات مديرية كردفان؛ خصوصًا الأذرة الزناري التي صدرتم منها وحدكم في العام الماضي ما يزيد على عشرة آلاف طن.

كذا الفول، كذا حب البطيخ وارد الأضية والنهود والأبيض. وقد صدرتم منه في العام الماضي سبعة آلاف طن لمصر، وهو ما يوازي تسعين في المائة من محصولات السودان جميعه. وطبعًا لا تجهلون أن محصول حب البطيخ ليس له تصريف عندكم إلا لأسواق مصر. أليس كذلك؟

إخواني، هل لي بعد أن أطلت عليكم الكلام أن أرجو منكم التفاتًا إلى محصولات وصناعات مصر لتزيدوا صادراتنا إليكم فتكونوا بذلك قد حققتم بعض ما ننشده جميعًا من زيادة الروابط بين البلدين؟

إخواني، أرجو أن تتقبلوا منا خالص الشكر، وأخص بالشكر جناب نائب المدير وحضرة نائب مأموركم الهمام وحضرات أعضاء لجنة الاستقبال، وكذا حضرة الشيخ خليل عكاشة الذي هيأ لنا كل مظاهر السرور والتفريح ونحن في زيارة محل تنظيف الصمغ التابع للسادات أبو العلا ويونس بإدارة حضرته.

ولتعلموا أن محبتكم في نفوسنا خالدة إلى يوم الدين، وإننا نودعكم ولكن إلى اللقاء القريب، وأنتم في خير ونعيم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

خطبة السيد عبد المجيد الرمالي

جناب نائب المدير، حضرات التجار والأعيان المحترمين:

في اليوم الذي تطأ فيه أقدامنا أرض الأبيض، وتصافح فيه أكفُّنا أيدي مواطنينا وإخواننا الكرام أبناء السودان السعيد ونزلائه الأفاضل، تهتز كل مشاعرنا طربًا بترحيبكم، وتخفق قلوبنا بالتفاؤل البالغ حده بأن الله سيكتب لأبناء النيل صفحة جديدة في تاريخ الصداقة والتعاون بين القطرين اللذين ظلا ألوف السنين مرتبطين بأقوي روابط الدم والجنس والدين والجوار وكل ما يمكن أن يوجد بين أمتين شقيقتين. لقد كنا مشتاقين إليكم شوقًا كثيرًا، كذلك جئنا إليكم فرحين مسرورين بلقائكم، تتحرك في نفوسنا عوامل كثيرة تملك علينا مشاعرنا وتهتز لها حواسنا، فإن تاريخ مصر والسودان قد ارتبطا بصلة طبيعية منذ ربط النيل بينهما لا تفصمها الأجيال.

لقد جئنا وشاهدنا بأعيننا مبلغ التقدم الذي وصلت إليه بلادكم بفضل جهادكم ومثابرتكم، وإن المصريين جميعًا يرجون لكم كل رواج في التجارة وتقدم في الزراعة وارتقاء في العمران.

إني أحمل إليكم بالأصالة عن نفسي وبالنيابة عن الغرفة المصرية التجارية بالقاهرة آلافًا، بل ملايين من التحيات الطيبات الصادرة من قلوب عامرة بحب السودان وأهل السودان، وها هي بعثتنا قد جاءت إليكم لتوطيد العلاقات الاقتصادية بين القطرين التوأمين، فنرجو من الله أن يحقق آمالها.

وإني أنتهز هذه الفرصة السعيدة لأعبر عن شكري الخالص لحضرة فؤاد أباظة مدير الجمعية الزراعية الملكية، وجناب المستر كونتو ميخالوس وزملائه الأفاضل أعضاء غرفة الخرطوم الذين هيأوا لنا هذه الرحلة المباركة التى تركت أثرًا طيبًا في نفوسنا، والتي نرجو أن يعم خيرها على القطرين الشقيقين إن شاء الله.

(٢-٤) في القضاء الشرعي

الشيخ عبد الله الأمين هو القاضي الشرعي لمديرية كردفان، وقد حادثتُهُ في شئون القضاء الشرعي، وبهذه المناسبة أذكر أن عدد قضايا الأبيض الشرعية ٤٣٠ قضية في سنة ١٩٣٤، وجلسات القضايا في أيام السبت والاثنين والأربعاء لنظر النفقات، وتعقد جلسة في كل من يومي الأحد والثلاثاء لنظر قضايا التركات، ويتخرج القضاة الشرعيون من قسم القضاء الشرعي بكلية غوردون، ويعين المتخرج أولًا في وظيفة عامل قضائي بمرتب ثمانية جنيهات، ويتعلم الآن الإنجليزية في الكلية، وكان مرتبه قبل إدخال اللغة الإنجليزية خمسة جنيهات، وتكون درجته السابعة، فإذا عُين قاضيًا مُنح الدرجة السادسة.

ومما يُذكر في القضايا الشرعية أنه قد عُرضت على فضيلة الشيخ أحمد عثمان القاضي زميلنا رئيس تحرير جريدة حضارة السودان في أثناء توليته القضاء الشرعي في الأبيض، قضية زوجة من «الفلاتة» تزوجت أربعة رجال. ونشأت هذه الحادثة من حياة أفراد الفلاتة نفسها، فهم عرضة للتنقلات؛ فتزوجت هذه المرأة من رجل، ثم انتقلت

إلى بلد آخر — لأن رجال الفلاتة يعملون منفردين عن نسائهم اللواتي يشتغلن أيضًا ويكسبن القوت من عملهن كما سبق ذكره — فتزوجت المرأة المذكورة بآخر من غير أن يعلم بأنها متزوجة، ثم تزوجت بثالث ورابع، وكل زوج لا يعلم بالأزواج السالفين، فجاء الزوج الأول فطلبها للطاعة، وفي أثناء القضية ظهر الزوج الثالث. وباستقراء حوادث القضية ظهر الزوج الثاني فأعلنته المحكمة بالحضور، وثبت للمحكمة أن المرأة زوجة لأربعة رجال، فقضت ببطلان الزيجات الثلاث الأخيرة، وبأنها زوجة للأول فقط.

(٢-٥) أخبار منوعة

كانت المسافة من أم درمان إلى الأبيض ١٨ يومًا على الجمال، فأصبحت منذ إنشاء السكة الحديدية سنة ١٩١٤، ٢٤ ساعة.

وقد زرنا بالأبيض دار خليفة المهدي، وهي أنقاض تخلفت من دار المديرية في عهد حكم الحكومة المصرية، حيث كان المرحوم محمد سعيد باشا مديرًا لمديرية كردفان، فلما هزمه المهدي حوصر في هذه الدار وأطلق الرصاص عليها، وخلفت قنابل المدافع المهدية أثرًا في جدرانها. واحتلها المهدي، ومنها كان ينظر إلى الجيوش، ثم سكنها، ولم يبقَ منها اليوم غير الباب والغرفة التي فوقه.

وهناك لوحة لإعلانات الحكومة عن العطاءات والتنبيهات … إلخ في وسط المدينة، وبها مدرسة ابتدائية تلاميذها ١٥٠، وبها ١٢٥ قبطيًّا و١٤ أرمنيًّا و٢٣٦ سوريًّا و٥٥ يونانيًّا، وسكانها حوالي ٤٠ ألفًا.

والقبائل: جعليون وكبابيش وحَمَر — بفتح الحاء والميم — وشنابلة وجوامعة … إلخ.

ويشتد الحر في شهور أبريل ومايو ويونية، وهو معتدل في الشهور الأخرى، بارد أحيانًا.

وفي حفلات الأفراح يستعير صاحب الحفلة الكراسي والأثاث من أصدقائه. وكذلك في المأتم، حيث تُفرش الأرض بالسجاجيد ويجلس المعزون عليها، وتُوزع أجزاء القرآن الكريم على الفقهاء فيقرأها كل منهم بصوت منخفض. وللمدينة ضوارٍ. والضواري هي الضواحي أو الحلل.

ويوجد بها المخبز الأهلي لصاحبه جندي نخلة أفندي، ويدعون الزوج «أخو البنات».

وقد توجهنا مع الدكتور محجوب والسيد أحمد أبو الفضل إلى قهوة بلدي حيث سمعنا الغناء التالي:

سيدة وجمالها فريد   خلقوها كما تريد
في خدودها وضعوا الريد

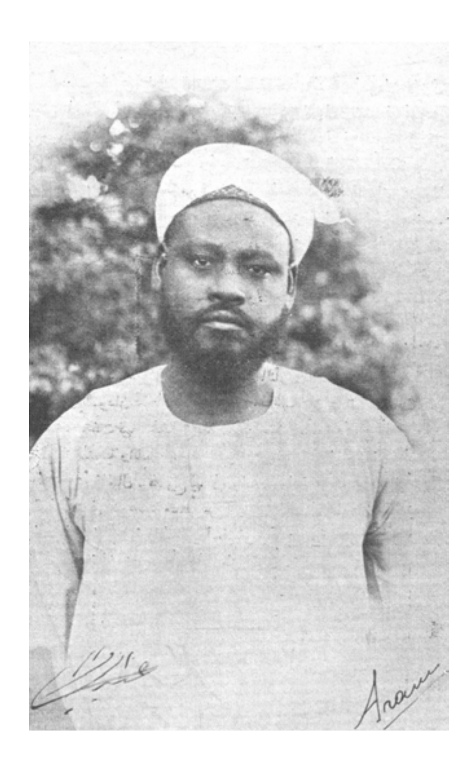
وقد دعا نائب المدير حضرات رشوان محفوظ باشا وفؤاد أباظة بك ومسيو كونتو ميخالوس لتناول الطعام على مائدته نيابة عن الأعضاء الذين كانوا في حفلة التجار، ثم سافرنا مساءً من الأبيض.

(٢-٦) حفلة المسيو كونتو ميخالوس

احتفلنا مساء اليوم بالقطار بذكرى ميلاد مسيو كونتو ميخالوس رئيس الغرفة التجارية بالخرطوم، إذ بلغ الثانية والخمسين، فأديرت المشروبات وألقى فؤاد أباظة بك كلمة، والدكتور محجوب ثابت ونحاس بك خطابًا، ذكر فيه فضل المحتفل به، وعلاقة مصر باليونان، واتصال المدنيتين. فصفق الحاضرون للدكتور.

ويرجع تاريخ كونتو ميخالوس إلى سنة ١٩٠٣، إذ حضر إلى الخرطوم للعمل مع خاله في دكان بقالة، ثم أنشأ بجده محلًّا مستقلًّا، نمت فروعه في مدن السودان، ثم اشتغل بجميع صنوف التجارة؛ شراء حاصلات السودان وبيعها وتصديرها والشحن والتأمين والملح وإنشاء المحالج، وفي سنة ١٩٢٩ سافر إلى لندن حيث أسس مع المولين البريطانيين شركة رأس مالها ٧٥٠ ألف جنيه، له فيها ١٥٠ ألف جنيه بأسهم، وأسميت الشركة باسم شركة كونتو ميخالوس ودارك، وهو شديد الرفق كثير المعاونة للتجار الوطنيين، فهو يذكر فضل السودان في تكوينه وثروته، وعلاوة على ذلك لحضرته أملاك. وهو مثل يُضرب على الصبر والجلد، ومجد يذكر للشعب اليوناني الكريم.

(٢-٧) قبائل تتحضر ومذهب العري



الحسيب النسيب السير السيد عبد الرحمن المهدي.

أحسب القارئ المتابع للمقالات السابقة قد أدرك أن السودان لا يزال يعيش على نظام القبائل، وأن هذه القبائل تسكن الجبال وتنتشر في البوادي، وأحيانًا تجاوز الغابات والوحوش الضارية، بل إن هناك في مديرية كردفان التي زرنا عاصمتها الأبيض أمس، توجد قبيلة تدعى: النوبة، تسكن جبال النوبة العليا، وتعيش في حالة من البداوة على مذهب العري، ذلك أنهم — رجالًا ونساء — يعيشون عارين، حتى من غير خرقة تستر موضع العفة من أبدانهم. ويتوجه بعض سكان المدن والسائحين بالسيارات لزيارتهم وأخذ صور لهم. هم ما زالوا على الفطرة، ولكن هذه الفطرة لم

تدنس عرضهم، وهم يسكنون المغاور والكهوف، ويصيدون الحيوانات ولا يعتدون على أحد، ويرقصون ويدندنون، وأحيانًا يرعون الماشية.

لكن هذا استثناء، فإن أكثر قبائل السودان عربية الأصل محافظة على الصفات العربية الأصيلة كالكرم والشجاعة والأخذ بالثأر والأنفة، ولكن بقيام الحكم المصري في السودان ثم على عهد محمد علي، أخذ السودان يتحضر، فظهرت مدن جديدة أُدخلت فيها الحضارة الحديثة من حيث إنشاء المباني والطرق، ومن الخطوط الحديدية والمدارس. ومدن السودان هي فقط نقطة ارتكاز للقبائل الضاربة في الصحاري والجبال، فتخرج إليها في مواسم الزراعة أو بيع محاصيل الأشجار؛ ولهذا نجد في كل مدينة خليطًا من القبائل المختلفة في السودان ومن نيجيريا والصومال والأريترية والحبشة والكونغو واليمن والحجاز والهند ومصر، وأكثرها محتفظ بأنسابه وأصوله متعلق بقبائله.

الفصل الثامن

عند السيد عبد الرحمن المهدي مشروعات هندسية وزراعية واسعة

جزيرة آبا في ٦ فبراير

يطالعنا كل يوم بجديد في السودان، فتتجدد حيرة القلم المتعب المشتت، يحركه رأس قد تزاحمت فيه المشاهد وانعكست صورتها في خزانته؛ صور شتى لا تكاد تستقر حتى تزاحمها صور أخرى أكثر إشعاعًا وأوسع نورًا.

هكذا أبدأ الكتابة في وصف زياراتي مع حضرات أعضاء البعثة المصرية في السودان لمزارع حضرة صاحب السماحة السير الشريف السيد عبد الرحمن المهدي.

بالسيارات إلى جزيرة أبا

وقف القطار االساعة الثامنة من صباح اليوم بمحطة كوستى، وفي الساعة الثامنة صباحًا ركبنا السيارات إلى جزيرة أبا. وقد تفضل حضرة صاحب السماحة الشريف السير السيد عبد الرحمن المهدي فأبى واسع كرمه إلا أن يرسل إلينا سيارته وسيارات أخرى إلى محطة كوستى، وكان مقررًا أن نسافر إلى جزيرة أبا في سفينة بخارية، ولكن صاحبها لم يتمكن من إرسالها، فبادر سماحة السيد المهدي بتكليف نحو خمسة آلاف عامل بإقامة جسر على خور النيل الأبيض لمرور السيارات، فأقاموه في ١٥ ساعة، وتمكنَّا من أن نمر بالسيارات فوق الجسر يوم الثلاثاء «أمس». وكان في استقبالنا في كوستى وعند الجسر من آل المهدي أصحاب الفضيلة السادة محمد السيد عبد الكريم ونجله السيد صديق عبد الرحمن المهدي، وعبد الله الفاضل، والسيد الطيب الحلو،

وجعفر شرفي، ومحمد أحمد شرفي، وخالد شرفي، وحسن الأمير، وعبد الحميد المهدي، والسيد عبد الكريم، ومحمد عبد الكريم، ومحمد خليفة الشريف.

ثم وفد الخرطوم، وعلى رأسه أصحاب السيادة والأفندية: عبد العزيز القباني، وعبد المنعم وإبراهيم محمد وإبراهيم عامر.

ووفد أم درمان، وعلى رأسه حضرات عبد القادر العتباني، وصديق عيسى، ومحمد أحمد نقد، وحسين خليل، ودفع الله شبيكة، وبابكر بدري ناظر مدرسة الأحفاد، وكوكو عبد الله، وإبراهيم السيد، وعبد الرحمن عبد الله، والسيد عوض الجعلي، وسالم حسن أبو زيد، وداود قنديل، واليوزباشي موسى الطيب هاشم، وعبد القادر الدالي، والبكباشي أحمد عقيل، والحاج عبد الرحمن، وحسين خليل.

والسيد عبد الرحمن المهدي هو نجل المغفور له زعيم السودان الأسبق السيد محمد أحمد المهدي الكبير[١] الذي تلقَّى العلوم الدينية وحفظ القرآن الكريم على فريق من أجلاء علماء السودان، فقرأ الفقه على الشيخ محمد الخير وعبد الله بربر، والنحو والبلاغة على الحسين الزهرة والفقيه الأمين الضريري، وأخذ الطريقة السمانية على الشيخ محمد شريف نور الدايم من أولاد الطيب.

وكانت جزيرة الأشراف بمديرية دنقلة مسقط رأسه، وهى أيضًا مسقط رأس الدكتور محجوب ثابت «الدنقلي»، وقد انتقل السيد المهدي الكبير مع والديه وشقيقه الأكبر إلى قرية كَرَرى «بفتح الكاف والراء»، وكان إخوته وأعمامه من صناع المراكب الشراعية وتجارها، ثم انتقلوا إلى جزيرة أبا ومعهم صاحب الترجمة، وكانت مملوءة بالغابات الثمينة بأخشابها، وكان بها حيوانات متوحشة، ثم أخذ في نشر الدعوة المهدية، وهي تقوم على العمل بالقرآن وسنة رسول الله ﷺ. وترك البدع، فزار جميع مساجد السودان واختلى ببعض علمائها وأهلها، وأنبأهم أنه هو المهدي، وأنه يدعو إلى ترك البدع. ولم يكن يبث دعوته جهرًا في بادئ الأمر، وبعد أن اطمأن إلى أن دعوته لقيت أنصارًا عديدين جهر بها، وكان على السودان الحاكمدار رءوف باشا، فأرسل إليه علماء لمراجعته عن دعوته، وقد مات الباشا بالخرطوم، واستدعت الحكومة عبد القادر حلمي باشا. وانتقل المهدي إلى جبل قدير من جبال النوبة، وإلى كردفان، وقام لمحاربته

---

[١] راجع تاريخ السيد المهدي في الجزء الأول من هذا الكتاب.

يوسف الشاذلي باشا كنزي. وفتح المهدي الأبيض، ووجهت إليه حملة برياسة هكس باشا فُنيت عن آخرها. وهكذا انتشرت دعوته في السودان، وتوالت هزائم جنود الحكومة المصرية، فزاد ذلك من هيبته ورفع من نفوذه في أعين مواطنيه، وأيد ما كان يعتقده السودانيون فيه من الكرامات. وقد وجه إلى الحكومة المصرية تلغرافًا مطولًا، ينحى فيه باللائمة على البدع، التي منها عقد زواج رجل برجل في الأبيض. فدعوته دينية، ساعد عليها في الواقع ظلم الحكام واستبدادهم وإرهاق الأهالي بالضرائب. ومن الروايات في هذا الصدد أن مدير المديرية كان يأمر بالقطط أن تجمع وتجوع عدة من الأيام ثم تربط في موضع الشرف من الرجل، ملاصقة لبدنه فتأكل منه، ويموت معذبًا، وكل هذا لكي يدفع الضرائب التي كانت فوق طاقة البشر ولمصلحة المرتشين. لذلك كانت النفوس مستعدة لقبول الدعوة المهدية.

ومن جهة أخرى كان اضطراب الحكم في مصر بسبب الثورة العرابية — التي تقدمت الثورة المهدية بقليل — باعثًا على إهمال الجيش المصري في السودان. وأخيرًا أوفدت الحكومة غوردون باشا حاكمدارًا للسودان وسردارًا للجيش المصري بالخرطوم، للعمل على إعادة فلوله المنقطعة في المديريات التي وقعت تحت يد المهدي، فهاجمه المهدي بجيوشه، وذُبح وهو بملابسه الرسمية ونياشينه وهو على سلم قصر الحاكم العام، وأُخذ رأسه وصار ينقل من بلد إلى آخر في السودان ليتأكد الناس أن غوردون قُتل، وأن المهدي قد انتصر. ويقول بعض المؤرخين إن التهاون في حالة الجيش المصري في السودان وإرسال غوردون باشا وتعريضه لقتل محقق بسبب ما كانت عليه الحالة عند وصوله إنما كانت خطة إنجليزية مدبرة لإخلاء السودان والعودة إلى فتحه تحت قيادة كتشنر باشا وبمشاركة جنود إنجليزية.

وبدأت دعوة المهدي في رمضان سنة ١٢٩٨ هجرية، وتوفي في ٨ رمضان سنة ١٣٠٢ هجرية، وخلفه الخليفة عبد الله التعايشي، ثم جردت الحكومتان المصرية والإنجليزية حملة نجحت في استعادة السودان بعد أن ظل محكومًا بالدراويش والتعايشة مدة ١٤ سنة. وقد تم استعادته سنة ١٨٩٩ حيث عقدت اتفاقية السودان المعروفة بين مصر وإنجلترا.

وقد عُرف المهدي بالزهد والتقشف، وكان يتعبد في غار تحت الأرض عند بيت السيد عبد الرحمن بجزيرة أبا، وقد وضع عنده أثر يدل عليه، وكان يتعبد في جزيرات وسط النيل.

وكان للسيد المهدي أولاد؛ منهم عبد الرحمن المهدي، وكان جنينًا في بطن أمه عند وفاة أبيه، وكان للمهدي وآله أملاك في جزيرة أبا، فأخذ السيد عبد الرحمن يشتري ما يملك أقاربه حتى أصبح الآن مالكًا قدرًا كبيرًا من مساحة الجزيرة كلها، ومساحتها أكثر من ٣٠ ألف فدان، ولقد ملك أراضٍ أخرى على شاطئ النيل الأبيض، وفي أرض شركة الجزيرة، ولا تُعرف بالضبط مساحة ما يملكه السيد عبد الرحمن المهدي اليوم، ولكن المزروع فعلًا عشرة آلاف، وهناك طائفة من المشروعات الهندسية لإنشاء ترع ومساقٍ وإقامة جسور ومشروعات زراعية لإصلاح بقية الأطيان وإعدادها كلها للزراعة.

وجزيرة أبا هي جزيرة مستطيلة خصبة في النيل الأبيض، طولها ٦٠ كيلو مترًا، وكانت شهرتها الأولى بالأخشاب المأخوذة من غاباتها، وكان آل المهدي يستعملون الأخشاب في بناء المراكب الشراعية. وقد باع السيد عبد الرحمن المهدي ما كان يملكه من أخشاب الغابات فحصل على ثروة كانت أساسًا لشراء ألوف الأفدنة. وكان بدء مشروعاته الزراعية زراعة ١٧٠ فدانًا من القطن السكلاريدي سنة ١٩٢٧–١٩٢٨ كتجربة، فنجحت نجاحًا باهرًا، فزاد المساحة إلى ٨٥٠ فدانًا في السنة التالية، فجاد الفدان، في المتوسط، بخمسة قناطير مصرية من القطن. وظل يزيد المنزرع عامًا بعد عام حتى وصل ما زرعه هذا العام سنة ١٩٣٤–١٩٣٥ ٣٦٠٠ فدان، وسيزرع ٥٠٠٠ فدان في سنة ١٩٣٦. ويسكن جزيرة أبا سكان آخرون لهم أملاك بها غير السيد عبد الرحمن وأقاربه. وفي أراضي شركة الجزيرة تأخذ الحكومة ٤٠ في المائة من المحصول؛ لأن الحكومة هي التي تعد الأرض والماء للزراعة، ويأخذ السيد عبد الرحمن ٦٠ في المائة. وقد دلت التجربة على أن أطيان المهدي بالجزيرة تنتج أكثر مما تنتجه أراضي الشركة الإنجليزية بالجزيرة كما سنبين بعد.

وقد أعد سماحته ١٥٠ فدانًا في جزيرة أبا لزراعة الفاكهة، وجلب لها البذور من مصر، واستولد شتلًا في الجزيرة. وجربت زراعة ستة أفدنة من الفاكهة فنجحت التجربة. وقد اقترح فضيلة الشيخ المراغي على السيد عبد الرحمن أن يأخذ الشتل من بساتين بركات أو وزارة الزراعة.

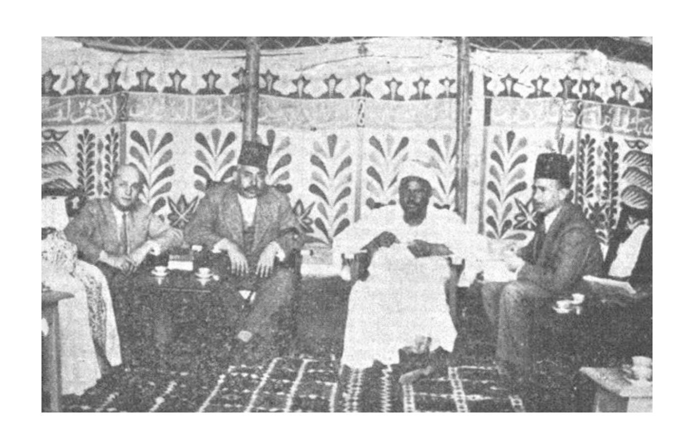
ويشتري مسيو كونتو ميخالوس جميع كميات القطن، وكلها سكلاريدس، التي تجود بها أطيان السيد عبد الرحمن المهدي.

ويزرعون في أطيان المهدي القطن على قاعدة الدورة الثلاثية؛ كانوا يزرعون في سنة قطنًا، وفي العام التالي ذرة، وفي العام الثالث يتركون الأرض خالية للتشميس،

فرأوا أن الأفضل زراعة الأرض قطنًا وتركها عامين متواليين بغير أي زراعة للتشميس. وتخصص مساحة معينة لزراعة الذرة؛ ذلك أن الفلاح السوداني ليست له خبرة الفلاح المصري من حيث التسميد، ولأن الأراضي كثيرة جدًّا، وقد فرضت الحكومة عشرة قروش ضريبة على كل فدان في جزيرة أبا؛ سواء أكان مزروعًا أم لا، على أنها في كل عام تعيد النظر؛ فإذا وجدت المحصول صغيرًا والأزمة طاحنة خفضت الضريبة، وإذا كان جيدًا اكتفت بتحصيل هذه الضريبة العامة.

وينزل المطر في أغسطس وسبتمبر، وتمكث زراعة القطن ٩ شهور من أول أغسطس حتى آخر أبريل. وإردب البذرة يكفي زراعة عشرة أفدنة. والأطيان مقسمة إلى ٧٥٠ حواشة — والحواشة ٥ أفدنة (جزيرة أبا).

وعند وصولنا إلى جزيرة أبا كان هناك سرادق صغير أعد لجلوسنا حيث استقبلنا السيد عبد الرحمن وسار معنا حيث شهدنا وابورَي الرى الكبيرين.



أعضاء البعثة في سرادق الحسيب النسيب السير السيد عبد الرحمن المهدي.

ثم توجهنا لدار السيد ببلدة الرحمانية بجزيرة أبا، فنحر جمل على عتبة الباب عند وصولنا، ثم جلسنا قليلًا وتناولنا طعام الإفطار.

ثم خرجنا بالسيارات إلى أطيان الجزيرة، حيث شهدنا شون القطن، وقسم الغار وشونته، وقسم دار السلام، وقسم طيبة. ولكلٍّ رئيس ومكتب وحاسبون.

ويبلغ عدد من يشتغلون في الأطيان المزروعة في جزيرة أبا لحساب السيد ٧٥٠ زارعًا فضلًا عن أسرهم، وقد أقام لهم السيد عبد الرحمن منازل ومستشفى ومدرسة كانت في نتائجها أحسن مدرسة في النيل الأبيض، نالت جائزة التفوق، ولها فرقة كشافة.

وقد تناولنا الغداء الساعة الثانية بعد الظهر. والسيد عبد الرحمن شديد العناية بفلاحي مزارعه، فقد أعد لهم المنازل، ويقوم بنفقات زواجهم ويواسيهم، وصحتهم أحسن من صحة الفلاحين الآخرين وأهنأ بالًا، ويعطي الفلاح في الشهر أجرة تتراوح بين ٢٠ و٣٠ قرشًا، فضلًا عما تقدمه الدائرة لهم من الطعام والثياب وجميع النفقات.

وفي الساعة الرابعة جلسنا في سرادق كبير وتناولنا الشاي، وشهدنا ألعاب الكشافة، وعُرضت أمامنا الجياد الأصيلة والهجن، وفي فضاء واسع يبلغ ثلاثين فدانًا نُظم استعراض من الألوف من الزرَّاع والوافدين لتحيتنا بالملابس البيضاء، وعزفت موسيقى الكشافة، وكان النظام بديعًا جدًّا.

وقد قامت كشافة المدرسة بألعاب عديدة دلت على سلامة الذوق وحسن الاختيار، وأن العناية تامة بتقدم الزراعة والحالة المحلية؛ مثل مناجاة الطيور وتقليدها والوقوف على رجل واحدة. وسد مسقي. وغير ذلك.

والسيد عبد الرحمن المهدي طويل القامة يلبس على رأسه عمامة، تشبه عمائم الحجازيين واليمنيين، وجبة وقفطانًا أبيض، وحذاء أصفر، وشالًا كشميريًّا. وقد أتم العقد الخامس من عمره المديد.

وقد ألقى فؤاد أباظة بك كلمة في شكر سماحته على حفلته الممتازة وإكرامه الذي يعجزنا عن الوصف لأننا لم نرَ له ضريبًا في مصر وغيرها ولا في جميع حفلات السودان.

وألقى الدكتور محجوب ثابت خطابًا أشار فيه إلى مناقب البيت المهدي الكرام، وإلى أن له الشرف أن تكون مسقط رأس الزعيم المهدي الكبير مسقط رأس الدكتور «دنقلة»، وأشار إلى حفاوة السيد عبد الرحمن … إلخ.

ثم وقف سماحة السيد عبد الرحمن فشكر لفؤاد بك والدكتور محجوب وتمنى للبعثة نجاحًا في مهمتها بتوطيد العلاقات الاقتصادية بين القطرين الشقيقين. وقد قوبلت الخطب بالتصفيق الحاد.

وفي مجلس السيد عبد الرحمن كان سماحته يتحدث إلينا عما بين مصر والسودان من علاقات، وما يجب أن يقوم بيننا من صلات، قائلًا إن السوداني الذي يدفع نقودًا لشقيقه المصري إنما ينقلها من جيبه إلى جيبه الآخر. وسماحته حائز للقب «سير» بسبب الإنعام عليه بنيشان الإمبراطورية البريطانية.

ولا تزال حفاوة السيد عبد الرحمن بالبعثة مثلًا بارزًا في الكرم والنظام، ولا تزال مشروعاته الزراعية مثلًا يُضرب في الصبر، وقدوة يجب أن يتبعها أصحاب الأطيان عندنا؛ فإن سماحته يستيقظ عند الساعة السادسة صباحًا ويشرف على مزارعه بنفسه، وقد تعلم نجله الفاضل السيد صديق الهندسة، وعينه والده مديرًا للدائرة يعمل فيها، ويعيش مع الفلاحين متواضعًا نشيطًا، وليس كأبناء السراة عندنا؛ كثيرون منهم لا يعرفون حدود أطيانهم، وقد لا يزورونها العمر كله. وقد استطاع السيد عبد الرحمن أن يحل مشكلة الأيدي العاطلة في السودان، وهي مشكلة عصيبة جدًّا؛ لقلة سكان السودان وعدم خبرتهم كالمصريين بالزراعة، ولقناعة السوداني بالدون، ومتى حصل على القليل آثر الراحة حتى ينفقه وبعد ذلك يبحث عن العمل.

حل السيد عبد الرحمن المشكلة بإنشاء مساكن صحية مناسبة لحياة السودانيين وبساطة معيشتهم، وعُني بتعليمهم وتطبيبهم، فاحتفظ بهذه الأيدي في المزارع أبديًّا، وساعد على ذلك اعتقاد الزرَّاع أن الله سبحانه وتعالى يثيبهم في الدنيا والآخرة على خدمتهم وإخلاصهم لسيدهم عبد الرحمن المهدي. ويقول مهندس الدائرة إن الفدان المزروع عند المهدي يكلف سماحته ثمانية جنيهات، بينما الشركة الزراعية بالجزيرة تنفق على الفدان ستة جنيهات، ولكن السيد المهدي يستفيد من وراء الزيادة إخلاصًا وأيدي عاملة موجودة دائمًا وإنتاجًا زائدًا على إنتاج الشركة.

وقد حدث في أثناء استعراض إبل المهدي أن سقط أحد راكبيها على الأرض فأُغمي عليه، فحضر السيد المهدي بنفسه وواساه، وأسعفه الأطباء، وأفاق بعد خمس دقائق شاكرًا لمولاه فضله ودعاءه وكرامته. وقد لاحظنا أن الصفوف ظلت متراصة وأن النظام لم يختل.

عدنا بعد ذلك إلى محطة كوستى، وسار القطار عند منتصف الساعة الثامنة مساءً إلى واد مدني.

برقية الأمير عمر طوسون إلى السيد المهدي

إن الحفاوة البالغة التي قابلتم بها البعثة الاقتصادية المصرية، والكرم الحاتمي الذي غمرتموها به، والجموع الحاشدة الذين خرجوا معكم لاستقبالنا وظلوا مجتمعين لتحيتها طول مدة إقامتها في ضيافتكم بجزيرة أبا — كل هذا يقابل منا ومن المصريين بعظم الغبطة والارتياح؛ إذ من شأنه أن يزيد روابط

الإخاء بين مصر والسودان إحكامًا، ويوثق عرى التعاون، ويثمر أحسن الثمار بمشيئة الله تعالى في علائقهما الاقتصادية والأدبية حاضرًا ومستقبلًا. فنشكركم على ذلك أجلَّ الشكر، ونثني على أريحيتكم وشهامتكم العربية أطيب الثناء، ونهدي إليكم وإلى أخيكم ونجلكم ونجل الخليفة التعايشي وسائر آلكم وأتباعكم وآلهم أبناء السودان جميعًا خالص تحياتنا وعظيم إجلالنا واحترامنا. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عمر طوسون

برقية شكر من السيد المهدي إلى الأمير عمر

أشكركم كثيرًا على برقيتكم الرقيقة، وإني وأفراد عائلتي والجميع لمغتبطون بزيارة البعثة الاقتصادية المصرية للسودان، وشاكرون لكم هذا التقدير والثناء، ونرجو أن يكون لهذه الزيارة الأثر الحميد في إحياء الروابط الاقتصادية بين القطرين، وسيكون لسموكم فيها أكبر الأثر وأطيب الثناء، وتقبلوا منا جميعًا التحية وأزكى السلام.

الزواج والمهور

وجه حضرة صاحب السيادة الحسيب النسيب السير السيد عبد الرحمن المهدي النداء التالي إلى الأمة السودانية:

بسم الله الرحمن الرحيم
حضرة المحترم ...

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. وبعد، فقد وصل لعلمكم نداءنا للأخصاء من أمتنا الكريمة بالدعاية إلى الزواج ومحاربة العزوبة بقلة المهر، وبشتى الوسائل التي تسهل أمر الزواج وتجعله ميسورًا وبقدر الاستطاعة. وإنه مما يجعلنا مطمئنين على نجاح هذا الأمر الاجتماعي العظيم سلطان رب الأسرة في بلادنا على أفراد بنيه، وإنكم خير من يرجى منه النهوض بهذا

الشأن؛ لكلمتكم النافذة ورأيكم الحكيم، وإن الله سبحانه وتعالى يحب من عباده من يريد الخير بهم، وإن أعظم ما يرضي الله مراعاة حرماته وعدم انتهاكها.

ولقد تفشى الفساد في النساء والأولاد، وهذا يخالف قواعد ديننا الحنيف، وينافي كرامتنا القومية وعوايدنا في حفظ عروضنا والغيرة عليها، ولا يمكن ملافاة الأمر إلا بتعميم الزواج والتساهل في المهر بقوله ﷺ: «أكثرهن بركة أقلهن مهورًا.» وقوله: «أشراركم عزابكم.» وقوله: «من تزوج فقد حفظ ثلثي دينه، فليتق الله في الثلث الثالث.» وإن الأزمة الحاضرة قد تكون مانعًا للزواج إذا لم يتساهل أولياء الزوجة في أمر المهر للحد الأدنى، وأن يتركوا الأمور غير المشروعة.

لذلك كله فقد اجتمعنا مع عدد عظيم من أهل البلد وقد قررنا الزواج بالجنيهين للبكر وواحد للثيب، وبالأكثر ٣ جنيهات للبكر وجنيهان للثيب، ولقد عقدت لولدي وابنتي وعدد يربو عن العشرة من آل بيتي بربع الدينار الذي يُباح به النكاح.

فالرجاء أن تقدروا ومن معكم من الإخوان معنا الفائدة في ذلك مع ما يترتب على الزواج من كثرة النسل الذي أرجو الله أن يكون برًّا بوالديه. وإني سأدعو لجميع من يحيي هذه السنة الحسنة في نفسه وولده بالدعاء الذي أرجو قبوله من الله الكريم، وأن يجعل لهم البركة في الرزق والذرية والسلام.

عبد الرحمن المهدي

الفصل التاسع

يوم عاصمة النيل الأزرق

زيارة واد مدني يوم ٧ فبراير سنة ١٩٣٥

(١) حفلات السودان

أبى المواطنون السودانيون الأعزاء إلا أن يجددوا في كل يوم وساعة عواطف الكرم والإخاء والمودة بالنسبة إلينا، وهم في هذا التكريم، يرون أنهم يكرمون مصر ذاتها، مصر التي يحبونها حبًّا لمسناه وأحسسنا به، وهو لا يقل عن حبنا لها، ويشاركهم في هذه العواطف الكريمة موظفو الحكومة وأعضاء الجاليات الأجنبية والشرقية، ويقدر الجميع ما خسره السودان بعد خروج الجيش المصري منه، حيث كان ينفق الجنود والضباط مرتباتهم، وقد ترتب على ذلك إفلاس متاجر وطنية وأجنبية، أو على الأقل قلة ربحها.

(٢) الرتب والنياشين

وقد كان لإنعام جلالة الملك على مسيو كونتو ميخالوس رئيس الغرفة التجارية بالخرطوم بنيشان النيل من الطبقة الثالثة وقع عظيم في نفوس أعضاء البعثة والسودانيين؛ لأن الإنعام جاء دليلًا على قدر الحكومة المصرية وجلالة الملك لمجهود حضرته في توثيق العلاقات بين مصر والسودان والحفاوة بالبعثة المصرية.

ويجب أن ننتهز هذه الفرصة لتنبيه الحكومة المصرية إلى وجوب السعي للإنعام بالرتب والنياشين على زعماء السودان وأعيانه وكبار موظفيه، والحكومة الإنجليزية

نفسها تمنح النياشين؛ فقد منحت وسام القديسَين ميخائيل وجورج من درجة فارس للسيد علي الميرغني، ومنحت نيشان الإمبراطورية مع لقب «سير» للسيد عبد الرحمن المهدي، وكان واجبًا أن تمنحهما الحكومة المصرية وتمنح غيرهما رتبة البشوية والنياشين الرفيعة، وهكذا.

(٣) حياة الأندية الاجتماعية والرياضية واليقظة

لفت نظرنا في السودان انتشار الأندية ونجاحها وحسن نظام أعضائها، وهذا دليل على الاستعداد للتقدم، والأخذ من المدنية بلبابها ومنافعها، فإن الأندية تعلم النظام، وتوجد التكافل، وتنشئ مجتمعًا يتمتع باللهو البريء.

كما لفت نظرنا تتبع مواطنينا السودانيين لجميع الحوادث السياسية وغيرها، وهم في هذه اليقظة والتعلق بمصر كإخواننا أبناء فلسطين ولبنان وسوريا، ورأيت القوم متتبعين لتفاصيل المسائل.

(٤) في حقول التجارب

وصلنا إلى واد مدني عند الساعة الثالثة والنصف صباحًا، وفي الساعة الثامنة من صباح اليوم توجهنا بالسيارات لزيارة حقول التجارب لنقابة الشركة الزراعية الإنجليزية لأراضي الجزيرة.

خطاب زراعي

ألقى مفتش حقل التجارب في واد مدني المحاضرة الزراعية التالية:

> بالنيابة عن موظفي حقل تجارب شركة الجزيرة، يسرني السرور كله أن أرحب بكم في هذا الصباح هنا، ولأن نضع ترتيبًا يمكنكم من رؤية شيء من عملنا.
>
> أُنشئ حقل تجارب الجزيرة منذ ١٧ عامًا، وقد تخصص موظفوه بالمشاكل الزراعية؛ وخاصة ما يتعلق بزراعة القطن التي ظهرت في أرض الجزيرة.

ولا يزال فريق من الناس يشك في إمكان الحصول على محصول مرضٍ من زراعة القطن بالجزيرة، وصدرت أخيرًا تصريحات قالت بأن تربة الجزيرة قد فسدت إلى مدى خطير، وأن الآمال المعقودة على زراعة القطن فيها قد استهدفت للخطر.

إن من أولويات واجباتنا هنا في حقل التجارب ملاحظة عوامل الفساد في تربة الجزيرة، ودراسة نتائج الري وتكون المحصول على هذه التربة. وبناءً على وقوفنا على هذه النتائج، نستطيع أن نصرح بأنه لا صحة مطلقًا في القول بأن هناك دلائل صادقة على اطراد الفساد في الجزيرة حتى الآن، ونحن نستطيع أيضًا أن نقول بأنه لا محل للتشاؤم في المستقبل.

سترون، في أثناء طوافكم في الحقول، أن قطعة أرض رويت وأنتجت محصولًا من القطن أو اللوبيا منذ ١٩١٧، ولدينا ما يدل على أن المحصول الذي ينتج من الأرض المذكورة في الموسم الحاضر يساوي — أو ربما يفوق — المحصول الناتج منها منذ خمسة عشر عامًا.

وستوضح لكم مشاهدتكم — كما آمل — أن لا أساس للإشاعات القائلة بأن أرض الجزيرة عرضة لفساد خطير وعاجل.

وقبل شروعكم في معاينة الأرض أود أن أذكر لكم شيئًا عن حقل التجارب: كما ذكرت لكم قبلًا أُنشئت المزرعة منذ ١٧ عامًا، وبلغت الآن ٨٠٠ فدان، منها ١٨٠ فدانًا لزراعة القطن و٢٢٠ لزراعة الذرة واللوبيا.

ويوزع العمل في هذه المزرعة على أقسام، تتعاون للوصول إلى غرض واحد.

القسم الزراعى: ووظيفته القيام بتجارب زراعية والتسميد والتخطيط وري الزرع والقيام بتجارب الاستنبات.

قسم ملاحظة النبات: يقوم بإحصاءات وأرقام فيما يتعلق بتقدم المحصول.

القسم الفيزيولوجي: يدرس فيزيولوجية المشروعات القطنية.

القسم الكيمائي: التغيرات الطارئة عند الري والمحصول ولابتكار وسائل تحسين حالة التربة.

قسم الحشرات: يدرس آفات المحاصيل الناتجة من الجزيرة ويقوم بتجارب ويرقبها.

القسم الباتولوجي: يدرس أمراض النباتات ومنها حشرة البلاك آرم والليف كيرل.

وأخيرًا قسم استيراد النبات: ويختص بانتخاب وتوليد أصناف عديدة من القطن والمحاصيل الأخرى. ا.هـ.

ثم زرنا حقول التجارب، وشهدنا ما يأتي:

(١) حقلًا زُرع قطنًا وفي السنة التالية زُرع لوبيا.
(٢) حقلًا زُرع قطنًا وفي السنة التالية زُرع ذرة.
(٣) حقلًا زُرع قطنًا وفي السنة التالية تُرك بورًا.

فكانت نتيجة التجربة أن الثالث جاءت زراعته القطنية بعد ذلك بزيادة محسوسة، والأول جاء بنتيجة أقل من الثالث بشيء يسير، والثاني جاء بنقص في المحصول.

وهناك حقل استمر مزروعًا قطنًا لمدة ١١ سنة، ثم تُرك بورًا لمدة سنة، ثم زُرع قطنًا فجاد المحصول بزيادة ٣٤ في المائة. وحقل ثانٍ استمرت زراعته القطنية ١١ سنة، ثم تُرك بورًا لمدة سنتين متواليتين، فجاءت زراعته القطنية بعد ذلك بزيادة قدرها ١٧ في المائة.

وحقل ثالث زرع قطنًا ١١ سنة، وتُرك بورًا لمدة ثلاث سنوات، فجاء بزيادة قدرها ٤٠ في المائة.

ونفهم من ذلك أن ترك الحقل سنة واحدة بورًا كافٍ في زيادة الإنتاج زيادة محسوسة، وأن زيادة الإنتاج، بعد عامين أو ثلاثة في البور، قليلة جدًّا، فلا تبرر الحرمان من إنتاج الأرض عامين أو ثلاثة.

ثم شهدنا ما يلي:

(١) حقلًا زُرع قطنًا وزُرع لوبيا في السنة التالية.
(٢) وحقلًا زُرع قطنًا ثم زُرع ذرة ثم ذرة.
(٣) وحقلًا زُرع قطنًا ثم زُرع ذرة ثم زُرع لوبيا.

فكان الأول أكثر الحقول إنتاجًا ويقاربه الثالث.

وحقلًا زُرع قطنًا عدة ٩ سنوات متوالية، ثم زُرع ذرة، ثم زُرع لوبيا، فكانت النتيجة لا بأس بها.

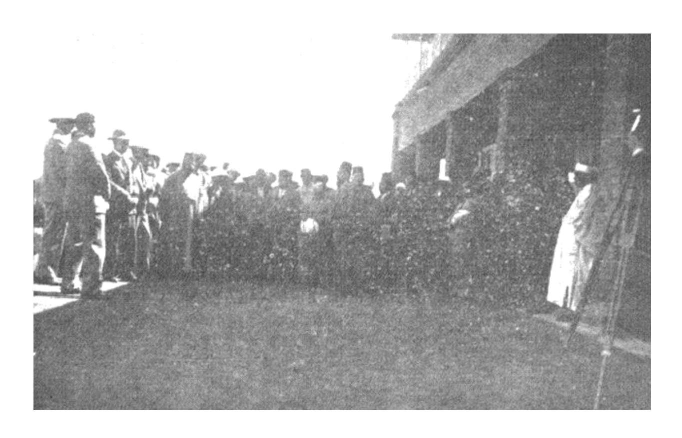
ينتج من ذلك أن الذرة تجهد الأرض، وأنه ليس من المصلحة زراعة الذرة بعد القمح، وأن زراعة اللوبيا لا تجهد الأرض ويحسن زرعها بعد القطن.

ثم زرنا معامل الأقسام، ورأينا الحشرات، وأخصها ذبابة البلاك آرم، تنقل العدوى من ورقة إلى ورقة في شجيرات القطن.

ويُجنى قطن الجزيرة ثلاث مرات في السنة، والجنية الأولى — وتسمى في السودان «تلجيطة»؛ أي «تلقيط» — هي الجنية الكبرى، وتزهر الشجيرات عقب الجنية الأولى وتموت الحشرات عند اشتداد الحر.

ثم شهدنا قطعًا من طينة حوض نهر الجاش وطينة من أرض الجزيرة، فتبين أن تربة الجزيرة بها أملاح تعطل سير الماء في الوصول إلى عمق كبير، وينتج الفدان في دلتا الجاش محصولًا أكبر من محصول الجزيرة. ولوحظ أنه كلما قل محصول الجزيرة، قل معه محصول الجاش نسبيًّا، وهذا يدل على أن العوامل الجوية لها تأثيرها الأقوى والأفعل؛ لأن كلًّا من أرض الجزيرة ودلتا الجاش لا يرتوي من الآخر.

في محلج القطن



أعضاء البعثة أمام محلج واد مدني.

زرنا محلج القطن التابع للشركة، وهو أربعة عنابر، لكل عنبر ماكينة و٨٠ دولابًا، ويشتغل به ٣٠٠ عامل، ويوجد به نجار مصري. وباشملاحظ المحلج هو حضرة علي زكي أفندي. وبعد عزل البذرة من القطن يكبس القطن بالآلات، وتسع كل آلة بين ٤٠٠ و٥٠٠ رطل.

ثم زرنا المديرية وقابلنا المدير.

وفي واد مدني مدرستان ابتدائيتان، ومدرسة راقية أو ثانوية، ومدرسة يونانية، ومدرسة بنات إنجليزية بها خمسون بنتًا وأكثرهن غير إنجليزيات، وتوجد مدرسة ليلية لتعليم الأميين، وثلاث مساجد. وتنار المدينة بالكهرباء، وتُروى من خزان للماء، وعلى شاطئ النيل الأزرق حديقة واسعة محلاة بالأشجار والزهور، وتعطي منظرًا جميلًا يوحي بأسمى الخيال.

وواد مدني مدينة كبيرة نسبيًّا، منازلها من الطوب الأحمر المحروق.

وقد مررنا بالسوق وزغرد النساء، وكن يقلن: حيَّتكم تحية الرخاء والرزق. وقد سأل الدكتور محجوب إحداهن: هل أنت دنقلاوية؟

فقالت: «بنت ريف ما دنجلاوية.» أي لست من دنقلة.

ثم قالت: «مرحبًا بكم، الله يفرج عليكم. حبابكم، أهلًا وسهلًا. أبيض اليوم اللي جابكم.»

ثم تناولنا طعام الغداء مع الدكتور محجوب والشيخ أحمد عثمان القاضي على مائدة حضرة محمد صالح أفندي باشكاتب المديرية.

ثم حضرنا الساعة الخامسة حفلة الشاي التي أقامها حضرات التجار والأعيان، وكانت في متنزه واسع المدى على النيل الأبيض، وقد حضرها حضرات المشايخ والسادة والأفندية: مستر كنجدن نائب المدير، ومحمد صالح باشكاتب المديرية، وسليم جرجس رئيس الحسابات، ومستر ديفز مفتش أول، ومحمود العراقي نائب رئيس الحسابات، وكوسة بطرس مقاول وتاجر، ومستر بولتون مفتش المركز، وبولس بطرس وكيل بوستة، ومصطفى ندا مأمور مدني، ورشدي بطرس المحامي، ومحمد كنتباي أبو جيرجة مأمور ثان — جنايات، وعبد الرحيم عبدون، ومحمد الحسن عمر نائب مأمور، وأحمد الحاج العاقب قاضٍ شرعي، وحكيم بطرس محاسب أول، والشيخ مدثر علي البوشي قاضٍ شرعي مساعد، والقس طوبيا عبد المسيح عن الكنيسة الإنجيلية، وشمس الدين الحنفي، والقس بشارة من كنيسة الأقباط، وعثمان زيات سر تجار، وبقطر

محروس بالمعاش، وإلياس تناوي، ومحمود خيري أفندي مساعد رئيس التسجيلات، وسيد شكري التاجر، وسلام مهنا محاسب أول المركز، وتوفيق فلتاءوس محاسب أول الري المصري، والدكتور طاهر يوسف، ومحمد أحمد عبد القادر مدرس، وحسن الصاغ شيخ السوق، ومحمود برهان رئيس حسابات مصلحة التجارب، ومصطفى العجاتي، ومحمد بادية، وعثمان أبو العلا، وأحمد البوشي، وأحمد الحضري، وأركستدس خسال، ورامجي سامجي، وإبراهيم الريح، وعلي محمود يحيى، وعيسى أبو عيسى، وشمس الدين الشافعي، وأبو زيد أحمد، والكوردي إخوان، وأحمد رمضان، واوارد قريوة، وعبد القادر إسماعيل، وإبراهيم السني، وتوفيق حبيب مهندس مقاول، ومستر واي مدير البنك الأهلي، وعبد العزيز عثمان القباني، وتوفيق عطا الله مدير الشركة الزراعية، ومستر تسيتورس مدير بنك باركليز، وكوستى بليفاتلش، والدكتور إفراميدس، والدكتور حاج ميخالي، وجون بوتاميتس محامٍ. وقد ألقى كل من حضرات الشيخ عثمان عوض أبو العلا وراغب دلال أفندي خطابًا، وفضيلة الشيخ مدثر البوشي القاضي الشرعي قصيدة عامرة.

وألقى صاحب العزة فؤاد أباظة بك كلمة شكر، وألقى الدكتور محجوب خطبة رقيقة فيها دعابة وفكاهة.

(٥) في نادي الموظفين

وقد استقبلنا بنادي الموظفين حضرات أعضاء لجنة النادي، وعلى رأسهم رئيس النادي حضرة محمد أفندي صالح باشكاتب مديرية النيل الأزرق، وسكرتير النادي الشاب عبد الله أفندي حامد البدوي، وكل من حضرات الندر أفندي مصطفى، ومحمد أفندي كنتباى، وأحمد أفندي بكر، وفهمي أفندي تادرس، وحبيب أفندي مصطفى، والأستاذ بشير أفندي حامد، ويوسف أفندي الديب، والأستاذ الشيخ عبد الله عبد الرحمن، والشيخ عباس صالح.

ومن الوجهاء فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد العاقب قاضي شرعي المديرية، والأستاذ فيليب البستاني قاضي جزئي المديرية، وعبد الرحمن أفندي عبدون كبير مهندسي الري بواد مدني، ومدثر أفندي محمود كبير مهندسي الري بالمريبيعة، ونجيب أفندي شنودة، وبقطر أفندي محروس، ومحمود أفندي العراقي.

وألقى الشيخ عبد الله الأمير قصيدة جاء فيها:

قد طالع السودان يوم قدومكم   فأل سيسدل ضيقها برخائها
أوليتمونا إذ هبطتم أرضنا   مننًا خشينا العجز عن إحصائها
فالله يكلؤكم ويكلؤها معًا   وكفى بربك سامعًا لدعائها

(٦) في النادي اليوناني

ثم زار الأعضاء في الساعة العاشرة مساءً النادي اليوناني في واد مدني المعروف باسم (كلوب هلنج)، ويرأسه مسيو بليفاندس، ويشغل منصب نائب الرئيس الدكتور إفراميدمس وسكرتيره مسيو زاويديس الذين استقبلونا مع حضرات أعضاء النادي من رجال وسيدات بالترحاب، وقدموا إلينا الحلوى والمشروبات، وقد أسس النادي سنة ١٩٢٥، ويبلغ عدد أعضائه ٩٠ عضوًا، ويبلغ عدد أعضاء الجالية اليونانية ٣٥٠، من بينهم التجار وطبيبان ومحامٍ، ورسم اشتراك العضو في السنة جنيهان، وللنادي حديقة، وتُقام به الحفلات، ولا يشترك فيه سوى اليونانيين.

(٧) في النادي المختلط

ثم زرنا بعد ذلك النادي المختلط، ويرأسه حضرة الفاضل القاضي نسيب البستاني من أسرة البستاني الشهيرة بلبنان، وقاضي المحكمة الجزئية بواد مدني، وقد استقبلنا حضرته ومعه حضرة عطا الله باشكاتب شركة أراضي الجزيرة الإنجليزية، وحضرات الأعضاء من رجال ونساء بالحفاوة والإكرام. وقد أُنشئ النادي منذ سنتين، وله حديقة فسيحة وشرفات بديعة، ويقع قريبًا من محطة واد مدني، وله غرف للمطالعة والتنس والألعاب الرياضية وصالة راقصة، ورسم العضوية فيه جنيهان في السنة، وأكثر أعضائه من الجالية السورية واللبنانية، و١٥ عضوًا يونانيًّا، وأعضاء من الإيطاليين والأرمن، وعشرة أعضاء مصريين. وباب العضوية مفتوح لجميع الجنسيات.

وفي الساعة الحادية عشرة انصرف الأعضاء إلى القطار الخاص، حيث باتوا فيه إلا الدكتورمحجوب، فقد بقي حتى منتصف الليل يسمر ويتحدث، والجميع ملتفون حوله يصغون إلى أحاديثه وملحه وترديده العلاقات الطبيعية بين أبناء العربية في مصر

والشام ولبنان وفلسطين والسودان، وكان يدخن النرجيلة — التي هي أحب الأشياء لدى الدكتور محجوب وصديقه المؤانس — وكلما هم الدكتور بالإنصراف ألحَّ عليه الحاضرون بالبقاء والمبيت في النادي، وطلبوا أن يتخلف عن البعثة في سفرها غدًا إلى الخرطوم. والدكتور متردد بين التخلف والسفر، ولكنه مقيد برابطة البعثة ومجتمعها فلا يستطيع تخلفًا.

(٨) النادي الإنجليزي

هذا وللإنجليز الموظفين في مديرية النيل الأزرق، التي عاصمتها واد مدني، وفي مكاتب شركة أراضي الجزيرة بها، نادٍ لا يؤمُّه إلا الأعضاء الإنجليز، وهم لا يختلفون مع أعضاء الأندية الأخرى، ورسم العضوية ستة جنيهات للرجل وخمسة للسيدات في السنة.

(٩) التضمخ بالصندل

في السودان عادةٌ لا بأس بها، ذلك أنه قد تعمد المرأة السودانية إلى إحداث حفرة في الأرض تضع فيها صندلًا أو أخشابًا ذات رائحة عطرية وتوقد النار فيها، ثم تجلس على الحفرة ويصعد الدخان إلى لباس المرأة وبدنها فتصيب من ذلك رائحة عطرية جميلة.

الفصل العاشر

أيامنا في مدينة الخرطوم

(١) اليوم الأول الجمعة ٨ فبراير

سافرنا اليوم من واد مدني حوالي الظهر إلى الخرطوم، وكان توديعنا حافلًا كاستقبالنا، وقد وقف القطار عند «الحصاحيصة» لمدة ربع الساعة قدَّم سكانها المرطبات والقهوة والسجاير مع ترحيب عظيم. وعند الساعة السادسة مساءً وصل القطار إلى محطة الخرطوم، حيث كان في انتظاره مئات المستقبلين من كبار الموظفين والقضاة وخريجي كلية غوردون، وموظفو الري المصري والشبان، فتعانق الفريقان وحمل الشبان الدكتور محجوب ثابت على الأعناق وأركبوه السيارة، وسار رتل السيارات من المحطة حتى فندق «جراند أوتيل» على النيل الأزرق، بين التصفيق والزغاريد على طول الطريق، وينزل بالفندق الموظفون الإنجليز، الذين ليست لهم مساكن ويدفعون أجرة خاصة، وينزل به كبار السائحين، وأُعدت للأعضاء باخرتان حكوميتان أمام الفندق، فملأ الأعضاء الفندق والملحق المجاور له والباخرتين، لكل منهم غرفة. وبعد أن استراح الأعضاء من وعثاء السفر، وبدلوا ملابسهم، نزلوا إلى شرفة الفندق وخرج بعضهم لشراء بعض الحاجيات ومقابلة بعض الأصدقاء، وحضر آخرون من علية القوم يتقدمهم أصحاب الفضيلة الشيخ نعمان الجارم قاضي قضاة السودان، والشيخ أحمد محمد أبو دقن شيخ علماء السودان، والشيخ الفيل مفتي السودان، وغيرهم.

(١-١) مأدبة عشاء أقامها كونتو ميخالوس

لبس الأعضاء ملابس السموكن ونزلوا إلى قاعة الطعام بالفندق حيث أقام مسيو كونتو ميخالوس مساءً مأدبة عشاء حضرها ١٢٠ مدعوًّا من كبار موظفي الحكومة الإنجليز، ومحمد بهي الدين بركات بك الذي وصل إلى الخرطوم قبل البعثة بأيام، وعبد القوي أحمد بك وأعضاء الغرفة التجارية بالخرطوم، وبعض آل المهدي. وألقى كونتو ميخالوس خطبة، وألقى رشوان باشا خطبة أخرى.

وتم التعارف بين الأعضاء وكبار المدعوين، ثم انتهت الحفلة قبيل منتصف الليل، وآوى الأعضاء إلى فراشهم.

(٢) اليوم الثاني ٩ فبراير

عند السيد الميرغني – في الغرفة التجارية – في مكتب حضارة السودان – في سراي الحاكم – حفلة شاي في الغرف التجارية – خطاب مسيو كونتو ميخالوس – خطاب رشوان محفوظ باشا – خطاب أباظة بك.

توجهت مع إخواني الساعة التاسعة صباحًا إلى دار حضرة صاحب الفضيلة الحسيب النسيب السير السيد علي الميرغني شيخ الطريقة الميرغنية المنتشرة في ربوع السودان والحجاز وأفريقيا وقسم كبير من البلاد المصرية.

استقبلنا فضيلته بالخرطوم في قصره الواسع الفناء، المتجمل بحديقة غناء، فأما البناء فهو آية في البساطة وحسن الذوق، وجلسنا في سرادق مجاور للبناء يتوسطنا فضيلته، وجلس يحادثنا خير الأحاديث، فكان مما قاله:

> أظن حضراتكم قد أدركتم من زيارة السودان أنه على صورة تختلف عن الصورة التي ارتسمت عندكم قبل زيارته، وقد وددنا لو كان عدد البعثة أكبر؛ لأنه كلما زاد العدد، زاد عدد المتحدثين بالخير عن السودان وحقيقته.

والتفت فضيلته إلى الدكتور محجوب وقال له: هل تنوي أن تزور مسقط رأسك دنقلة؟ فقال الدكتور: من الأسف أنها لم توضع في البرنامج.

فقال فضيلته: «إن هذا الوقت هو خير وقت لزيارتها، ولكن الطريق ليس سهلًا، وطريق النهر أفضل؛ لأنه لا يوصل إلى دنقلة بالسكة الحديدية، ويظهر أن ضيق الوقت هو الذي أخرجها من البرنامج، وأظن الدكتور يحن إلى مسقط رأسه.»

فقال الدكتور: آي والله.

فقال الأستاذ خميس: إن الدكتور يريد أن يبقى في السودان.

قال فضيلته: ما هو الدكتور محجوب بتاعنا وليس بتاعكم … «ابتسام».

وقد أنشأ الجد الأعلى للسيد علي الميرغني الطريقة الميرغنية في مكة، وهاجر جده السيد محمد عثمان الميرغني من مكة إلى سواكن فكسلا، فنشر طريقته في شرقي السودان، ولما توفي قام مقامه ابنه السيد الحسن الميرغني، وبعده ولده السيد محمد عثمان والد السيد علي الميرغني، وقد وطد آل الميرغني دعائم الدين الإسلامي في السودان، بما نشر السيد محمد عثمان الميرغني الكبير من الأهازيج والقصائد والمدائح النبوية، بما يوافق حداء الإبل وأغاني الأفراح والمآتم في البادية في لغة سهلة ولهجات تلائم كل قبيلة. وللطريقة الميرغنية في باب الوزير بالقاهرة زاوية وتكية، ويأخذ بها النوبيون وسكان أسوان وإريتريا، ولهم خلفاء.

ومنذ عهد بعيد منحت الحكومة البريطانية السيد الميرغني وسام القديسين ميخائيل وجورج ونيشان فيكتوريا من درجة فارس، وهما يمنحان لقب سير.

والسيد علي الميرغني في الخامسة والخمسين من عمره — بالحساب الهجري — وهو نحيف الجسم، قصير القامة، حاد البصر، هادئ الطبع، متواضع، حلو الحديث، أسمر البشرة كسكان مديرية أسوان. هاجر وهو صبي من كسلا إلى سواكن إلى القاهرة، حيث نشأ فيها، ثم عاد إلى السودان بعد انتهاء الثورة المهدية؛ لأن الميرغنيين كانوا خصومًا لها وأنصارًا للحكومة المصرية.

والسادة الميرغنية من أشراف الحسينية بمكة، وينظر إليهم السودانيون كأبناء بيت النبوة.

ثم انصرفنا من دار السيد الميرغني وزرنا سراي الحاكم العام بالسودان، ويقولون عنها «السراي» وهو معدود نائب الملك، ولذا فهو عادة لا يقبل دعوة من فرد، وقد قيدنا أسماءنا في دفتر المقابلات، في مدخل السراي، وشهدنا سيوفًا وخناجر وحرابًا وبنادق ومتراليوزات ودروعًا وتروسًا للإنجليز والجيش المصري والدراويش المهديين، تمثل الأسلحة التي استعملت في فتح السودان واستعادته والثورة المهدية، كما يرى

الزائر لديوان وزارة الحربية المصرية شارع الفلكي بالقاهرة الأسلحة المعلقة بجدرانها. ورأينا الأثر الذي كان به السلم إلى دار غوردون باشا، وفي محله صورة تمثله في ملابسه الرسمية وجاكتته مفتوحة عند أعلى درج السلم والدراويش يحملون الحراب ويهجمون عليه.

ثم زرنا الغرفة التجارية بالخرطوم واستقبلنا مسيو كونتو ميخالوس والسيد عبد المنعم ويونس محمد ومصطفى أبو العلا وتوتنجي وكفوري والأديب معاوية محمد نور سكرتير الغرفة، وغيرهم.

وقد عقد اجتماع تأيَّد فيه القرار السابق بتأليف لجنة زراعية مصرية سودانية وأخرى تجارية.

ثم زرت منفردًا مكتب جريدة حضارة السودان مع فضيلة رئيس تحريرها فضيلة الأديب الشيخ أحمد عثمان القاضي، ثم زرت جريدة السودان لصاحبيها الشيخ عبد الرحمن أحمد والسيد السواكني.

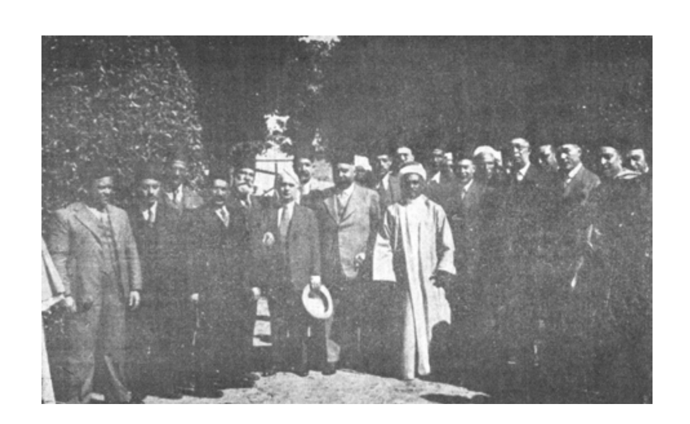
بعد ذلك مررت بشوارع الخرطوم فألفيتها واسعة نظيفة وهادئة، والمباني من طبقة واحدة، والأسواق عامرة بمطالب الحياة، وللترام خطوط ثلاثة؛ هي خط دائري، وخط إلى خرطوم بحري، وخط من الوسط إلى أم درمان يمر بالخرطوم بكوبري على النيل الأبيض، الذي يلتقي بالنيل الأزرق عند الخرطوم، ويشبه ترام الخرطوم أقدم طراز لترام القاهرة، وبه درجتان، ويوجد تذاكر ذهاب وإياب بقيمة مخفضة. وأسعار التاكسي معتدلة، وتوجد عربات ركوب يجرها جواد واحد.

وليس بالخرطوم ولا بأي مدينة مجارٍ، ولكنهم في كل مكان يضعون الجرادل تحت المراحيض وتنقل الجرادل ليلًا ويوميًّا، كما في رأس البر.

ومررنا بكلية غوردون، وتعد من مصاف المدارس المتوسطة في مصر، ولكن برنامجها أصبح أقل من قبل، وبها الأقسام التالية: قسم لتخريج المترجمين والكتبة، قسم المحاسبين، قسم القضاة الشرعيين، قسم المهندسين، قسم المعلمين، قسم إعدادي يدخل خريجوه مدرسة كتشنر الطبية، ويوجد قسم داخلي للكلية.

وأكثر منازل الخرطوم من الطوب الأحمر المحروق، وتتصل بالحدائق. وهي مدينة حديثة أنشأها محمد علي الكبير، وخربتها الثورة المهدية ونقلت العاصمة إلى جارتها أم درمان التي تحتفظ بالحي الوطني والمنازل القديمة. وقد جُدد بناء الخرطوم بعد استعادة السودان.

وتوجد بها «شركة النور والقوة الكهربائية»، وهي توزع النور الكهربائي وتدير الترام، وهي صاحبة الكبريين.



أعضاء البعثة المصرية في حديقة الحسيب النسيب السير السيد علي الميرغني وترى سيادته في وسط الأعضاء.



في سوق القضارف.

(٢-١) حفلة الغرفة التجارية السودانية

خطب رئيس الغرفة وبعض أعضاء البعثة

أقامت الغرفة التجارية السودانية بالخرطوم في دارها الخاصة المنظمة الأنيقة الملحق بها حديقة، بعد ظهر اليوم، حفلة شاي تكريمًا لأعضاء البعثة، حضرها الكثيرون من التجار والوجهاء.

خطاب مسيو كونتو ميخالوس

فيما يلي الخطبة التي ألقاها مسيو كونتو ميخالوس رئيس الغرفة التجارية السودانية:

> بالنيابة عن لجنة وأعضاء الغرفة التجارية أريد أن أبث إليكم جميعًا ترحابًا قلبيًّا. لما كان لي الشرف في مقابلة بعضكم في القاهرة في يوليو الماضي، صرحت بمحاولة ترتيب زيارة السودان.
>
> وبأننا نحن من جهتنا هنا سنعمل على رد هذه الزيارة؛ ذلك لأني فكرت أن هذه أحسن وسيلة لتقريب التجار بعضهم لبعض، وبعمل كهذا نكون قد مهدنا الطريق لحسن التفاهم بين بلدينا.
>
> وإني أعبر عن جميع من في السودان بشعور الشكر والامتنان لحضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون وللجنة الجمعية الزراعية الملكية، ولسعادة يوسف باشا قطاوي، ولحضرة عبد المجيد أفندي الرمالي الأول رئيس والثاني سكرتير غرفة القاهرة التجارية، ولسعادة أمين يحيى باشا وشكري خميس أفندي الأول رئيس والثاني سكرتير غرفة الإسكندرية التجارية، وللجنة النقابة الزراعية المصرية العامة؛ لتلبية الدعوة وترتيب هذه البعثة في السودان.
>
> للسودان أصدقاء كثيرون في القطر المصري، ولكن ليس فيهم الحماس الكافي الذي نشهده في ضيفنا الرفيع فؤاد أباظة بك؛ فنحن مدينون له أكثر مما نحن مدينون لغيره؛ نظرًا للمتاعب التي يتحملها ليوحي إلى الشعب في مصر الثقة بالسودان، ولأنه رسول التعاون وترويج صلات الصداقة بين شعبي القطرين. للعائلة الأباظية أبناء ممتازون كثيرون، ويحق لي أن أطلب من فؤاد بك أن يتنازل عن لقب «أباظة» وأن يسمي نفسه «فؤاد بك السوداني».

لقد انقضى أسبوعان على نزولكم في بور سودان، ولقد سافرنا معًا إلى سواكن وطوكر وكسلا والقضارف وسنار وسنجة وكوستى وتندلتي وأم روابة والأبيض، وقفلنا راجعين إلى أبا وجزيرة الخرطوم، وهي المراكز المهمة، ولقد حيِّيتم في كل جهة تحية ودية، وقابلكم الموظفون بوجوه باسمة، وتباحثتم مع الأعيان والتجار الأجانب والوطنيين في جو يسوده الود والصفاء، كما أن جميع أهالي السودان قابلوكم في كل قرية ومحطة مررتم بها ليحيوكم تحية أخوية، وليعبروا عن آمالهم بأن تكون لزيارتكم نتيجة لها أثرها.

نعم نحن هنا زعماء التجارة وطلائع التقدم في السودان ننظر إلى حضوركم بيننا بنفس الآمال الزاهية التي تملأ قلوب سائر السكان.

لقد تكلم المصريون كثيرًا عن السودان، ولكن قليلًا منهم من يلم إلمامًا كافيًا بأحوال معيشتنا وحالات الحياة هنا. وإني متأكد أن بعضهم ليس عنده فكرة صائبة عن التقدم الذي وصلت إليه البلاد منذ إعادة الاحتلال، والطريق الذي مهد السلام، والقانون الذي تسير عليه.

لقد قابلكم حكام المقاطعات في كل محطة، ولقد رأيتموهم في العمل، ولقد سمعتم من أفواههم تاريخ محنهم والصعوبات التي تعوق واجباتهم المعقدة التي يقومون بها، ولقد رأيتم الصداقة التي يعاملون بها الأهالي، وكيف ينظر هؤلاء لتلك الفئة القليلة من الرجال الموزعة هنا وهناك لإقامة العدل والصراحة.

ولقد شاركتمونا قليلًا في رداءة الجو الذي يشتغل فيه هؤلاء الحكام، ولم تسمعوا منهم أي شكوى، بل بالعكس لم يكن هناك سوى حماس وثقة في النفوس، ورضاء عام.

وإذا علمتم أن الحكام والتجار وجميع الأهالي كانوا يشتغلون في السنوات الأخيرة تحت حالات غير طبيعية بأجور مخفضة وخسائر في رأس المال تتوالى، فإني متأكد أنكم تشعرون بأكثر من الإعجاب نحوهم، وأنكم دون شك ستحملون معكم لبلدكم هذا الإعجاب، وستبلغون مواطنيكم ما علمتموه عن الإدارة والأهالي والحياة في السودان، وأن تبينوا لهم الخطوات العظيمة التي خطتها هذه البلاد في طريق التقدم والمدنية بالرغم من الأزمة التي أوقفت نشاطنا وشتتت أفكارنا، وإني أرجو بما توصلتم إليه من معرفة أن

تبلغوا مواطنيكم أن السودان لا يحتاج إلى العطف قولًا، وإنما نحن نرجو المساعدة العملية لإنماء مواردنا وزيادة نشاطنا.

في الساعات القليلة التي لم نشتغل فيها بالقطار سنحت لنا الفرصة بأن نتبادل الآراء — كما سنتبادلها مدة إقامتكم هنا — في المسائل المختلفة التي تلفت النظر من الوجهة التجارية والزراعية.

وإني لا أنتظر حصول معجزة لتغيير الحالة بقوة سحرية؛ إذ كل تقدم يحصل سيكون نتيجة مجهود متحد دون ملل من الطرفين.

لهذا السبب أنا لا أنتظر نتائج سريعة من محادثاتنا وتبادل آرائنا، ولكنني أنظر إلى المستقبل بثقة، وآمل أننا في مدة إقامتكم هنا سنضع أساس التعاون بيننا، وبعد رجوعكم إلى مصر ستبدأون في بناء الأعمدة لربط المصالح المختلفة وتكوين لجنة دائمة للسودان تجمع ممثلي تجارتكم وصناعاتكم وزراعتكم.

والغرفة التجارية السودانية تمثل هنا جميع هذه المصالح، وحينئذ ستجعل الهيئتان من واجبهما تبادل الآراء بطريقة مستمرة لإنماء التجارة بين القطرين، ويجب عمل ترتيبات أيضًا لكي تجتمع اللجنتان مرة كل سنة في القاهرة وفي الخرطوم على التعاقب؛ إذ إن اتصال الأفراد بعضهم ببعض ضروري لنجاح مجهوداتنا.

ستقيمون في القاهرة معرضًا في ديسمبر القادم[١] وإني أقترح أن تنتهز لجنة الغرفة التجارية في الخرطوم هذه الفرصة لتقابلكم هناك لأول مرة، وبذلك ترد إليكم رسميًّا زيارتكم الحاضرة لنا.

إن المسائل الاقتصادية والتجارية تقود العالم اليوم كما ستقوده في القابل أكثر من أي قوة مسلحة؛ ولهذا السبب آمل في أن زيارتكم سيكون من شأنها أن تمحو شبهات الماضي السيئة بين بلدينا، وأنها ستجمعهما بمجهود خالص نحو الصداقة والمودة.

وأزيدكم القول إن زيارتكم سيكون لها تاريخ وأثر في مستقبل بلدينا، كما ظهر لكم من الاستقبالات الودية التي قابلكم بها جميع الموظفين. حكومة

[١] قد أجِّل هذا المعرض إلى فبراير سنة ١٩٣٦.

السودان تميل نحو بلدكم، وإن إقامتكم في الخرطوم ستهيئ لكم الفرصة لأن تتبينوا بأنفسكم الحق في كلماتي.

إن السودان كان موضوع نزاع بين ممثلي بلدكم والحكومة البريطانية في المحادثات العديدة التي حدثت، وزيارتكم لنا، واتصالكم بموظفي الحكومة ومن يعتد به، سيجعلكم تعتقدون بأن الأحوال في السودان ليست كما يعتقد مواطنوكم، وأن الأثر الشخصي الذي يرتسم لكم سيجعلكم — كما آمل — قادرين على تذليل الصعاب، وأن يساعد على تحقيق تفاهم شريف بين البلدين اللذين يرفرف علماهما على رءوسنا.

وفي ختام ترحيبي بكم أريد أن أعبر عن امتناننا لسعادة حاكم عام السودان، وكذلك لجميع الحكام وللجنة الغرفة التجارية السودانية الذين عاونوني قلبيًّا على أن تكون زيارتكم سارة. ويصعب عليَّ أن أذكرهم جميعًا بأسمائهم، ولكنكم تتفقون معي أن أخص بالثناء مصلحة السكة الحديد للترتيبات العظيمة التي عملتها لراحتكم.

وأرجو أن تكون ذكريات إقامتكم في السودان سارة ومفيدة. ا.هـ.

«تصفيق حاد في مواضع مختلفة.»

خطاب رشوان محفوظ باشا رئيس البعثة

جناب المستر كونتو ميخالوس
حضرات السادة:

وصلت بعثتنا إلى عاصمة السودان، ونفس كل واحد منا مفعمة بعاطفتين تملكانها ولا تزالان تتجاذبانها: عاطفة الشكر وعاطفة الإعجاب.

فإذا أردنا أن نعبر عن شكرنا ألفينا كل بيان عاجزًا عن إيفائكم حقكم؛ فمنذ وطئت أقدامنا هذه البلاد ونحن نقابَل بمنتهى الحفاوة والتكريم في كل مرحلة من مراحل طوافنا وأمارات البشر والترحيب تعلو الوجوه.

ناهيك بما هُيئ لنا من أسباب الراحة وطيب العيش، ومن إتقان في دقائق ذلك يعز مثيله على أي بلد آخر من بلاد الحضارة. ونحن لا ندري — وايم الحق — من من حضراتكم نخص بشكرنا وكلكم قد طوقتم أجيادنا

بفضل لن ننساه. على أننا نتوجه بأخلص عبارات الامتنان لحضرة صاحب المعالي الحاكم العام ولحضرات رجال حكومته لما تفضلوا علينا به من جميل الاستقبال والحفاوة، ولما قدموه لبعثتنا من تسهيلات حمَّلت بعضهم مشقة وجهدًا جهيدًا. ونذكر بأطيب الثناء أيضًا حضرات رجال غرفة السودان التجارية، وجناب رئيسها المحترم المستر كونتو ميخالوس لتنظيم رحلتنا تنظيمًا دلَّ على التناهي في حسن الذوق والكرم، وقد جشَّمهم ذلك تعبًا كثيرًا.

أما باقي إخواننا السودانيين؛ تجارهم وزرَّاعهم وأعيانهم ومن انضم إليهم من الأجانب، فلهم منا خالص الحمد وجزيل الشكر على ما غمرونا به من الحفاوة وحسن الاستقبال، ونسأل الله أن يجزيهم عنا الجزاء الأوفى.

إنا نغتبط غاية الاغتباط بما شاهدناه من دلائل التقدم والرقي في مرافق الحياة المختلفة بالسودان من منشآت اقتصادية وأعمال عمومية يفسح المجال لأكبر الآمال، ونشهد للقائمين بها بالحكمة وحسن التدبير. وإن حسن النية المتبادل بين البلدين في العمل على زيادة التعاون الزراعي والاقتصادي بها جدير بأن يتغلب على أية صعوبة لو وجدت في هذا السبيل. ويسرنا أن نعلم أن المناقشات التي تدور بين المختصين من الهيئتين تبشر بالوصول إلى نتيجة ترضاها البلدان، وبذلك يوضع الأساس لمستقبل كله خير وسعادة لهما، وإنه ليهون علينا ما لاقيناه من حرارة الجو في هذه البلاد في بدء رحلتنا في سبيل المهمة التي نسعى إليها، وقد أنستنا حرارة الاستقبال حرارة الجو.

وختامًا نشكر للمسيو كونتو ميخالوس حسن ضيافته لنا في هذه الليلة، كما نشكر له ما بذله وما يبذله دائمًا من جهود في سبيل الغاية المشتركة التي نسعى لها كلنا، وهي زيادة يسر ورخاء السودان ومصر بإحكام الروابط الاقتصادية والزراعية بينهما. «تصفيق متكرر.»

خطاب فؤاد أباظة بك

حضرة رئيس لجنة وأعضاء الغرفة التجارية السودانية

نيابةً عن البعثة المصرية أريد أن أقدم لكم خالص تشكراتنا وامتناننا لتنظيم رحلتنا الذي مُكِّنا من إدراك وجمع المعلومات الهامة التي توصلنا إليها باتصالنا رأسًا بالعناصر التجارية والزراعية في بور سودان وسواكن وطوكر

وكسلا وقضارف وسنار وسنجة وكوستى وتندلتى وأم روابة والأبيض وجزيرة أبا وواد مدني وحصاحيصة وجزء كبير من شرق الجزيرة ومزارع طوكر والخرطوم.

نحن بالفعل نضع — كما قال خطيبكم المفوه — أساسًا لمظهر تجاري بين مصر والسودان، وربما كان هذا هو الوقت المناسب لأسرد لكم قصة هذه الحركة الحالية.

في مثل هذا الوقت تقريبًا من السنة الماضية انتُدِبتُ من الجمعية الزراعية الملكية المصرية لأقوم برحلة جوية سريعة لأجمع معلومات عن نمو القطن وطرق الري في وادي النيل، ولأقدم مذكرة بملاحظاتي للجنة القطن الدولية المنعقدة في القاهرة بتاريخ ١٧ فبراير سنة ١٩٣٤.

كنت موفقًا في إنجاز مهمتي؛ حيث رجعت إلى القاهرة في وقت مناسب لرفع مذكرة جامعية مختصرة، واختتمتها بقولي: «أقول من أهم مسائل وقتنا الحاضر المنظورة هي إعانة القطر المصري بكل ما يحتاج إليه من ماء يزيد فيصرف في أراضي إخواننا المزارعين السودانيين، ولكن يظهر لي من الاعتبارات الاقتصادية والصناعية أن الحالة الحاضرة بين مصر والسودان تحتاج إلى تعاون اقتصادي واتصال مستمر، ومن وجهة نظري فإنه من الممكن حل المشكل على أساس اعتبارات اقتصادية بحتة ليس من الصعب الوصول إليها، وأما من الوجهة السياسية فلا دخل لي في التكلم عنها.»

وقد عرضت فكرتي على صاحب السمو الأمير عمر طوسون رئيس الجمعية الزراعية الملكية الذي شملني بعطفه وشجعني، واشتغلنا بها بعد ذلك في لجنة الجمعية الزراعية الملكية، ثم كان لي السرور أن تشرفت بمقابلة جناب السير استيوارت سايمز حاكم االسودان العام في الإسكندرية في يوليو الماضي، كما قابلت صديقي الممتاز المستر ج كونتو ميخالوس لأول مرة.

وفي اجتماع مجلس إدارة الجمعية الزراعية الملكية المنعقدة في ٩ أغسطس الماضي قد تقرر تنمية العلاقات الاقتصادية بين مصر والسودان على الوجه الآتي:

(١) إعداد بناء خاص للسودان في المعرض الزراعي الصناعي القادم.

(٢) تنظيم رحلة للسودان في شهرَي يناير وفبراير القادمين مكونة من أعضاء الغرفة التجارية وكبار الزرَّاع في مصر.

(٣) دراسة مشروع تأليف شركة من أهالي مصر والسودان لمشترى أراضٍ زراعية واستثمارها.
(٤) إنشاء فرع للجمعية الزراعية بالخرطوم.
(٥) دعوة بنك مصر لإنشاء فرع له بالخرطوم.

حضرات السادة:

لا يمكنني الاستمرار في سرد القصة قبل أن أذكر أنني مدين حقًّا لجناب حاكم السودان العام ومستشاريه الممتازين ووكيل حكومة السودان في مصر، الذين مهدوا لي الطريق.

فقد عرضت الأمر بصراحة على صاحب المعالي الحاكم العام الذي أحمل له كل إعجاب واحترام، وقد شجعني بثاقب فكره على أن أستمر في فكرتي لمصالح مصر والسودان. ومن جهة أخرى وجدت في مستر كونتو ميخالوس الرجل الدائب العمل للوصول إلى غرضه؛ فقد تكاتفنا معًا للوصول إلى معلومات كافية خاصة بتنمية العلاقات التجارية، كما كان لي الشرف أيضًا في مقابلة المسيو كافوري في القاهرة، وقد زودني بمعلومات وافية.

سادتي:

من دواعي إسداء الجميل لمسيو كونتو ميخالوس الذي كان له الشجاعة التامة بتصريحه جهارًا بأفكاره وآرائه، وقد تكرم حضرة صاحب الجلالة ملك مصر بمنحه نيشان النيل من الدرجة الثالثة.

سادتي:

بفضل تشجيع وزعامة صاحب السمو الأمير عمر طوسون الذي يرجع فضل وجودنا اليوم هنا إليه، سنتباحث جديًّا مع رئيس وأعضاء الغرفة السودانية وأعضاء الجمعية الزراعية والغرفة التجارية في الإسكندرية في المسائل المختلفة التي تقف في طريقنا، وإني واثق من أن حسن الإرادة والنية من الطرفين سيصل بنا — كما آمل — إلى نتائج مرضية.

يا حضرة الرئيس: أشكركم كثيرًا على الكلمات الطيبة الخاصة بمعاونتي الوضيعة للسودان. إنه شرف لي أن أُدعى «فؤاد بك السوداني»؛ فإني أحب السودان، والحاضرون هنا من مصر وجميع المصريين عمومًا يشعرون بنفس شعوري وزملائي بما قوبلنا به منذ نزولنا لبور سودان إلى وصولنا للخرطوم، كما أننا مغتبطون مما رأيناه وسمعناه من جميع أصدقائنا السودانيين وجميع رجال الحكومة والسكان الأجانب وسائر أهل السودان الذين غمرونا بفضلهم وعملوا على أن تكون زيارتنا لطيفة وموفقة.

إن المدينة كبيرة وذات جاذبية، وقد تحمَّل أعضاء ومندوبو الغرفة التجارية تعبًا شديدًا لكي يجعلونا نشعر بأننا في بلادنا، كما أن رجال مصلحة السكك الحديدية والهيئات الأخرى سهلوا لنا الإقامة، حتى إن زملائي لم يشعروا بأي تعب، ونحن نأسف أن نرى برنامج رحلتنا يقرب من النهاية.

سنجلس للعمل ونتفاهم على كل النقط من وجهة المعاملة، وسنحمل إلى مواطنينا في مصر وصف مقابلات السودان الحماسية، ونخبرهم بما رأينا وما سمعنا، وستقوم لجنة متحدة بتبادل الآراء في سبيل التقدم المستمر. والمصريون ينتظرون زيارتكم للقاهرة والقطر المصري في وقت افتتاح المعرض الزراعي الصناعي الذي أرجو أن يكون فرصة مناسبة لتحقيق أغراضنا.

زميلاي السيد عبد المجيد الرمالي سكرتير غرفة القاهرة التجارية، وعلي أفندي خميس سكرتير غرفة الإسكندرية التجارية، سيتكلمان معكم في المسائل التجارية.

حضرات السادة:

أحمل إليكم شكر سمو الأمير عمر طوسون لكل ما قدمتموه لنا، وإن لسموه رغبة قوية في تنمية العلاقات التجارية لفائدة ومنفعة الطرفين.

«تصفيق حاد في مواضع مختلفة.»



أعضاء البعثة أمام مكتب الجمعية الزراعية يتأهبون للسفر إلى السودان.

كلمة السيد عبد المجيد الرمالي

جناب المسيو كونتو ميخالوس رئيس غرفة الخرطوم وحضرات زملائه الأفاضل

إخواني:

أرجو أن تسمحوا لي بالأصالة عن نفسي وبالنيابة عن حضرة صاحب السعادة يوسف قطاوي باشا رئيس الغرفة المصرية التجارية للقاهرة الذي كان بوده الحضور شخصيًّا لولا ظروف طارئة حالت دون ذلك — أن أقدم إلى التاجر الكبير والرجل العامل المسيو كونتو ميخالوس رئيس غرفة الخرطوم التجارية جزيل الشكر على دعوته الكريمة لنا وتمهيده السبيل لهذا الاجتماع الحافل، كما أشكر السودانيين جميعًا ما لقيناه ونلقاه من الكرم والحفاوة في كل مكان نزلنا به.

إن أكبر أمل يجيش بنفوسنا نحن المصريين وأرباب الأعمال والتجارة بوجه خاص، هو أن تصبح العلائق الاقتصادية أوثق ما يمكن أن تكون بين

مصر والسودان؛ لا سيما وقد أتاحت زيارة جناب المستر كونتو ميخالوس لبلادنا المصرية وزيارته للغرفة التجارية واتصاله بكبار رجال المال والأعمال في مصر — فرصة للتعبير عن ذلك الأمل، وها هو يهيئ لنا اليوم فرصة أخرى بهذا الاجتماع.

والواقع أنه إذا وجب أن تتوطد الصلات التجارية والاقتصادية بين بلدين فإن ذلك أوجب ما يكون بين القطرين الشقيقين: مصر والسودان، اللذين يصل النيل بينهما ويجعلهما بمثابة أرض واحدة. وهذا فضلًا عن الأواصر التاريخية والاجتماعية والدينية التي تربط المصريين بإخوانهم السودانيين.

وجدير بهذه الروابط القوية أن تكون سببًا في زيادة الحركة التجارية بين القطرين؛ حتى يكون كل منهما أول سوق تتجه إليها حاصلات الآخر ومنتجاته.

وإن حضراتكم لا شك تعلمون مبلغ التقدم الذي بلغته الصناعات في مصر، وهو تقدم مطرد تغذيه الحكومة المصرية بالمعونة وتمده الآمة بالتشجيع. وبديهي أن تتجه أنظار أرباب المصانع المصرية إلى السودان؛ خصوصًا وأن الذوق المصري يناسب أهله لتشابه العادات والأحوال الاجتماعية في البلدين.

والذي نرجوه نحن أرباب التجارة والأعمال في مصر، وتأمله جميع الغرف التجارية المصرية، هو أن تجد البضائع المصرية في السودان كل تسهيل مستطاع، وأن تلقى البضائع السودانية في الوقت نفسه كل معونة في مصر، وبهذا تزيد الحركة التجارية بين القطرين وتنشط النشاط المأمول، وبه تتحقق أمنية عزيزة عند المصريين والسودانيين سواء بسواء.

وإني كممثل لغرفة القاهرة التجارية يسرني أن أعلن لحضرتكم أن الغرف التجارية المصرية ستكون خير عون لتوثيق الروابط التجارية بين القطرين، كما أنها ستكون أكبر عامل لتوطيدها والسلام. «تصفيق متكرر.»

(٣) اليوم الثالث: زيارة خزان جبل الأولياء

تفاصيل وافية عن الأعمال الهندسية والإدارية

(٣-١) الخرطوم في يوم الأحد ١٠ فبراير

بعد أن تناول الأعضاء طعام الإفطار صباح اليوم — الأحد ١٠ فبراير الجاري — توجهوا بالسيارات يرافقهم حضرات أعضاء لجنة الاستقبال وكبار المصريين بالخرطوم، وعلى رأسهم فضيلة الشيخ نعمان الجارم قاضي قضاة السودان وفريق من أعيان الخرطوم — لزيارة خزان جبل الأولياء.

(٣-٢) السياسة وخزان جبل الأولياء

أصبح اسم «خزان جبل الأولياء» مشهورًا في التاريخ المصري، مذكورًا في السياسة المصرية، وطالما كان اسمًا مرعبًا. كان المشروع مثار جدل ومناقشات فنية ومالية وسياسية في الهيئات الرسمية وغيرها، لقد ترددت الوزارات المصرية التي وافقت عليه في تنفيذه، ولكن وزارة واحدة — هي وزارة دولة إسماعيل صدقي باشا — قد نفذته في وسط سخط الرأي العام وفي أتون مخاوفه، وطالما حوكمت صحف بسبب انتقاد المشروع.

والآن وقد أصبح المشروع عند منتصف تنفيذه، وتقيدت الحكومة المصرية بمقاولته، فقد صار من الطبيعي أن يهتم المصريون بالوقوف على حالة العمل، وأن تزور البعثة المصرية للسودان الخزان ومنطقته، حتى ينقلوا لإخوانهم ما عرفوا عن كثب. وهذا برنامج صباح اليوم.

(٣-٣) تاريخ مشروع الخزان

في سنة ١٩٠٢ قامت بعثة المهندسين الإنجليز برياسة جناب سير ويليم جارستين مستشار نظارة الأشغال المصرية سابقًا، بدراسة دقيقة لأعالي النيل وفروعه، وقد أودع جنابه أبحاثه ومقترحاته كتابًا ضخمًا طبعته الحكومة المصرية عام ١٩٠٤ بعنوان «الدليل في موارد أعالي النيل»، وهو يتضمن برنامج الأعمال المقترح تنفيذها على النيل

من منابعه إلى مصبه، وبالكتاب نبذة لحضرة مستر ديبوي تتناول بحوثه أنهار السودان الشرقي وبحيرة تانا بالحبشة.

وقد كان مستر ديبوي المذكور مفتشًا عامًّا لري السودان عندما قام ببحوثه، وعُين بعد ذلك مستشارًا للأشغال المصرية، وهو صاحب مشروع خزان جبل الأولياء الجديد الذي أقره مجلس الوزراء في ٣ يناير سنة ١٩٣٢ مع تعديل خفيف في تفصيلات المشروع.

ويعد كتاب «الدليل في موارد أعالي النيل» لويليم جارستين دستور الحكومة البريطانية وحكومة السودان في ضبط النيل وفي إقامة مشروعات الري الكبرى، ويجب أن يعلم الناس أن البرلمان الإنجليزي قد أقر الدستور الذي وضعه سير جاستين عام ١٩٠٤، وحرصت وزارة الأشغال المصرية على تنفيذ هذا الدستور بولاء.

أساس دستور ضبط النيل أنه: «إذا كان الغرض تخزين مياه لسد جميع حاجات القطر المصري فإنه يوجد داخل حدود مصر مواقع تكفي لتخزين ما يكفي لهذا الغرض.»

«بما أن السودان فقير الميزانية ويحتاج للتعمير وبه أراضٍ واسعة وصالحة للزراعة على ضفاف النيل، فيجب عند التفكير في أعمال الري الكبرى أن يراعى صالح السودان أيضًا.»

وقد اعتمد مجلس الوزراء الأموال اللازمة لإنشاء خزان جبل الأولياء، وأُدرجت بميزانية سنة ١٩٣٢ المقدمة لمجلس النواب طبقًا لتصميم المستر ديبوي.

والخزان يمر بمديرية النيل الأبيض بطول ٣٣٠ كيلو مترًا، ومساحة هذه المديرية ثمانية ملايين من الأفدنة ذات أراضٍ زراعية لا طريق لريها إلا من مياه هذا الخزان.

قال السير ويليم ويلكوكس بتقرير لجنة ١٩٢٠ عربي ص٣١ ملحق (١) ما نصه:

> مساحة الأراضي التي تحصِّل وزارة المالية المصرية ضرائب عنها هي ٥٥٥٤٠٠٠ فدان.
>
> وألاحظ بغرابة أن وزارة الأشغال بكتاب ضبط النيل صحيفة ١١ (إنكليزي) قدرتها بـ ٢٠٠٠٠٠٠ فدان، ومع المساحة السابقة مليون فدان تُروى ريًّا حوضيًّا والباقي ريًّا مستديمًا، ويلزم لري هذه المساحة سنويًّا ٣٥٣٠٠ مليار متر مكعب.
>
> ويلزم مصر للملاحة وللأعمال الصحية ولمياه الشرب وغيره في المدن نحو ستة مليارات.

وتكون حاجة مصر في الوقت الحاضر أكثر من ٤١ مليارًا المعادل لكل تصرف النيل في سنة ١٩١٣–١٤.

إذن تكون الزيادة المقدر خزنها بجبل الأولياء وقدرها ٧٫٣٧ مليار متر مكعب هي خيالية لا وجود لها.

وقال جنابه بكتاب أرسله للمستشار المالي بتاريخ ١٩/١١/١ ما ترجمته:

مشروعات سد النيل الأبيض وسد النيل الأزرق يضعان مصر تحت رحمة القابضين على أمر السودان، وبهذا تفقد مصر حريتها بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخها من أيام مينا لليوم. لقد أُعميت مصر ثم أُجبرت أن تصيغ بنفسها لنفسها قيودها الفولاذية.

وقال المستر ديبوي بتقريره العربي ص٢٧ ما نصه:

لا نزاع أن لمشروع جبل الأولياء عيوبًا جلية؛ فموقع هذا السد مع احتمال استخدامه للأضرار بمصر قد أثار ثائرة الشعور السياسي، ثم إن ارتفاع نسبة ما يضيع من الماء في الخزان قد عرَّض المشروع لمطاعن شديدة من الوجهة الهندسية، هذا إلى أن نفقات العمل هي من الجسامة بحيث لا تحتملها موارد مصر المتيسرة في الوقت الحاضر.

وقال اللورد كتشنر في الكتاب الأزرق لسنة ١٩١١ بصحيفة ١٠٤ ما نصه:

وفي معرض النظر الآن إنشاء خزان تبلغ نفقته نصف مليون جنيه أو ثلاثة أرباع مليون جنيه، وهو يقتضي إنشاء قناطر على النيل الأبيض بقرب موضع اقترانه بالنيل الأزرق، وقد تصل هذه القناطر الخرطوم بأم درمان، فهذا الخزان يسد النقص في الماء اللازم لري الجزيرة ويزيد ماء الري الصيفي في القطر المصري زيادة كبيرة، ومن فوائده أيضًا التحكم بمياه الفيضان في أشهر سبتمبر وأكتوبر ونوفمبر، فتنتفع حياض الوجه القبلي بمصر، ويروي أراضي شاسعة من بر مديرية كردفان على النيل الأبيض ري فيضان.

والأرجح أن هذا المشروع يكون جزءًا غير قابل الانفصال من مشروع الجزيرة، فيدور العمل في المشروعين معًا. وقد وجدوا مكانًا ملائمًا لخزان سنار.

وقال اللورد كتشنر أيضًا بالكتاب الأزرق لسنة ٩١٣ عربي بصحيفة ٦٤ ما نصه:

> وكان للفيضان الواطئ للنيل سنة ١٩١٣ نتيجة أخرى تدعو إلى الخوف؛ لأنه يتبعه انخفاض في مناسيب الماء أكثر من المعتاد في فصل الربيع، وهذا يستلزم أن يكون الماء الصيفي أقل جدًّا من المعتاد. وقد ذكرت في تقريري السابق أنه يحتمل أن تدعو الحال إلى عمل شيء يوقى به القطر المصري من هذا المحذور، وأشرت إلى بناء سد في البحر الأبيض على مقربة من جبل الأولياء، وأن الحاجة قد تدعو إلى ذلك. وهذا السد لا يكفي وحده لكل حاجة القطر المصري إذا تم استحياء كل أراضي الوجه البحري القابلة للزراعة، وتم تحويل الحياض إلى ري صيفي في كل الوجه القبلي، ولكنه يفي بالحاجة من الآن إلى سنين كثيرة.
>
> وقد لا يكون من حسن التقدير إنشاء هذا السد إذا أُريد به مجرد زيادة الماء الصيفي في القطر المصري؛ لأن الحل الحقيقي لهذه المسألة يقوم على ما يظهر بمعالجة النيل حينما يخرج من البحيرات الكبيرة لكي يجري فيه مقدار كافٍ من الماء دائمًا، ولكن المكان الذي اختير لإنشاء السد يصلح لأن يتحكم فيه بالنيل على نوع لمنع أمواج الفيضان العالية جدًّا من النزول إلى مصر؛ ولذلك فالحكمة تقضي بإنشاء هذا السد لغرضين؛ الأول — وهو المقصود بالذات: منع ضرر الفيضان الفائق الحد. والثاني: صيرورته خزانًا لخزن الماء فوقه. ولكن إنشاؤه لا يغني عن الأعمال اللازمة للتحكم بالمياه عند مصادر النيل في البحيرات الكبيرة لأجل حل مسألة الري الصيفي لكل القطر المصري.

وقال المستر ديبوي بتقريره المقدم للحكومة المصرية عن المشروعات بالنسخة العربية ما نصه:

> إن سعة خزان جبل الأولياء الفعلية المعدل لمشروع ماكدونالد يجب أن تكون ٤٫٩ مليار متر مكعب في جبل الأولياء، وهذا يعادل ٢٫١ مليار متر مكعب عند أسوان (ص٩٢).
>
> وإبقاء الخزان مملوءًا طول الشتاء سيحول تمامًا دون قيام السودانيين بزراعة الأراضي بطريقة السلوكة كما يفعلون الآن في أشهر الشتاء. بيد أن

إبقاء الخزان على منسوب ٣٧٧ باستمرار من أكتوبر إلى مارس مع إنشاء بضع ترع تمتد من حافة النهر إلى الأراضي الواسعة الواقعة فوق هذا المنسوب قليلًا — خليق بأن يمهد الوسائل لزراعة مساحات واسعة من الأراضي التي تزرع الآن على المطر؛ وذلك إذا شاء الأهالي الانتفاع بما يتهيأ لهم من هذه الوسائل بتركيب السواقي والشواديف على الترع (ص٩٣).

وهناك مناطق بحري الخرطوم عديدة تصلح للتخزين لصالح مصر، نذكر بعضها لإعادة بحثها بلجنة وطنية من المهندسين الأكفاء المخلصين لإعطاء حكم عنها يصلح التعويل عليه، وها هي بعض تلك المواقع:

أولًا: هدارات الدال بالشلال الثاني.

ثانيًا: جزيرة شيري بالشلال الرابع.

ثالثًا: الهدارات الواقعة تحت أبي حمد بالشلال الخامس.

رابعًا: هدارات شابلوكا المعروفة بالشلال السادس.

أما المشروعات الواجب تنفيذها على وجه السرعة لزيادة إيراد النيل بمصر فهي:

أولًا: زيادة التخزين بأسوان حتى تصل كمية الانتفاع الصافي منها إلى ٥٥٠٠ مليار متر مكعب بدل ٢٣٠٠ الجاري الانتفاع بها من خزان أسوان الحالي.

ثانيًا: إنشاء قناة بالسدود لتنتفع منها مصر في مثل ١٣–١٤ بالمقادير الآتية:

- ١٢٠٠ مليار متر مكعب تخزن بأسوان في مثل سنة ١٣–١٤.
- ٢١٠٠ مليار متر مكعب زيادة للري زمن الصيف.
- ٢٥٠٠ مليار متر مكعب زيادة في مياه الفيضان لتخزن بخزان وادي السريان في مثل سنة ١٣–١٤.

ثالثًا: إنشاء خزان بوادي السريان لخزن ثلاثة مليارات إيرادًا صافيًا.

وقد نشرت جريدة «الأهرام» بتاريخ ٢٨ يوليو سنة ١٩٢٥ بيانًا لوزارة الأشغال جاء فيه أن اللازم لمصر بعدما يتم زراعة كل أراضيها هو سبعة عشر مليارًا في سنة ١٣–١٤ زيادة على إيراد النيل في زمن الصيف (أول فبراير – ٢٠ يوليو)، فإذا

تيسر لمصر إنشاء المشروعات الثلاثة السابقة، وكانت الأرقام الواردة بكتاب ضبط النيل صحيحة، فإنها تحصل على زيادة في إيرادها الصيفي قدرها:

- ٥٥٠٠ من خزان أسوان بعد تعليته عشرة أمتار.
- ٣٠٠٠ من خزان وادي السريان.
- ٢١٠٠ من إنشاء قناة منطقة السدود.
- ١٠٦٠٠ مليار متر مكعب.

لا غرابة[٢] في أن حكومة السودان أوجست خيفة في بادئ الأمر من مشروع يكون من ورائه إغراق جانب من مديرية النيل الأبيض، ولكن استقصاء البحث أثبت أن الخزان المقترح فضلًا عن أنه لن يكون منه أدنى ضرر على المديرية المذكورة سيعود عليها بالخير والفائدة؛ وذلك أن إجمالي مساحة هذه المديرية ٣٤٠٠٠ كيلو متر مربع لم يبلغ المزروع منها قط في حده الأقصى أكثر من ربعها.

وحالة الزراعة هناك بسيطة أولية، ومدار أمرها إما على المطر أو على الارتفاع والهبوط الطبيعي للنهر. والأمطار في الجهات الشمالية قليلة، ولكن مساطيح النهر واسعة، أما في الجهات الجنوبية فالأمطار أغزر، ولكن المساطيح أضيق. وتعريف لفظة مسطاح في هذا السياق: المساحة المحصورة بين متوسط منسوب الفيضان العالي ومتوسط المنسوب الصيفي المنخفضة.

أما أهالي الأقاليم فشعب فقير جاهل، وطرق الزراعة عندهم في غاية البساطة؛ ففي أثناء هبوط النهر تحفر في الطين حفر بعصًا أو «سلوكة» وتوضع البذرة ثم تُترك وشأنها لتنمو، ومن ثم أصبح هذا النوع من الزراعة يُعرف بزراعة السلوكة. والمحاصيل المستنتجة بهذه الطريقة مقصورة على الحاصلات الغذائية؛ أعني الذرة الشامية وأنواع شتى من الجلبان يتخللها هنا وهنالك قطع متفرقة من القطن للاستهلاك المحلي. وجدير بالذكر أن الأراضي الأكثر ارتفاعًا من الآنفة الذكر؛ أعني الأراضي التي لا يغطيها النيل في حالته العادية، هي الأخصب تربة، وإليها يتحول الأهالي بعد الفيضان العالي أو غِبَّ الأمطار الغزيرة فيزرعونها ويتركون الأراضي المنخفضة بورًا.

[٢] ص٨٣ من كتاب ضبط النيل.

وأرض هذه المديرية على الإجمال ضعيفة بالنسبة لأرض الجزيرة؛ فتربتها عسرة المراس صعبة الاختراق جدًّا؛ فالأراضي التي تُزرع في الوقت الراهن سيصير إغراقها برمتها، ولكن يُعتاض عنها بمساحات أعلى منسوبًا، وهذه ستغمر بالفيضان وتستصلح للزراعة كل عام بالطريقة الموضحة في الفصل الثاني من الباب الثالث. وبذلك لا تكون الفائدة مقصورة على اعتياض أرض جيدة بدل الضعيفة، بل يضاف إلى ذلك أن عين المساحات المحددة تصبح متيسرة عامًا فعامًا، وهذه مزية إدارية ليست بالقليلة الأهمية. هذا وإن رفع منسوب الخزان كل عام إلى درجة كافية لغمر المساحات المتيسرة للزراعة يستلزم حتمًا ري مساحات أخرى أعظم كثيرًا مما يستطيع سكان المديرية أن يزرعوه بالحاصلات في حالتهم الراهنة، وهذه المساحات ستكسوها الأعشاب بلا شك وتصبح مراعٍ صالحة لتربية المواشي. ويبلغ إجمالي السكان في إقليم النيل الأبيض نحو ١٨٠٠٠٠ نسمة. ويبلغ عدد القسم المجاور للنهر من هذا الإجمالي — أعني القسم الذي ستعلقه بناء الخزان عن مواطنته — ٤٠٠٠٠ نسمة حسب تقدير حاكم المديرية. وقد كان أقصى المساحة المزروعة ١٠٧٠٠٠ فدان في سنة ١٩١٧، وبرفع منسوب الخزان نحو نصف متر فقط لمدة أسبوع أو اثنين؛ أي من ٣٧٨,٥٠ إلى نحو ٣٧٩، ثم تخفيضه، تصبح المساحة التي تُغمر واسعة فتتيسر للزراعة نحو ١٠٠٠٠٠ فدان. وفي السنين التي يستعمل فيها الخزان كمصرف للفيضان ويرتفع المنسوب إلى ٣٨٠ (ثم يخفض ثانيًا حتى يبلغ ٣٧٨,٥٠ في ١٥ ديسمبر)، تكون المساحة التي غمرت ثم انكشفت نحو ٤٨٠٠٠٠ فدان. ومن ذلك يتضح أنه متى أنشئ الخزان لم تكن فائدة السكان منه مقصورة على استزادتهم من الأراضي الصالحة للزراعة سواء من حيث المقدار والجودة، بل يصبح أمر الزراعة عندهم غير متوقف على تقلبات فيضان النيل. فستكون فوائد الخزان مشابهة لفوائد أعمال الشراقي التي قام بها الكولونيل روس في الوجه القبلي منذ ثلاثين عامًا.[٣]

المعارضة الشديدة في إنشاء الخزان

لقد كان أول صوت في العالم ارتفع بمعارضة إنشاء خزان جبل الأولياء لأنه يضر بمصر هو صوت المرحوم الكولونيل كندي باشا المهندس القدير ومدير الأشغال بالسودان

[٣] انظر كتاب مشروعات الري، تأليف إبراهيم زكي المهندس.

سابقًا، وقد انتقد المشروع لجنة المهندسين المصريين الأحرار سنة ١٩٢٠، والمهندس إبراهيم زكي، وكان الوفد المصري معارضًا في المشروع، وله بيانات في هذا الصدد، وكذلك انتقده سعادة عثمان محرم باشا وزير الأشغال سابقًا والمرحوم محمد زغلول باشا وكيلها الأسبق في مذكرة نشرت سنة ١٩٢٩، ووضع حضرة الأستاذ عبد الحليم إلياس نصير مذكرة وافية بوجوه الاعتراض على إنشاء ذلك الخزان، وللأستاذ حسن صبري بك وزير المالية السابق ووزير مصر المفوض بلندن الآن مذكرة وُزعت على أعضاء مجلس الشيوخ سنة ١٩٣٢، وكان نواب الحزب الوطني في البرلمان السابق معارضين للمشروع، وانتقدته الصحف الحرة.

وقد وصف الأستاذ نصير «سير ولكوكس» الذي عارض المشروع فقال: «شيخ جاوز الحلقة الثامنة وتراه كأنه في ميعة الصبي، قامة معتدلة، وهامة مرتفعة، وصحة بادية، ونور من اليقين يشع بين عينيه ويملأ شفتيه ويبدو على أسارير وجهه، وهو مهندس إنجليزي تربى في الهند، وشاد مجده العلمي بالاطلاع والدرس والاجتهاد في ساحة الحياة العملية، فظهر نبوغه وذاع صيته في الآفاق، واشتهر الرجل بالشجاعة والعلم والإخلاص وحب الفلاحين؛ لهذا عندما رأى إصرار الحكومة الإنجليزية على حمل الحكومة المصرية على قبول إنشاء خزان جبل الأولياء أعلن رأيه بصراحة ولم يدع دائرة من دوائر النفوذ دون أن يكاشفها بمضار المشروع على مصر والمصريين، وشهَّر بحكومة بلاده تشهيرًا عظيمًا أمام حكومات العالم، ودافع عن حقوق مصر الضعيفة دفاعًا باهرًا تتعطر بذكره جميع الأجيال، ولولا مناهضة هذا الرجل لتمت المشروعات التي أرادها الإنجليز في الخفاء وأهل مصر في سبات ونوم عميق. ولقد ضحى الرجل بنفسه وماله ومركزه الأدبي أمام حكومة بلاده.

وقد أمرت الحكومة البريطانية بمحاكمته أمام محكمة القنصلية البريطانية بمصر في سنة ١٩٢١، وأُقيمت الدعوى عليه هو وكندي باشا بتهمة قذفهما في حق سير مكدونالد صاحب المشروع الكبير لخزان جبل الأولياء، وبتهمة تشهيرهما بمشروعات الري وإثارة الشعور المصري، وبتهمة أخرى لم تُنْشر وهي تحريض الشعب المصري ضد مقام الدولة البريطانية. وتُعد هاته المحاكمة من أهم القضايا الفنية.

وكان من أثر تلك الحملة أن أقرت الحكومة الإنجليزية العدول مؤقتًا عن مشروع خزان الأولياء، ولكنها في الوقت نفسه قضت بمحاكمة كندي وويلكوكس، فجردت كندي باشا من جنسيته الإنجليزية ومن ألقابه ورتبه ونقصت معاشه، وحكمت على السير

ولكوكس بالصمت التام عامًا كاملًا، وبحرمانه من الكتابة في مشروعات الخزانات بالسودان لمدة عام.

المشروع بعد الحرب

لجنة المهندسين الوطنيين

بعد الحرب الكبرى اتجهت أنظار الإنجليز إلى تنفيذ المشروع بالسودان؛ وذلك لاستثمار الأموال الإنجليزية، ثم لإيجاد أعمال للشركات والمقاولين الإنجليز، علاوة على تنفيذ برنامج ضبط الماء بالسودان. ونظرًا لخطورة مشروعات النيل الكبرى في السودان بالنسبة لمصر، ونظرًا لوقوف ولكوكس وكندي باشا في وجه تلك المشروعات، فقد استفزَّ هذا الموقف النبيل بعض المهندسين الوطنيين فألَّفوا من بينهم لجنة برئاسة المرحوم عبد الله وهبي باشا، وعضوية حضرات موسى غالب باشا والمهندس إبراهيم زكي ومحمد إسماعيل حب الرمان بك وعبد القوي أحمد بك المهندس المقيم لمشروع خزان جبل الأولياء.

أما سكرتيرية اللجنة فعُهد بها إلى المهندس إبراهيم زكي، وقد قامت هذه اللجنة بأعمال باهرة، ويرجع إلى مجهوداتها كثير من الفضل في عدول وزارة دولة عدلي يكن باشا عن إقرار مشروع خزان جبل الأولياء. وقد نشرت تلك اللجنة على الرأي العام مذكرة هامة بنقد مشروعات الري.

وقد أرسل المرحوم سير ويليم ولكوكس الكتاب التالي إلى دولة عدلي يكن باشا سنة ١٩٢١ رئيس الوزارة يومئذ.

> لقد قضيت أربعين عامًا بمصر، وأكلت ملحها، وشربت ماء نيلها، لهذا أرى من الجبن والنذالة أن أقف مكتوف اليدين، بينما أشاهد بعينَي رأسي أن مصر الضعيفة يُراد قتلها باستعبادها وإذلالها بشكل لم يسبق له مثيل في التاريخ؛ إذ يُراد قتلها بواسطة مشروعات الري التي يُراد إقامتها بالسودان للتحكم في مياه مصر ولاغتصاب حقوقها في ماء النيل لاستعماله بالسودان.
>
> الإمضاء: سير ويليم ويلكوكس ا.هـ.

تقرير المستر ديبوي في مايو سنة ١٩٢٣

بقرار مجلس الوزراء الصادر في نوفمبر سنة ١٩٢١ نُدب المستر ديبوي الذي كان مستشارًا لوزارة الأشغال العمومية لمهام منها بحث مشروعات الري الكبري، وإبداء رأيه فيها، وفي أحسن برنامج لترقية شئون القطر الزراعية — وفي حالة وأعمال مصلحة الري المصرية مع الإشارة بصفة خاصة إلى علاقاتها بغيرها من المصالح الأميرية — ولقد قام بمهمته ووضع تقريره في جزءين كبيرين قدمهما إلى رياسة مجلس الوزراء.

جاء بالصفحة الثانية من تقرير المستر ديبوي ذلك المهندس الكبير والخبير العالمي:

> ثم فحصت الموقف الراهن فألفيت البلاد مثقلة ببرنامج أعمال مترامي الأطراف واسع النطاق، يرمي إلى تحسين الأحوال الزراعية واستثمار الأراضي البور، ولكن البلاد عاجزة من الوجهة المالية عن السير به …
>
> … وعندي أن السبب الذي أدى إلى هذا الموقف يرجع بالأكثرية … ثانيًا إلى عدم وجود أية رقابة مالية فعالة على الشروع في أعمال كبيرة تقتضي إنفاق أموال طائلة.
>
> وأما فيما يختص بالسبب الثاني فقد أبديت من المقترحات ما أرجو أن يؤدي إلى إيجاد رقابة مالية أعظم إحكامًا وأشد فعلًا؛ وذلك — أولًا — بأن جعلت الاعتبار الأهم مقدرة القطر المالية لا حاجته المفروضة إلى سرعة النمو.
>
> وأخيرًا بأن أشرت بعدم فتح اعتمادات مالية لهذه الأعمال إلا بعد تقديم مقايسات مفصلة وافية …

وجاء بصفحة ٢٧:

> لا نزاع في أن لمشروع سد جبل الأولياء عيوبًا جلية؛ فموقع هذا العمل مع احتمال استخدامه للأضرار بمصر قد أثار ثائرة الشعور السياسي، ثم إن ارتفاع نسبة ما يضيع من الماء في الخزان قد عرَّض المشروع لمطاعن شديدة من الوجهة الهندسية …
>
> هذا إلى أن نفقات العمل هي من الجسامة بحيث لا تحتملها موارد مصر المتيسرة في الوقت الحاضر …
>
> فنظرًا إلى خطورة هذه الاعتراضات الموجهة إلى المشروع كان القرار الذي أُصدر في مايو سنة ١٩٢١ بإيقاف العمل مبررًا — فيما أرى — كل التبرير.

ولا أظن أن استئناف العمل يكون من الأمور الممكنة أو المستحسنة، اللهم إلا بعد أن يعاد النظر في الحالة بدقة وعناية.

وجاء في الباب السابع من هذا التقرير تحت عنوان «أعمال الاستثمار الأخرى» بالصفحتين ٢٩ و٣٠:

والذي يلاحظ لأول وهلة أن الآراء في هذا الصدد متشعبة أيما تشعب، ولكن الاتجاه العام لما تلقيناه من المقترحات والآراء يشير — كما هو منتظر — إلى اتفاق عظيم على أظهر ما تفتقر إليه البلد في الوقت الحاضر وهو:

(١) تحسين الصرف.
(٢) زيادة المياه الصيفية.
(٣) التوسع في استصلاح الأراضي البور وفاءً بمطالب السكان المتزايدة بسرعة. والظاهر أن التحسين المطلوب للصرف هو على ثلاثة أضرب:

أولًا: تحسين المصارف الحالية.

ثانيًا: تجديد وسائل الصرف في الجهات الخالية منها الآن. وهذا ينحصر بوجه عام في تمديد بعض المصارف الحالية أو إنشاء مصارف فرعية.

على أن تدبير المزيد من المياه الصيفية عمل باهظ الكلفة بطبيعة الحال، ولئن كنت أميل شخصيًّا إلى اعتباره في المنزلة الأولى من الأهمية والاستعجال، فإن هناك من الصعوبات المالية وغيرها ما قد يحتم تأجيل الأعمال اللازمة لهذا الغرض زمنًا معينًا يمكن في أثنائه تخصيص كل ما يتيسر من الأموال لتحسين الصرف.

وجاء بالصفحة ٤١:

والواقع أن هذا البرنامج (البرنامج المبسوط في كتاب ضبط النيل) قد وُجد بعيد المطمح فادح النفقة، فتقرر إيقاف العمل به. والظاهر أنه لا مفر من الاعتراف بأنه بحالته الأصلية خليق بالإهمال نهائيًّا، وأنه لا بد من الاستعاضة به ببرنامج معدل يرمي إلى مباشرة العمل اللازم على مراحل متتابعة وبنسب محتملة.

ثم تكلم عن أعمال الصرف اللازمة في الوجهين القبلي والبحري.

رأت الوزارة أن تأخذ بنظرية المستر ديبوي في إنشاء الخزان الواطي لا الخزان العالي، كما كان يرى ذلك السير مردوخ ماكدونالد.

وعلى ذلك فالتكاليف يجب أن تكون تكاليف الخزان الواطي.

وقد قدر الخزان وفق هذا المنسوب أن تكون سعته ٣٠٠٠ مليون متر مكعب عند جبل الأولياء، وأن هذا المقدار من الماء يصل إلى خزان أسوان أقل من ذلك بحيث يفقد بالتبخر في الطريق تسعمائة مليون متر مكعب، وبذلك يصبح الرصيد الصافي فقط مليارين ومائة مليون متر مكعب عند أسوان، وهذا الصافي الذي فرض أن ينتفع به القطر المصري في التوسع الزراعي.

إمكان تعلية الخزان

وقد جعلت وزارة الأشغال المشروع على قاعدة أن يسمح تصميمه في المستقبل بتعليته، وبذلك وضع أسس خزان الأولياء بكيفية فنية تكفل إجراء التعلية في المستقبل ليسع حوالي ١٧ مليارًا من الأمتار المكعبة.

نفقات الخزان

اقتصرت وزارة الأشغال في مذكرتها المرفوعة إلى مجلس الوزراء بتاريخ ٣ يناير سنة ١٩٣٢ على تقدير نفقات الخزان ذاته بمبلغ أربعة ملايين ونصف المليون من الجنيهات المصرية، يدخل ضمنها ثلاثة أرباع المليون تدفعها الحكومة المصرية إلى حكومة السودان تعويضًا عن الأراضي التي يحتمل أن تغمرها مياه خزان الأولياء، وكذا عن أضرار القرى.

مزايا المشروع الحالي

ذكرت وزارة الأشغال أن هذا الخزان سيوفر للقطر المصري حوالي مليارين للانتفاع صيفيًّا، وأن هذا الخزان في الوقت نفسه له فائدة أخرى هامة، وهي منع خطر الفيضانات العالية ودفع أذاها عن القطر المصري.

وإن لخزان أسوان مزية واحدة فقط، وهي تخزين كمية محددة من المياه تنتفع بها مصر صيفيًّا.

قدرت وزارة الأشغال بمذكرتها المؤرخة ٣ يناير سنة ١٩٣٢ تكاليف هذا الخزان الواطي بمبلغ ٤٥٠٠٠٠٠ج.م.

وقد كانت وزارة الأشغال قدرت هذه التكاليف نفسها بمذكرتها المؤرخة ٧ يناير سنة ١٩٢٩ بمبلغ ٣٥٠٠٠٠٠ج.م (تراجع الصفحة ٤٠ من مذكرة وزارة الأشغال المطبوعة سنة ١٩٣٢ التي وُزعت على أعضاء مجلس النواب سنة ١٩٣٢).

كان السير مردوخ ماكدونالد يقدر تكاليف الخزان العالي سنة ١٩٢٠ بمبلغ ٢٥٠٠٠٠٠ج.م.

ويقدر السير مردوخ ماكدونالد قيمة التعويضات عن التلف الذي يحصل من جراء إنشاء الخزان العالي بمبلغ ٣٠٠٠٠٠ج.م.

تقرير شفيق باشا لمجلس الوزراء سنة ١٩٢١

وقد جاء في تقرير محمد شفيق باشا وزير الأشغال يومئذ إلى رئيس مجلس الوزراء (ننقل عن هذا التقرير المحرر باللغة الفرنسية معربًا الفقرات الآتية):

> في مايو سنة ١٩١٤ عرضت وزارة الأشغال على مجلس الوزراء بناء خزان جبل الأولياء على النيل الأبيض، واقترحت أن يتم في ثلاث سنوات، وأن تكون تكاليفه كما يأتي:
>
> ٢٠٠٠٠٠ج.م في السنة الأولى، و٤٠٠٠٠٠ج.م في السنة الثانية، و٤٠٠٠٠٠ج.م في السنة الثالثة؛ أي تكون تكاليفه كلها مليونًا من الجنيهات ...
>
> وفي سنة ١٩١٦ أُعيد البحث في مشروع خزان جبل الأولياء، وأُدرج له اعتماد في سنة ١٩١٧ مقداره ٨٠٠٠ج.م لأعمال تحضيرية، ضم إليه اعتماد إضافي أثناء السنة بمبلغ ١٢٠٠٠ج.م.
>
> وفي سنة ١٩١٨ عندما تغير تقدير قيمة مصاريف الخزان بالمشروع المعدل الذي قدر له مبلغ ١٧٠٠٠٠٠ج.م أُدرج له مبلغ ٧٤٣٠٠ج.م.
>
> وفي فبراير سنة ١٩١٩ أُدرج له مبلغ ١٠٠٠٠٠ج.م، وعُدلت التكاليف إلى ٢٢٠٠٠٠٠ج.م.

وسعة الخزان أربعة مليارات تصبح ثلاثة في أسوان.

ولما كان من شأن إنشاء خزاني سنار وجبل الأولياء إنقاص منسوب الفيضان من ٢٠ سنتيمترًا إلى ١٫٢٠ متر، فينتج من ذلك أن مياه الفيضان ستتأخر خمسة عشر يومًا في الوجه البحري، فإذا لم تُعَد قناطر الدلتا لتعويض ذلك، فإن الضرر الذي ينتج عن تأخر الفيضان هذا لا يمكن تلافيه. وتتأثر بتأخير ونقص ارتفاع ماء النيل في الفيضان السواحل والجزر.

ومما جاء بهذا التقرير:

يجب الانتفاع بخزان جبل الأولياء إذا ما أُنشئ مع خزان سنار، ولمنع الضرر الناتج من انخفاض مستوى الفيضان وتأخره:

(أ) إنشاء قناطر نجع حمادي.

(ب) التغيير الجزئي أو الكلي لقناطر إسنا وأسيوط والدلتا.

(جـ) توسيع بعض ترع الوجه القبلي وتغير منظماتها Regulation.

(د) وضع طلمبات في البلاد المحرومة من الفيضان لمناطق أسوان، وعمل مشروعات ضرورية في الوجهين القبلي والبحري. وهذه الأعمال لا تتكلف أقل من ثمانية ملايين جنيه، فيكون المجموع ١٢٠٠٠٠٠٠ج.م.

فإذا لم تنفذ المشروعات المشار إليها[٤] فإن إنشاء خزان جبل الأولياء يسبب لمصر أخطارًا أثناء الفيضان وإن زاد في كمية المياه الصيفية.

ومن المحقق أن الضرر يكون أكثر من النفع الذي ينتج عن هذه الزيادة من الماء الصيفي، وفي بعض السنين سنُرى مضطرين لعدم استعمال مياه خزان جبل الأولياء للقضاء على الشراقي، وذلك إذا لم تُنفذ الأعمال المشار إليها قبلًا.

إذا تم الخزانان أثناء فيضان سنة ١٩٢٦ فسينزل مستوى الماء ما بين ٢٠ سنتيمترًا ومترًا و٢٠ سنتيمترًا، وهذا الانخفاض يظهر أثره في زيادة

[٤] نفذت هذه المشروعات أو كادت تنفذ.

الأطيان التي تتخلف شراقي؛ ولذلك يجب أن تتم المشروعات الأخرى مع تمام الخزانين.

مصاريف إنشاء خزان جبل الأولياء وما يستلزمه تقدر باثني عشر مليون جنيه.

إذا ما صُرف مبلغ ١٢٠٠٠٠٠٠ جنيه حتى سنة ١٩٢٦ يكون لمصر في أسوان مقدار ثلاثة مليارات متر مكعب من الماء. ولكن لم يُعمل شيء للانتفاع بهذا المقدار من الماء إذا ما وُجد؛ ولذلك فوزارة الأشغال تحتاج إلى اثني عشر مليونًا أخرى لإمكان الانتفاع بذلك. ا.هـ.

ولقد وافق السير مردوخ ماكدونالد مستشار وزارة الأشغال على هذا التقرير في ٣٠ أبريل سنة ١٩٢١.

بناء على هذا التقرير أصدر مجلس الوزراء في ٢٥ مايو سنة ١٩٢١ قراره:

بما أنه يتضح من مذكرة مرفوعة من وزارة الأشغال العمومية أن إتمام خزان جبل الأولياء وتنفيذ ما يلحق به من مشروعات الري اللازم عملها لمصر يقتضي من المال مبلغ ١٢٠٠٠٠٠٠ جنيه.

وبما أن الأحوال المالية الحاضرة لا تمكن الحكومة من تدبير مبلغ طائل كهذا المبلغ إلا إذا التجأت إلى الاقتراض، الأمر الذي لا نرغب فيه الآن.

وبما أنه سواء فيما يختص بخزان جبل الأولياء أو بخزان مكوار وترعة الجزيرة لا يستطيع مجلس الوزراء أن يصدر قرارًا حاسمًا بشأن هذه الأعمال قبل الوقوف على نتيجة المفاوضات المزمع إجراؤها بين مصر وبريطانيا العظمى.

لهذه الأسباب فمجلس الوزراء يقرر:

(١) إيقاف الأعمال الجارية في جبل الأولياء مع المحافظة على ما تم فيها حتى الآن.

(٢) يرى إيقاف أعمال خزان مكوار وترعة الجزيرة، غير أنه إذا رأت حكومة السودان مواصلة هذه الأعمال على مسئوليتها الخاصة فليكن من المعلوم:

(أ) أن هذه الأعمال لا يجوز الانتفاع بها لري أكثر من ٣٠٠٠٠٠ فدان حسب الاتفاق السابق في هذا الشأن.
(ب) أن الحكومة المصرية تحفظ لنفسها الحق في تقدير ما تراه إزاء هذه الأعمال، وقرارها هذا يتوقف على نتيجة المفاوضات. ا.هـ.

وقد أشار المهندس إبراهيم زكي على الحكومة بصفحة ٩٢ من تقريره المؤرخ مايو سنة ١٩٢٢ (نسخة عربية) حيث قال: «إن خير طريقة لمعالجة مسألة إنشاء هذا الخزان توجيه الاهتمام كله إلى تصميمه بشكل يكون أضيق نطاقًا وأقل كلفة.» بناء على مقترحات مستر ديبوى في تجهيز مشروع جديد مصغر بمعرفة مستر روبرتس مفتش عموم ري السودان على حسب آراء مستر ديبوي.

ثم جاءت وزارة المغفور له سعد باشا زغلول الأولى في سنة ١٩٢٤ فوقفت المشروع ثانيًا للأسباب السابقة، ولما جاءت وزارة زيور باشا في سنتي ١٩٢٥ و١٩٢٦ تجددت فكرة تنفيذ مشروع جبل الأولياء، وفعلًا أُعيد العمل ثانيًا في تجهيز رسومات المشروع لكي يُنفذ فورًا، ورُفعت مذكرة لمجلس الوزراء بطلب فتح الاعتمادات اللازمة للعمل، ووافق عليها مجلس الوزراء وطلب فعلًا من المقاولين زيارة محل الخزان.

ولكن عندما عاد البرلمان وجاءت معه الوزارة الائتلافية لدولة عدلي يكن باشا في صيف سنة ١٩٢٦ قررت وقف العمل ثانيًا، ووافق البرلمان على ذلك، وعلى أن يبحث مشروع تعلية خزان أسوان بحثًا فنيًّا جديًّا؛ لأن هذا البحث لم يحصل قبل ذلك بالرغم من أن معالي محمد شفيق باشا عندما وقف العمل أولًا أمر بعمل هذه المباحث، ولكن للأسف بعد خروجه لم تعمل وزارة الأشغال شيئًا مما كان قد أمر به.

وسرعان ما أَلَّفت وزارة الأشغال في عهد عثمان محرم باشا وزير وزير الأشغال المكاتب الفنية اللازمة لإتمام هذه المباحث، حتى يتسنى للحكومة دعوة لجنة فنية دولية للبحث والمفاضلة بين مشروع تعلية خزان أسوان ومشروع جبل الأولياء.

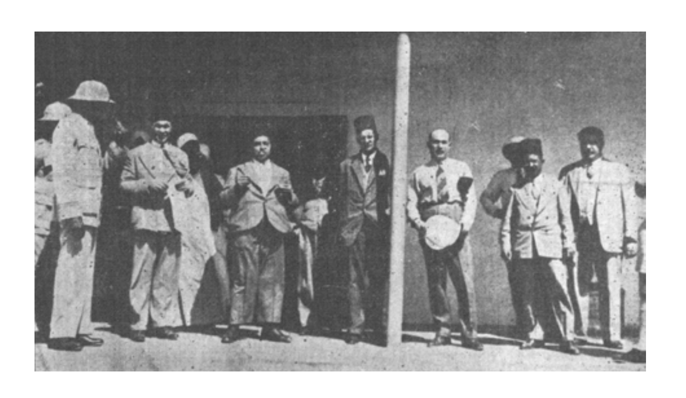
في ٣ يناير سنة ١٩٣٢ تقدمت وزارة الأشغال المصرية إلى مجلس الوزراء بمذكرة توصي بإنشاء سد وخزان عند التل المعروف بجبل أولياء على النيل الأبيض، على مسافة ٤٥

كيلو مترًا تقريبًا قبلي مدينة الخرطوم، وذكرت أن خزان جبل أولياء إنما يُنشأ لغرضين رئيسيين هما:

أولًا: وقاية البلاد من خطر الفيضانات العليا.

ثانيًا: القيام بأعمال التخزين الكبرى حتى يمكن سد العجز الناشئ عن قلة المياه مدة الصيف.

أساس المشروع الحالي أن يقام خزان بالبناء على النيل الأبيض، قبلي مدينة الخرطوم بنحو أربعين كيلو مترًا، وهو مصمم في الوقت الحاضر على قاعدة أن يحجز المياه إلى منسوب ٣٧٧ مترًا و٢٠ سنتيمترًا فوق سطح البحر، علمًا (بأن ماء النيل الأبيض في منطقة جبل الأولياء يرتفع في زمن الفيضان إلى حوالي ٣٧٧ مترًا).



أعضاء البعثة في رحلتهم.

عطاءات مشروع خزان جبل الأولياء

أذاعت وزارة الأشغال البيان التالي في سنة ١٩٣٢ للعطاءات المبينة بعد:

الاسم	أسمنت إنكليزي (جنيه مصري)	أسمنت مصري (جنيه مصري)
مستر ج. جيبسون	٢٠٧٨٠٨٦	٢٠٨٩١١٦
الخواجات بلفور وبيتي وشركاهم ليمتد	٢٥١٤٨٠٥	٢٤٩٩١٩٤
االخواجات بولنج وشركاهم ليمتد	٢٠٧٤٥٨١	٢٠٨٥١٩٣
سير إيفان جونز بارت وعبود باشا ليمتد	٢٣٢٨٤٣٥	٢٣٤٨٥٣٥

هذه الإجماليات هي التي أُعطيت بواسطة المقاولين في عطاءاتهم. على أن العطاءات تعدلت في بعض الأحيان تعديلًا كبيرًا تحت اشتراطات خاصة وتحفظات قامت وزارة الأشغال الآن بدرسها، وعلى ذلك لا يمكن أن يعتد بالإجماليات المذكورة عند عمل المقارنة في الوقت الحاضر، كما أن مفردات الأثمان كانت أيضًا محلًّا للفحص والمراجعة.

ولم يقطع برأي في أمر هذه العطاءات قبل الوقوف على التفصيلات وبحثها ومقارنتها بالشروط التي وضعتها الحكومة كقاعدة لتنفيذ المشروع والتعاقد على مقتضى ذلك، ولكن هذه الأرقام الإجمالية تعد على الجملة بيانًا للمفردات وصورة مصغرة لحقيقة التفاصيل والأرقام الواردة في المناقصات، وقد يبدو لأول وهلة أن عطاء الخواجات بولنج وشركاهم هو أقل العطاءات؛ فهم يطلبون٢٠٧٤٥٨١ جنيهًا مصريًّا في حالة استخدام الأسمنت الإنجليزي و٢٠٨٥١٩٣ جنيهًا مصريًّا في حالة استخدام الأسمنت المصري، ويلي بولنج العطاء المقدم من المستر ج. جيبسون البالغ ٢٠٧٨٠٨٦ جنيهًا مصريًّا في حالة استخدام الأسمنت المصري، والعطاء الثالث من محلات السير إيفان جونز وعبود باشا ليمتد ويبلغ ٢٣٢٨٤٣٥ جنيهًا مصريًّا في حالة استعمال الأسمنت الإنجليزي، و٢٣٤٨٥٣٥ في حالة استعمال الأسمنت المصري. والعطاء الرابع لمحلات الخواجات بلفور وبيتي وشركائهم بمبلغ ٢٥١٤٨٠٥ عن الأسمنت الإنجليزي، و٢٤٩٩١٩٤ عن الأسمنت المصري.

هذه العطاءات الأربعة مرتبة بحسب قيمتها، وعلى هذا يكون الأول بولنج والثاني جيبسون والثالث إيفان جونز بارت وعبود والرابع بلفور وبيتي وشركاهم، وقد كانت

هناك نقط جوهرية محل البحث الدقيق؛ فإن بولنج صرح في خطابه الأول بعطائه أنه يرغب في مناقشة بشأن النقط الخاصة بالأسمنت المصري الواردة في المادة ٤٩ من شروط العطاء، وفي سعر القطع، فقال إن حالة العملة غير موطدة؛ ولذلك يحتفظ بحرية الكلام فيها، وأضاف إلى ذلك رغبته في مناقشة المادة ٤٨ من هذه الشروط، وهي الخاصة بتأمين الكراكات (هذه الكراكات ملك للحكومة، وقد نص في العطاء على التأمين عليها باسم الحكومة لا باسم المقاول). ولبولنج تحفظات أخرى فنية كانت من شأن لجنة العطاءات.

واحتفظ محل جيبسون بالمناقشة في شأن المهمات العوامة وتأمينها، وفي أمر الأسمنت المصري. وأهم من هذا أو ذاك ما دونه خاصًّا بالعملة المصرية وقوله إنه وضع أسعاره على اعتبار أن الجنيه المصري يبقى حافظًا نسبته الحالية، ومعنى هذا أنه إذا انخفض سعر الجنيه فإنه لا يتقيد بالسعر الذي دونه. وهناك نقطة أخرى، وهي أن المقاول يقول في خطابه للوزارة إنه قدم العطاء باسمه، وفي حالة ما إذا رسا عليه فإن العمل سينفذ بواسطة شركة هو عضو فيها.

وضرب محل بلفور وبيتي على النغمة الخاصة بسعر القطع؛ فقد وضع تحفظًا لذلك وطلب تحديد ما جاء بالشروط في المادة ٧٠ خاصًّا بالعملة؛ لأن سعر القطع غير مستقر. ولكن يجب أن يوجه النظر إلى أن عطاء هذا المحل أعلى من جميع المتقدمين.

والثالث هو العطاء المقدم من محلات السير جونز، وقد لوحظ أن هذه الشركة لم تبدِ تحفظًا في شأن العملة أو في شأن الأسمنت المصري أو فيما عدا ذلك، ومعنى هذا أنها سارت في حدود شروط العطاء.

وقد رسا العطاء على مستر جيبسون وقام بتنفيذ المقاولة.

مستعمرة خزان جبل الأولياء

تبعد مستعمرة خزان جبل الأولياء ٤٥ كيلو مترًا عن مدينة الخرطوم، وترتفع عن سطح البحر بعلو ٦٦ مترًا، وهي منطقة متقلبة الأجواء لدرجة أنه لا يستطيع الإنسان أن يحكم على جو يومه حكمًا صحيحًا؛ فبينما يكون الجو معتدلًا إذا به ينقلب فجأة إلى حر لا يُطاق، أو هواء مشبع بالرمال كالهبوب يعقبه مطر غزير، وقد أعدت مصلحة الري سيارات لنقل الموظفين من الخرطوم إلى منطقة الجبل. والمستعمرة هي مدينة صغيرة منظمة ذات شوارع رملية، وقد قُسمت إلى أقسام مختلفة: قسم لمنازل المهندس

المقيم ومساعده ومديري الأعمال والمهندسين الإنجليز، والقسم الثاني خاص بالموظفين ذوي الأسر، وقد بُني على طراز «البلوك»، وكل دار مقسمة إلى شطرين لساكنين، ويحتوي الشطر على حجرة للاستقبال وأخرى للنوم وثالثة للمائدة، وخلفها دورة المياه والمطبخ وغرفة الخادم، وفي الحمام حوض بحنفية وبانيو للاستحمام يعلوه الدوش، والقسم الثالث يشمل مساكن الموظفين المنفردين، وهي بلوكات منقسمة كالسابقة، وفي كل مسكن ثلاث غرف لسكن ثلاثة موظفين من العزاب، وحجرة للطعام، ومن ورائها بيوت الخدم والمطابخ ومكان زير المياه، ودورة المياه ملاصقة لحجرة الطعام، ويحيط بكل بلوك سور من السلك يفصله عن الآخر، وفضاء من الأرض ليكون حديقة، والقسم الرابع لسكن المستخدمين باليومية، وهي مساكن متلاصقة لا حدائق حولها، وقد أُعد كل مسكن منها لإيواء ثمانية من المستخدمين. والأثاث المعد للمنازل كله أبيض اللون، وفي غرف النوم أسرَّة خشبية ودواليب للمتزوجين والرؤساء، وهناك لافومانو وبوريه فوقه مرآة، ومنضدة وكرسي لوضع الحقائب عليه، وكرسي أسيوطي من الخشب الأبيض فوقه غطاء من التيل السميك. وقد أثثت حجرة الاستقبال بعد أن استقر الموظفون في مساكنهم نهائيًّا. وفي حجرة الطعام مائدة وبوفيه ودولاب لأدوات المائدة، وهي مجهزة لكل موظف بما يتفق مع درجته. ولكل قسم من البلوكات خادم خاص يتولى النظافة والطبخ لجماعة من الموظفين، أما بيوت الشركة فهي في غاية التنسيق والترفيه، وهي مكونة من بيتين للموظفين الدائمين وبيت لموظفي الشركة المؤقتين. وهناك بيت خاص بحكومة السودان. أما منزل المستر جيبسون المقاول فهو بديع وبسيط. وفي المستعمرة وابور لتوليد النور لإضاءتها، وقد أُعد حوض ضخم فوق الجبل للمياه تتصل به مواسير لتغذية المساكن، وهي بارزة فوق الأرض تجعل الماء ساخنًا في أثناء النهار، وأُنشئ مخزن للبريد ومخازن أُودعت بها كل حاجة المنازل وأثاثاتها وأدوات المكتب، وبُني مكتب الحكومة على جبل مرتفع يطل من الغرب على النيل الأبيض، ومن الشرق على الجبال، ومن الجنوب على مكتب الشركة الذي بُني على شاطئ النيل الأبيض غاية في التنسيق والفخامة. أما الجهة الشمالية فعليها الطريق المؤدي إلى المستعمرة وإلى مكتب الشركة، ووضعت المهمات التمهيدية للبدء في أعمال الخزان في المنطقة الواقعة بين مكتبي الحكومة والشركة حيث يقام الخزان، ومُدت على الشاطئ سكة حديد يسير عليها قطار صغير لنقل الأحجار والمهمات، ولا يُسمح لأشخاص بركوبها، وللحكومة سيارات خاصة هناك لنقل الموظفين من الخرطوم ولقضاء حاجيات الموظفين، وقد

أنشئ الكنتين. وهناك سيارات عمومية للأجرة تتقاضى عن الشخص خمسة قروش في الذهاب أو الأوبة. أما السيارات الخاصة فتتقاضى من ٦٠ إلى ٧٠ قرشًا، على أن لا يزيد ركابها على أربعة أشخاص، أما الحالة المعيشية فموادها الأولية رخيصة، والكماليات من فاكهة وحلوى وسجائر ومشروبات ومشروبات روحية وروائح عطرية وبترول وثلج وبعض أصناف الخضر كالطماطم، أسعارها مرتفعة جدًّا، ويكاد الجبن يكون أغلى ثمنًا من اللحوم! ولا يتيسر الحصول عليه في بعض الأحيان. والملبس والأحذية رخيصة، والأدوات الطبية غالية، والفخار مرتفع الثمن. وقد شُيد مستشفى للمستعمرة مفتوح الآن ويديره طبيبان إنجليزيان وآخران مصري وسوري، وبُدئ العمل رسميًّا في الخزان في شهر ديسمبر سنة ١٩٣٢.

خزان جبل الأولياء والفيضانات العالية

قال المهندس كامل بخاتي بك: «إن الاعتراض الوحيد القائم على استعمال جبل أولياء لمنع الفيضانات العالية كما هو الآن ينحصر فيما يأتي:

أولًا: أنه لا يمكن الحجز عليه في فيضان مثل فيضان سنة ١٨٧٨ حينما يبلغ مقاسه ٣٧٧,٢٠ عند الخزان.

ثانيًا: أنه لو فرض أننا رفعنا الحجز إلى منسوب الطريق لما أمكن أن يدوم ذلك أكثر من بضعة أيام، وعلى ذلك يتجدد الخطر من الفيضان. وقد راجعت منسوب الطريق فوجدته ٣٧٨ بدلًا من ٣٧٨,٢٠ كما فرضت قبلًا.

وقد قرأت على صفحات الجرائد في سنة ١٩٣٤ أن الوزارة بعد عدة جلسات قررت تحديد مبلغ أربعة ملايين من الجنيهات للصرف على تقوية جسور النيل في مدة عشرين سنة. وما حدا بها إلى هذه الاحتياطات إلا ما كتبته في صدد الدورة الزمانية للفيضانات.

وتقدير هذا المبلغ يعد خطأً فنيًّا؛ لأنه يمكن تجنب هذا الصرف بتعلية خزان جبل أولياء، فبدلًا من أن أصرف أربعة ملايين جنيه أصرف في سنة ١٩٣٦ وسنة ١٩٣٧ على التوالي أربعمائة ألف جنيه ونصف مليون على الخزان، فيكون المجموع تسعمائة ألف جنيه.

بل يمكنني أن أصرف سنة ١٩٣٦ مائتي ألف جنيه وأعطي المقاول مائة ألف جنيه، على أن يتم الخزان التعلية في سنة ١٩٣٦، فيكون مجموع المبلغ المصروف ثمانمائة ألف جنيه بدلًا من أربعة ملايين جنيه.

والآن آتي على ذكر مناورات القفل والفتح في خزان جبل أولياء لكي تؤثر في الفيضانات العالية.

ولكي أكون واضحًا في التعبير أذكر ما حدث في السنة الماضية بالضبط «١٩٣٤»؛ فقد كان مقياس الروصيرص يوم ١٩ أغسطس سنة ١٩٣٤ على ٢١,٥٥؛ أي إن الفيضان كان سيجيء عاليًا كما تنبأت بذلك في السنة الماضية، وكما صرح حضرة صاحب العزة حسين بك سري أخيرًا.

وقد بلغ أعلى منسوب النهر في الروصيرص في سنة ١٩٣٤ في يومي ٢٤ أغسطس و٢٥ منه ٢٢,٠٤، وبلغ في جبل أولياء يومي ٢ سبتمبر و٣ منه ٧٣٦,١٧، وكان في الثمانيات يوم ٣ سبتمبر ١٦,٣٦، وكان قبل ذلك بيوم واحد ١٦,٣٥.

فما الذي أفهمه من هذه الزيادات؟

أولًا: أن زيادة النيل الأزرق في الروصيرص التي تصل إلى الخرطوم في ثلاثة أيام لا تصل إلى جبل أولياء إلا في تسعة أيام.

ثانيًا: أن هذه الزيادة بنفسها لا تصل إلى النيل العمومي في مقياس الثمانيات إلا في تسعة أيام.

فما معنى هذا؟

أن هذه الزيادات في فيضانات النيل الأزرق يتأخر وصولها لوجود عامل عظيم. فما هو هذا العامل؟

هو دخول مياه النيل الأزرق عند زيادته في النيل الأبيض، فتقلل من تصرفاته ويتأخر وصول زيادته إلى النيل الأصلي في الثمانيات.

تبلغ هذه الفترة ستة أيام، وتبلغ المسافة التي يدخل فيها أربعمائة كيلو متر على أكثر تقدير. وحيث إن نيل سنة ١٩٣٤ تأخر تأثيره في الثمانيات ستة أيام، فقد تأخر في نيل سنة ١٨٧٨ تسعة أيام.

فلماذا هذا التأخير؟ وهل توجد عوامل تسبب ذلك؟ وهل هذه العوامل ستزول في المستقبل نظرًا للإنشاءات الجديدة التي نقيمها على مجرى النيل في تلك البقاع مثل خزان جبل أولياء؟

والجواب على ذلك صريح، وهو أن خزان جبل أولياء عند استعماله في الفياضانات العالية سيغير من وصول الذروة العليا للفياضانات العالية، فيقدمها ستة أيام عن ميعادها.

ولنضرب لذلك مثلًا بمقاييس النيل في سنة ١٩٣٤ مع مراعاة أن الزيادة في الروصيرص تصل إلى جبل أولياء والثمانيات بعد ثلاثة أيام. والمقاييس مؤرخة بتاريخ وصول المياه إلى النقطتين المقصودتين.

التاريخ	الروصيرص	جبل أولياء	الثمانيات على النيل
٢٤ أغسطس	٢٢,٠٠		
٢٥	٢٢,٠٤		
٢٦	٢١,٤٨		
٢٧	٢١,٢٢		
٢٨	٢٠,٤٨		١٦,١٩
٢٩	٢٠,٦٦	٢٠,٦١	١٦,٢٢
٣٠	٢٠,٧٣	٢٠,٦٨	١٦,٢٦
٣١	٢٠,٠٢	٢٠,٧٦	١٦,٢٨
١ سبتمبر		٢٠,٧٨	١٦,٣٣
٢		٢٠,٨٥	١٦,٣٥
٣		٢٠,٨٥	١٦,٣٦

فيُرى من هذه الملاحظة أنه إذا أُقفل خزان جبل أولياء عند بلوغ فيضان النيل الأزرق في الروصيرص درجة مخيفة، أفضى إقفاله إلى ارتفاع في مجرى النيل في الثمانيات قبل الميعاد بخمسة أيام أو ستة.

وهنا لا بد من الملاحظة الآتية؛ وهي: هل تكون خشم القربة في المستقبل العامل الوحيد في الذروة العليا للفياضانات كما يقول بذلك رجال الري أم لا؟

أثبتنا أن مياه الروصيرص تأخذ زيادتها للوصول إلى جبل أولياء ستة أيام، وكذا إلى الثمانيات حيث مقياس النيل العمومي بحري الخرطوم. وهذا ما جرى فعلًا في سنة ١٩٣٤ حيث بلغ مقياس جبل أولياء ٣٧٦,١٧ مع أن هذا الخزان مصمم على أن يحجز

أمامه على منسوب ٣٧٧,٢٠ أي بفرق ١,٠٣ متر، ومن المعلوم أن فيضان السنة الماضية كان دون فيضان سنة ١٨٧٨.

ولكن المهندس في حساباته يلزم أن يتحاشى أكبر الأضرار؛ أي يلزم أن يتبع في تصميماته فيضان سنة ١٨٧٨. وهذا هو المبدأ الذي تسير عليه مصلحة الري إلى الآن في ترميم جسور النيل يجعلها عالية عن منسوب هذه السنة مترًا كاملًا، مع أنه لم يجئ فيضان عالٍ مثله من تلك السنة، وهذا يعد إحدى نقط فخر الفن في مصر لترقب أعلى فيضان حتى ولو مضى عليه زمان طويل، حيث جاءت طائفة من المهندسين لم تره، ومع ذلك فهم حاسبون حسابه.

قلنا إنه إذا جاء الفيضان مماثلًا لسنة ١٨٧٨ فإن الحجز على مستوى الطريق المنسوب ٣٧٨,٠٠ لا يمنع غوائل الفيضان غير خمسة أيام أو ستة.

ولكن الحالة ستتغير بعد إنشاء خزان جبل الأولياء بحالته الراهنة.

لأن ذروة الفيضان في الروصيرص إن كانت موعدًا لإقفال خزان جبل أولياء ستقدم وصول فيضانه إلى النيل الأصلي ستة أيام، وبالتالي سيقدمها إلى خشم القربة ستة أيام أخرى، وبذلك تجتمع الذروتان في ميعاد واحد تقريبًا، وهنا يجب تحليل هذه المفاجآت لمعرفة مداها في النيل، حيث إن خزان جبل أولياء يكون مقفلًا.

هذا الإقفال يلزم أن يكون شهرًا على الأقل، وحيث إن تصرف النيل الأبيض سنة ١٩٣٤ عند بلوغه الذروة العليا كان ١٥٠ مليونًا في اليوم، ففي مدة شهر يكون مقدار ما يخزنه هو ١٥٠ في ٣٠ يساوي ٤٥٠٠ مليون. وعلى هذا الحساب الذي لا تدخل فيه عوامل التبخر والتشرب يكون منسوب المياه بعد مضي شهر هو كالآتي:

الخزان الحالي: ٣٧٧,٢٠ المنسوب ١٤١٠ كيلو مترات مربعة، المسطح المغمور ١,٦٠٠ مليار استيعاب.

الخزان المقترح: ٣٧٩,٣٠ المنسوب ٢٧٥٠ كيلو مترًا مربعًا، المسطح المغمور ٥,٦٠٠ مليارات استيعاب.

فالفرق بين الاثنين هو أربعة مليارات، وهذا ما يجيء في خلال شهر تقريبًا من النيل الأبيض مدة الفيضان، وحيث إن سطح الخزان الحالي هو على منسوب ٣٧٨,٠٠، فالأصوب تعليته إلى منسوب ٣٧٩,٢٠؛ أي بفرق متر وعشرين سنتيمترًا، فإذا جاء نيل عالٍ وخيف على مصر منه حُجزت المياه حتى تصل إلى منسوب ٣٧٩,٢٠، وهذا لا يهدد سلامة سد الخزان؛ لأنه سبق لمصر أن حجزت على خزان أسوان إلى منسوب الطريق.

وهذا التغيير يقتضي:

أولًا: تعلية البناء الحالي.

ثانيًا: مد السدود الترابية من الجانبين.

ثالثًا: تقوية البوابات الحديدية وتعلية بوابات الهويس.

رابعًا: بعض التمحك في مصاريف التعويض لاتساع حوض الفرق.

أما الأول والثاني، فمصاريفها قليلة؛ حيث إن مكعب البناء الزائد لا يتعدى اثني عشر ألف متر، فمن باب أولى يكون مد السدود قليل النفقات، ولكن بمنسوب ٣٨٠,٠٠٠. أما البوابات الحديد فيمكنها أن تقاوم زيادة الضغط بدون تقويتها، غير أن بوابات الهويس يلزم تعليتها، وهذا لا يكلف المصلحة كثيرًا.

أما التعويض فمن السهل الاتفاق عليه؛ حيث إن هذه المياه لا تلبث أن تنحسر عن الأرض بعد بلوغها الذروة العليا؛ لأنها لا تخزن للانتفاع بها في الري، بل لدرء غوائل الفيضان فقط. فصرفها يكون في الزمن الذي يقذف النيل بمائه في البحر الأبيض المتوسط. فالتعويض في هذه الحالة لا يمكن أن يكون على أساس مشابه لتعويض ما يخزن من الماء لاستعماله في الري؛ لا سيما أن علو المياه وصرفها مباشرة سيكشف أرضًا مساحتها ٢٣٣٤٠٠ فدان ارتوت ريًّا حوضيًّا ويمكن زرعها والاستفادة منها. فأمر التعويض في هذه الحالة من الأمور التي يسهل حلها لمصلحة الجانبين.

بداية المشروع إلى تنفيذه

بدئ في المشروع في أول سنة ١٩١٤، ولكن الحرب العالمية في السنة نفسها قد وقفت المشروع ثم أُعيد سنة ١٩٢٠، وقررت وزارة عدلي يكن باشا سنة ١٩٢١ وقفه، ثم جددته وزارة زيور باشا سنة ١٩٢٥، ووقفته وزارة عدلي باشا الائتلافية سنة ١٩٢٦، وعادت وزارة محمد محمود باشا إليه سنة ١٩٢٩ عند وضع اتفاقية النيل المعروفة. على أن هذا لم ينفذ لاستقالة الوزارة، وقد خلفتها وزارة عدلي باشا في أكتوبر سنة ١٩٢٩ حتى نهاية سنة ١٩٢٩، وكانت وزارة انتقال، ثم الوزارة النحاسية الثانية وكانت ضد المشروع طبقًا لقرار الوفد المصري؛ حيث وضع مذكرة فنية وسياسية في بيان مضار المشروع.

وقد وصل عبد القوي أحمد بك في نوفمبر سنة ١٩٣٢، وينص العقد على أن ينتهي العمل كله ويسلم الخزان للحكومة في يوليو سنة ١٩٣٧.

نفقات المشروع

بلغ ما أُنفق على المشروع منذ البدء في تصميمه والبحث فيه والبدء بتنفيذه بإنشاء مساكن للعمال ومكاتب للموظفين، نحو مليون جنيه قبل البداية الأخيرة؛ أي بين سنتي ١٩١٤ و١٩٣٢. من هذا مبلغ مائة ألف جنيه أُنفقت في إنشاء مستعمرة — مساكن العمال والموظفين ومكاتب للعمل — وفي تموين المخازن بالحديد والخشب والأدوات اللازمة. وقد فسد الكثير من ذلك بسبب القرضة — وهي دوبية تأكل الخشب — وبسبب صدأ الحديد.

قررت الوزارة الصدقية سنة ١٩٣٢ المشروع بموافقة البرلمان المنحل، وسافر حضرة صاحب العزة عبد القوي أحمد بك إلى الخرطوم لإعداد المستعمرة، ولمفاوضة الحكومة السودانية في بعض التفاصيل الخاصة بالتعويضات التي تعطى للأهالي الذين سيغمر ماء الخزان بيوتهم، وبالمستشفى، وبالخط الحديدي الذي ينشأ بين جبل السليتات، وهو الجبل الذي تقتطع أحجاره الجرانيتية وتستعمل في بناء الخزان، وبين موقع الخزان.

ويقع جبل السليتات شمالي الخرطوم وعلى مسافة ٢٠ كيلو مترًا منها، ومن سفح الجبل حتى موقع الأحجار المقتطعة مسافة ثمانية كيلو مترات. ويقع جبل الأولياء جنوبي الخرطوم على مسافة ٤٥ كيلو مترًا، فالمسافة بين السليتات والخزان ٨٣ كيلو مترًا.

المقاول الأصلي والمقاول الفرعي

تقدمت جملة شركات إنجليزية شهيرة؛ ومنها شركة عبود باشا، في المناقصة، وكان أقل عطاء هو لشركة جيبسون، وقد أعطيت لها المقاولة بمبلغ ٢٠٩٨١١٦، ودخل المقاول الإيطالي المعروف بالإسكندرية مسيو دنتمارو وشريكه بركلي مع شركة جيبسون مقاولًا من الباطن لتوريد رؤساء العمال والعمال.

بداية العمل ونهايته

بُدئ العمل في الخزان في أكتوبر سنة ١٩٣٣، ووُضع أول حجر في بنائه في ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٣٣، ولم يُحتفل بذلك رسميًّا بسبب الظروف التي كانت عندئذ، ووصل عبد القوي أحمد بك في نوفمبر سنة ١٩٣٢، وينص العقد على أن ينتهي العمل كله ويُسلَّم الخزان للحكومة في يوليو سنة ١٩٣٧.

ولكن يُنتظر أن ينتهي العمل قبل الموعد بستة شهور تقريبًا.

إشراف المهندس المقيم

للمهندس المقيم الحق في طرد أي مقاول من الباطن بسبب فساد العمل أو سوء الإدارة أو أي منافاة لنصوص العقد.

وينص العقد على أن المقاول مسئول عن العمال ومساكنهم وطعامهم والنظام بينهم، وللمهندس المقيم أن يتحقق من توافر ذلك.

وننشر فيما يلي المذكرة التالية.

الكميات التقديرية للمواد:

- مباني الدبش المقدرة للسد ٢٧٨٤٤٠ مترًا مكعبًا.
- الحجر المنحوت المقدر للسد ٢٠٠١١ مترًا مكعبًا.
- الخرسانة المقدرة للسد ١٢٥٦٧٥ مترًا مكعبًا.
- الستائر الحديدية المقدرة للسد ٨٠٠٠ طن.
- الأحجار الرملية للتكسيات ١٧٨٥٥١ مترًا مكعبًا.
- كمية الأسمنت المصري ٨٠٠٠٠ طن.
- مكعب الردم ٢٩٥٠٠٠ متر مكعب.
- مجمل مكعبات البناء ٨٩٧٦٧٧ مترًا مكعبًا؛ أي نحو ثلث حجم الهرم الأكبر، وقدره ٢٧٨٤٠٠٠ متر مكعب.
- منسوب التخزين منسوب ٣٧٧,٢٠.
- وإذا علا بلغ مستواه منسوب ٣٨٠,٠٠.
- منسوب أقصى الفيضان سنة ١٨٧٨ منسوب ٣٧٧,٥٠.
- معدل أدنى منسوب في الصيف منسوب ٣٧٠,٧٥.

- طول الخزان في تمام الملء ٣١٤ كيلو مترًا.
- أقصى اتساع في تمام الملء ٧٢٥٠ مترًا.
- أقل اتساع للخزان في تمام الملء ٢٠٠٠ متر.
- متوسط اتساع الخزان في تمام الملء ٤٢٠٠ متر.
- المساحة التقريبية المغمورة في تمام ملء الخزان ١٣١٨ كم٢، وقدرها ٣١٤٠٠٠ فدان تقريبًا.
- كمية المياه المخزونة في كل ملء ٣١٠٠ مليون م٣.
- كمية المياه الفاقدة بالتبخر والشرب وفي الطريق ٩٠٠ مليون م٢.
- كمية المياه التي تصل أسوان ٢٢٠٠ مليون م٣.
- تاريخ الملء من النصف الأول من يوليو إلى أواسط أغسطس المنسوب ٣٧٦,٥٠، ومن أواسط سبتمبر إلى أواسط أكتوبر إلى منسوب ٣٧٧,٢٠.
- تاريخ التفريغ أواخر يناير.
- كمية المساحة التي تنتفع بالمياه المخزونة في خزان جبل الأولياء ٥٥٠٠٠٠ فدان.
- كمية العمل اليومي مع ملاحظة أن العمال لا يشتغلون جميعًا يوميًّا.
- ويشتغل في السد بناءون عددهم ٣٤٠ مصريًّا، ومن العمال ١٦٠٠ صعيدي و٢٥٧٠ سودانيًّا.
- وفي محاجر السليتات نحاتون: ٩٢ مصريًّا و٧٧ طليانيًّا و٦ يونانيين و٢٥ سودانيًّا. وعمال: ٦٧٥ صعيديًّا و٢٦٦ سودانيًّا لقطع الأحجار.
- الإنتاج اليومي حوالي ١٠٠٠م مكعب؛ أي ما يقرب من ٢٠٠٠ جنيه يوميًّا في البناء فقط، خلاف الخرسانة والستائر الحديدية.

وقد تركت للمقاول الحرية في اختيار العمال، ما دام مسئولًا عن التنفيذ وجودة العمل والإدارة. ولم يشترط على المقاول غير شرط واحد، وهو عدم استخدام الأحباش؛ لأنهم لا يتفقون مع العمال المصريين في حلة واحدة. والحلة هي منطقة مساكن.

يقدم المهندس المقيم تقريرًا شهريًّا إلى المهندس الاستشاري بلندن للحكومة المصرية «مستر فون لي»، ويرسل صورة للوزارة، والمهندس المقيم خاضع لإشراف المهندس الاستشاري.

وقد قدم المهندس المقيم تقريره الأخير عن يناير، وبمقتضى هذا التقرير كان عدد العمال ٦٤٠٠، وقد وصل العدد في أبريل ومايو الماضيين إلى ٨٠٠٠؛ وهم بين بنَّائين

وفَعَلة، منهم ٣٤٠٠ سوداني و٣٠٠٠ مصري. فأما البنَّاءون فهم جميعًا مصريون، ويقوم السودانيون بالأعمال الوقتية، ويتناول العامل السوداني أجرًا يوميًّا قدره أربعة قروش، والمصري ثمانية قروش. والعمال المصريون على الأغلب من مديريتي أسوان وقنا، وأقلهم من أسيوط. وهناك أعمال بالمقطوعية، فيشتد جهد عمال الصعيد فيستطيع كل منهم أن يأخذ أجرًا يوميًّا قدره ١٢ قرشًا.

وفي العام الماضي أضرب خمسون صعيديًّا عن العمل. أتدرون لماذا أضربوا؟

أضربوا لأنهم كُلفوا بنقل حجارة صغيرة، وطالبوا بأن ينقلوا الحجارة الكبيرة؛ لأنهم يحتقرون حمل الحجارة الصغيرة قائلين: لسنا صغارًا حتى نكلَّف بنقل الدقشوم!

توجه المضربون إلى المهندس المقيم عبد القوي أحمد بك وبسطوا له شكايتهم، فأعجب بأنفتهم، وهزه كبرياؤهم، وسرَّته شجاعتهم، وطيَّب خاطرهم قائلًا: اليوم انقلوا الدقشوم وغدًا الحجارة الكبيرة. فعادوا إلى العمل.

الحالة الصحية

بلغ عدد العيادات الخارجية في مستشفى الخزان ١٤٠٠٠ في شهر يناير، وبالمستشفى للعيادة الداخلية ١٥٠ سريرًا. وأجرة سرير الدرجة الأولى ٧٠ قرشًا، والثانية ٣٠ قرشًا، والثالثة عشرة قروش، وتتولى الحكومة الإنفاق على مستشفى الخزان، ولكنها تأخذ أجرة العلاج من المقاول.

وقد انتشرت في العام الماضي «١٩٣٤» الحمى المخية الشوكية ومات بها سبعون عاملًا سودانيًّا، ولم يمت بها أحد من العمال المصريين، وقد ظهرت هذه الحمى الآن في كسلا وكردفان. والسبب في وقاية المصريين منها طاعتهم للإرشادات الصحية؛ كالرش والنوم في داخل المنازل. ومفتش القسم الطبي بالمستشفى إنجليزي، وهو مستر كلارك، وطبيباه هما الدكتوران يوسف سلامة وشيحة. ولما كان لا بد من إشراف فني على المستشفى وكانت مصلحة الصحة المصرية بعيدة عن هذا الإشراف، فقد وُضع تحت إشراف المصلحة الطبية بالخرطوم.

حالة يجب علاجها

ومن الأسف أن الحكومة لم تضع شروطًا في عقد المقاولة لحماية العمال واحترام حقوقهم ووسائل استحقاقهم؛ فهم يجندون في إسنا وقنا والدر وغيرها، يجمعهم مقاولون من الباطن ويرسلونهم إلى السودان، وقد يكون بينهم الضعيف والمريض، ويكشف عليهم طبيًّا في حلفا لمدة ٢١ يومًا. وكثيرًا ما يضللهم صغار المقاولين المحليين فيمنُّونهم بالوعود وبالأجر الكثير، أو يعقدون معهم شروطًا مكتوبة، حتى إذا وصلوا الخرطوم وجدوا الوعود أحلامًا، ولم يكن المقاول الأصلي مرتبطًا بها، فيرضخون لعقود قاسية في الخرطوم. والعادة أن يُعطى العامل المريض نصف أجرة. وثلث العمال مصاب بالبلهارسيا.

خطأ آخر

وقد أخطأت الحكومة خطأ آخر؛ ذلك أنها لم تنص في شروط المناقصة وعقود المقاولة على ضرورة استخدام مهندسين مصريين في أعمال الخزان لحساب الشركة، ولهذا فائدة مزدوجة؛ الأولى: أن يدخل إلى جيوب مصرية جزء من الملايين التي تُدفع للمقاولين الأوروبيين. الثانية: أن يتمرن الشباب المصري في أعمال بناء الخزانات، فنستطيع أن يكون لدينا مهندسون أكفاء لبناء خزاناتنا وتنفيذ مشروعاتنا. إن الطريقة الحالية تجعل من المستحيل أن يكون لنا مهندسون مصريون يضطلعون بعبء الخزانات ونحوها. وجميع مهندسي وزارة الأشغال لا ينهضون بأي مشروع من مشروعاتها، ودائمًا تعول على الأجانب.

وفضلًا عن ذلك فإن الوزارة ترسل بعثات مهندسين للتمرن في الورش، فلماذا لم ترسل مهندسين يتمرنون في بناء الخزان وهو خير وسيلة للتمرين؟!

محاضرة المهندس المقيم

عند وصول أعضاء البعثة ومن معهم إلى مكتب حضرة صاحب العزة عبد القوي أحمد بك المهندس المقيم، عرض حضرته أنموذجًا برنزيًّا لمشروع الخزان، وطفق يلقي محاضرة عن المشروع، ثم أجاب على أسئلتنا، ثم توجهنا مع حضرته ومع حضرات مساعديه ومع المقاول جيبسون والمقاول دنتمارو والمهندس المستشار «المستر فون لي»

إلى الخزان، وشهدنا الأعمال الجارية فيه، وأُعجبنا بجهود العمال. وقد هتفوا بنداءات مختلفة: ليحي العدل، ليحي النحاس باشا، ليحي الوفد المصري، ليحي عبد القوي بك، ليحي الدكتور محجوب ثابت، لتحي مصر، لتحي البعثة المصرية. وكانت زيارتنا يوم ابتهاج للعمال.

تكلم عبد القوي بك عن بداية العمل وتكلم عن انتهائه فقال: ينتهي العمل في يوليو سنة ١٩٣٧، ولكني أقدر إنجازه قبل هذا التاريخ، وضرب الأمثلة على الأمتار المكعبة التي تمت قبل الموعد.

ثم تكلم عن التعويضات، فقال: إن بين مصر والسودان اتفاقًا على التعويضات التي تعطى لسكان منطقة الخزان، وفي عهد اللورد لويد كان الرقم المقدر ثلاثة ملايين ونصف المليون سنة ١٩٢٦، فرفضت مصر دفع المبلغ، وفي عهد وزارة محمد محمود باشا أمكن الاتفاق على تحديدها بمبلغ ٧٥٠ ألف جنيه، دُفعت لحكومة السودان بمجرد الموافقة الأخيرة سنة ١٩٣٢ على المشروع، وتقع الأراضي المعرضة لماء الخزان قبلي منطقة السد. وقد كانت التعويضات المقدرة سنة ١٩١٤ مائة ألف جنيه فقط، ولكنها زادت بسبب غلاء الأجور وإنشاء المساكن ... إلخ.

وسيكون ملء الخزان تدريجيًّا على مدى ست سنوات، فيُرفع الماء خلف الخزان نصف متر، ويُنظر في أثره في السنة الثانية، ثم يُرفع إلى متر.

ومن المتفق عليه بين مصر وإنجلترا عدم جواز ري أراضي السودان بماء الخزان، وعدم إعطاء رخص للأفراد بسحب هذا الماء؛ لأن هذا الخزان وقف على مصر وحدها.

ملاحظة المؤلف على هذا الشرط

وقد علمت أن هناك رخصًا لآلات الري قد أعطيت لأفراد على النيل الأبيض، وأن من الممكن لأصحابها الانتفاع بماء خزان جبل الأولياء. ومن جهة أخرى فمن الممكن لسكان المنطقة التي تقع قبلي أي خزان سحب الماء بترع ومساقٍ وآلات رافعة.

ثم قال عبد القوي بك: ماء النيل قسمان: مباح ومحرم؛ فالمباح هو ما زاد على حاجة مصر والسودان، حاجة خزاناتهما، فيجوز للأهالي الاستفادة منه. والمحرم هو الوقت

الذي تملأ فيه الخزانات، فيحرم على السودانيين في هذا الوقت — وهو وقت الفيضان — أخذ شيء.

وقد كفلت الاتفاقية المائية سنة ١٩٢٩ منع حصول أي ري في وقت التحريم.

وعدد عيون الخزان ٦٠، عمل منها عشر تمت فعلًا، وعشر أوشكت أن تتم. ويوجد تحت الهويس — المخصص لدخول المراكب كما في القناطر الخيرية — نفق، وهو أطول هويس على النيل، وعمق النفق ١٦ مترًا، ويصل النفق بين طرفين، والناظر من أعلى إلى النفق يرى العمق كبيرًا ومظلمًا كأنه بئر، وله سلم من حديد، وعرض كل عين من عيون الخزان ٣ أمتار، وطولها أربعة أمتار ونصف، وبين الستين عينًا عشر عيون مقفلة؛ أي عيون لن تستعمل وستبقى أبوابها مغلقة. وأما العيون المصمتة فهي التي تنشأ بغير أبواب؛ لأنه يراد منها حجز الماء فقط دون تصريفه. وسفح العين منحدر بمقدار عشرة سنتيمترات كل متر. وكان من الممكن استعمال انحدار الماء وتدفقه من العيون في توليد قوة كهربائية للإنارة، كما في خزان سنار، ولكن الظاهر أنه ليس من حاجة لهذه الإنارة؛ فعند خزان سنار تقوم مدينة. أما عند خزان جبل الأولياء فلا يوجد سوى مساكن العمال والموظفين المؤقتة.

ويسير خط حديدي بين جبل السليتات ومنطقة الخزان، ويحمل أحجار الجرانيت التي يُبنى بها الخزان.

محور الخزان؛ أول عمل فني في بناء الخزان هو إيجاد محور الخزن، فاتخذ موقعان مرتفعان متقابلان، وهما نقطتان تعينتا بحيث إذا أوصل بينهما بخط يكون وضع الخزان مستقيمًا.

وهناك «سكة هوائية»، وهي خطوط حديدية تمد في الهواء بين مكان مرتفع وموقع منخفض، حيث تنقل المواد بينهما في صناديق حديدية، كالأحجار ونحوها، وتتحرك هذه الصناديق بقوة الكهرباء عند الدفع، ويساعدها الهواء في الوسط. وقد رأينا ما يماثلها عند السلوم؛ إذ تحمل هذه الصناديق البضائع من ميناء السلوم إلى جبل السلوم، حيث يوجد معسكر الجيش المصري.

ولا يعتمد الخزان على عرض النهر وحده، بل إن امتداده مستمر على الأرض، وقد امتد الخزان إلى ثلاثة كيلو مترات أخرى إلى الغرب، بعد أن بلغ امتداده على عرض النيل والشاطئ الشرقي كيلو مترين.

وكان أول بدء للأعمال التمهيدية للخزان هو إلقاء الأحجار العادية والأتربة في مجرى النهر عند موقع الخزان، حتى إذا تكونت مساحة كبيرة في عرض البحر، جرت عملية البناء.

وهناك حائط فقري طوله ٣٥٠ ألف متر، ويُنزح الماء داخل السد بحفر الصخر الذي على جانبي النهر، فإذا كان الصخر غير سليم؛ أي به طبقة مرنة قابلة لمرور الماء، استمر الحفر حتى يوصل إلى الصخر السليم، وقد يدعو ذلك إلى الحفر حتى ثمانية أمتار.

وقد وُضعت أحواض لحبس الأسماك ومنعها من الاجتماع في عيون الخزان.

ويُترك العمل من ١٧ يوليو إلى ٢٠ أكتوبر، وقد جرى العمل حتى حوالي منتصف يوليو الماضي، والسبب في هذا التعطيل وجود الأمطار.

وسيصل إلى مصر من ماء الخزان ملياران من الأمتار تكفي لزراعة ٥٥٠ ألف فدان، ومعنى ذلك أن الخزان لن يسد حاجة مصر في ري ما قد بقي من الأراضي القابلة للزراعة والتي لم تُزرع بعد؛ فلا بد من إنشاء خزانات في منطقة السدود عند بحيرة ألبرت، وقناة بعيدة عن السدود، بل لا بد من أن تبحث مصر عن الماء وخزنه في مناطق أخرى كبحر الغزال؛ لأنه ينزل من الماء نحو ٥٠٠ مليار مكعب — حسب تقرير المهندسين المطلعين — لا ينتفع منها النيل الأبيض إلا بعشرين مترًا مكعبًا في الثانية.

وقال عبد القوي بك ردًّا على سؤال وجهتُه إليه: لم تحصل أي شكوى في صدد طريقة تنفيذ المقاول العقد وبناء الخزان، فإننا نتابع العمل يوميًّا، ونرسل إلى المهندس المستشار مستر فون لي، الذي يقضي بيننا أربعة أسابيع، تقريرًا شهريًّا.

وبعد أن شهدنا الأعمال الجارية وحركة العمال المصريين والسودانيين، وأتعبنا الصعود على الصخور والسقالات، عدنا إلى سرادق صغير حيث تناولنا المرطبات واسترحنا، ثم توجهنا إلى مكتب المهندس المقيم حيث تناولنا طعام الغذاء.

وقد أُعجب الأعضاء بهمة حضرات المهندسين، وعلى رأسهم عبد القوي أحمد بك، وبغيرة العمال، الذين يعملون بجد ونشاط ويقومون بأشق الأعمال.

كلمة بهي الدين بركات بك

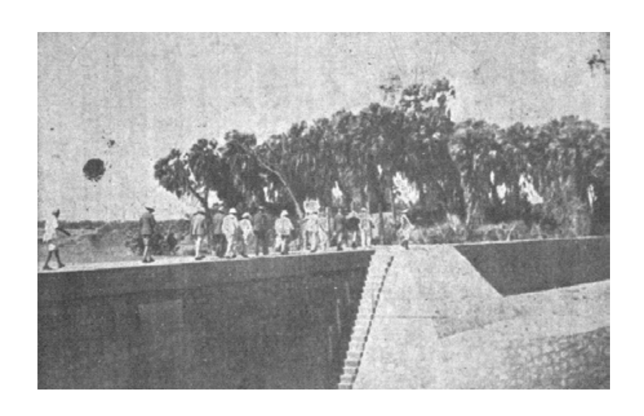
وقد دوَّن الحاضرون أسماءهم في دفتر خاص بمكتب المهندس المقيم، وألقى حضرة صاحب العزة محمد بهي الدين بركات بك وزير المعارف سابقًا كلمةً قال فيها إنه مغتبط الاغتباط كله بما سمعه بعد وصوله إلى الخرطوم عن حضرة صاحب العزة عبد القوي أحمد بك المهندس المقيم في خزان جبل الأولياء، فقد رفع من سمعة الموظف المصري الأمين، كفاءةً ودقةً وإخلاصًا للواجب، وأصبح يتمتع بمكانة طيبة بين ولاة الأمور هنا.



بهي الدين بركات بك.

ثم قال: لقد كنت والمرحوم والدي — فتح الله بركات باشا — من أشد المعارضين لسياسة إنشاء خزان جبل الأولياء، وما زلت مقتنعًا برأيي ولم أحِد عنه؛ لأنه رأي جاء بعد بحث وإمعان في وجوه النظر كلها، ولكنني أصرح هنا أن الأعمال الهندسية

الجارية الآن — في ذاتها ومجردة عن سياسة الحكومات واختلاف الآراء فيها — تشهد لحضرات المهندسين بالبراعة، وتشهد للمهندس المقيم — عبد القوي بك — بحسن الإشراف والإدارة، فضلًا عما تحلى به حضرته من خلق رضي وعاطفة كريمة نحو هؤلاء العمال الذين سهر على صحتهم وراحتهم، فأحبوه وهتفوا باسمه.



قناطر تسينايا في الإريتريا على نهر القاش.

(٣-٤) حفلة شاي السيد الميرغني

عند منتصف الساعة الخامسة بعد الظهر أقام حضرة صاحب الفضيلة السير السيد علي الميرغني — السابق نشر ترجمته — حفلة شاي تكريمًا للبعثة، حضرها بعض خلفاء السادة الميرغنية، وقد ألقى حضرة فؤاد أباظة بك كلمة شكر داعيًا فضيلته لزيارة المعرض المصري في العام القادم، حيث تقابل زيارته بالابتهاج، ودعا فضيلته حضرة الدكتور محجوب ثابت، واصفًا إياه «بأنه شخص نتجاذبه جميعًا — نحن وأنتم …» «ضحك».

(٣-٥) حفلة سمر بالنادي المصري

أقام النادي المصري بالخرطوم حفلة سمر شهدنا فيها سينما عُرضت فيها مناظر عن سيد الوحوش وقبائل نوبية من الزنوج العراة نساء ورجالًا، ورأينا صفوفهم المتراصة ورقصهم، ثم رأينا حيوانات حديقة الحيوانات بالخرطوم، وقد حضر الحفلة أعضاء البعثة وحضرات صاحب الفضيلة قاضي قضاة السودان، وصاحب الفضيلة نائب قاضي قضاة السودان، وصاحب الفضيلة شيخ العلماء ونيافة الأب القمص يوحنا سلامة وكيل مطرانية الخرطوم، وحضرة الأستاذ رياض نصري رئيس المكتبة القبطية، وحضرات الأعضاء ومجلس إدارتها وهيئة لجنة خريجي مدارس السودان بالخرطوم، ورئيس نادي خريجي مدارس السودان بأم درمان، ورئيس النادي السوري بالخرطوم، والشيخ أحمد عثمان القاضي رئيس تحرير الحضارة، والشيخ عبد الرحمن أحمد رئيس تحرير جريدة السودان.

وحضرات التجار: جناب الخواجات كونتو ميخالوس رئيس الغرفة التجارية وتادرس عبد المسيح وهنري جيد وجورج مورهج ونقولا ماتكساه وتوتنجي وألفرد كافوري وحضرة سليمان أفندي منديل ومحمد أفندي راجي والشيخ محمد مدني يحيى وعبد المنعم أفندي محمد وإبراهيم عامر بك والشيخ محمود القوصي والشيخ محمد أحمد البرير.

ومن كبار الضباط: القائمقام حسين بك طاهر والبكباشي محمد أفندي جمعة وحضرة مأمور الخرطوم.

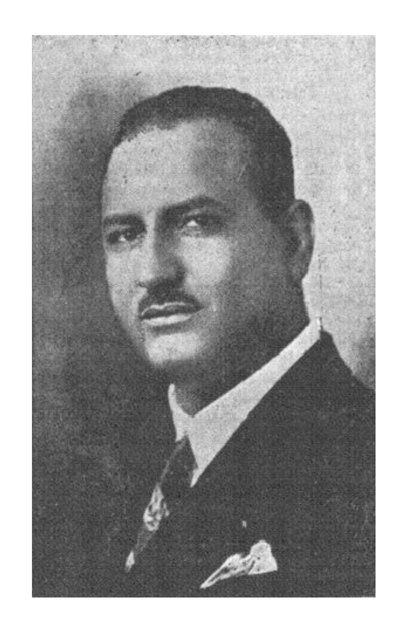
ومن كبار ضباط المعاشات: القائمقام أبو زيد بك مرجان والبكباشي حسن زكي.

ومن كبار رجال الري بجبل أولياء: أصحاب العزة عبد القوي بك أحمد وزكريا بك محمد وعبد الشهيد بك داود وإبراهيم بك زكي.

وحضرات أعضاء مجلس إدارة النادي المصري: الدكتور محمد أمين الرئيس، وحضرات فاخوري أفندي عبد الشهيد نائب الرئيس، وأحمد أفندي أحمد القاضي السكرتير، وعبد المعطي أفندي أبو العينين أمين الصندوق.

وحضرات الأعضاء المحترمين: أحمد فهيم ومحمد حواس وأحمد أفندي زيدان وأحمد أفندي نعيم نجاتي وميخائيل أفندي عبد الملك ومحمد أفندي طلعت ويوسف أفندي علي دياب وعباس أفندي شوقي ومحمد أفندي علي بشير.

أما حضرات أعضاء النادي الذين اشتركوا في التكريم فيبلغ عددهم حوالي مائة عضو من مختلف طبقات المصريين بالخرطوم.



الوجيه عبد المنعم محمد التاجر الشهير بالسودان.



إبراهيم عامر بك التاجر الشهير بمصر والسودان.

تاريخ النادي المصري

أسَّس النادي المصري بالخرطوم سنة ١٩٠٤ موظفو الحربية الملكيون وموظفو حكومة السودان المصريون.

وكان أول رئيس للنادي هو المرحوم محمد بك زيدان، ورئيس النادي الحالي هو حضرة الدكتور محمد أمين وكيل تفتيش الري المصري بالخرطوم.

ولغاية سنة ١٩٢٤ كان بالنادي حوالي ٣٠٠ عضو، وكانت الاشتراكات الشهرية في السنوات السابقة لهذا التاريخ تتراوح ما بين ٤٠ و٦٠ جنيهًا مصريًّا، حيث كان عدد الموظفين الموجودين في الخرطوم الملكيين حوالي ٩٠٠ موظف من الحربية وحكومة السودان. وفي سنة ١٩٣٢ بلغ عدد المصريين الموظفين في جميع أنحاء السودان٨٠٠، وفي سنة ١٩٣٤ نقصوا إلى ٧٥٠، وفي سنة ١٩٣٥ صاروا ٧٢٠. وكانوا قبل ذلك حوالي ١٥٠٠. وبعد سنة ١٩٣٤ تقهقر النادي حتى صار مشتركوه لا يزيدون على الثلاثين،



الوجيه السيد محمود مصطفى الجمال التاجر بمصر ودمياط — عضو البعثة.



الوجيه عبد الرحمن نوفل التاجر بالإسكندرية — عضو البعثة.

وبعد سنة ١٩٣١ نزل هذا العدد إلى ٢٠، وفي آخر سنة ١٩٣٣ عملت دعاية قوية للنهوض بالنادي لحفظ كيان قومية المصريين فصار المشتركون الآن حوالي ١٢٠؛ وذلك بسبب انضمام كثير من موظفي الري المصري. لكن متوسط المشتركين المواظبين على دفع اشتراكاتهم الآن لا يزيد في كل شهور السنة على ٦٠. وبتطور الزمن أصبح النادي القديم بعد عمران الخرطوم لا يليق بالمصريين كهيئة محترمة تريد أن تحافظ على كيانها وحسن سمعتها في وسط الهيئات الأخري، وذلك بحكم قدم مباني النادي القديم، حيث أصبحت كل الجاليات لها أندية وافية جدًّا. فبحكم هذه الظروف ومحافظة على كرامة مصر انتقل النادي لمكانه الحالي ابتداء من ٨ فبراير سنة ١٩٣٥، وقد خاطر أعضاء النادي بزيادة النفقات لضرورة المحافظة على سمعتهم.

كل الجاليات أصبح لها الآن أندية ملكًا خاصًّا بها، أما النادي المصري فداره مؤجرة وتتكلف شهريًّا حوالي ٢٠ جنيهًا، مع أن متوسط الاشتراكات في طول السنة لا

يزيد على ستة جنيهات مصرية شهريًّا. فمن أين للنادي أن يسد عجزه إلا بعمل رواية سنويًّا وبتبرعات الأعضاء، مع أن أغلبيتهم موظفون أكثرهم بماهية شهرية أقل من العشرين جنيهًا.

يطلب النادي أحد شيئين:

(أ) إعانة سنوية من الحكومة قدرها ٢٠٠ جنيه. ونظن أن مركز النادي المصري في السودان الذي هو رمز قومية مصر يستدعي اهتمام الحكومة بهذه الإعانة السنوية لحفظ مركز أبنائها في السودان في نظر الأجانب. وللحكومة سوابق في ذلك؛ فالنادي المصري في لندن استولى على إعانة سنوية قدرها ألف جنيه.

(ب) أو منح الحكومة النادي حوالي ألف جنيه هبة لشراء قطعة أرض حوالي ألفي متر لتبني للنادي دارًا لائقة، وليتمكن من إيجاد محل متسع للألعاب الرياضية.

على أن من الممكن جمع التبرعات من حضرات كبار الأعيان، ويكفي أن يعلم الكل أن النادي المصري بالخرطوم يحتوي على صفوة أبناء مصر بالسودان وأكبرهم مركزًا به. وغرض النادي هو التعارف والتآلف بين المصريين، والسعي لترقية شئونهم الأخلاقية والأدبية، ولتشجيع الألعاب الرياضية به وتشريف سمعة مصر. ويكفي أنه المحل الوحيد هنا الآن الذي يجعل العلم المصري بجوار الري المصري، ففي هدمه تنكيس للعلم، وفي بنائه رفع وإعلاء له.

هذه هي الملاحظات التي يتقدم بها سكرتير النادي ويرجو بإلحاح عرضها على الرأي العام في مصر، وهو واثق أن الحكومة والأمة لن يتأخر كل منهما عن تأدية واجبه لهذا النادي الذي هو بحكم وضعه في وطننا الثاني السودان أصبح رمزًا على قوميتنا وعنوانًا على كفاءتنا وكفى.

وسكرتير النادي يهيب بالحكومة والأمة أن تهتمَّا بأمر هذا النادي خشية أن يأتي وقت يختفي فيه النادي من الخرطوم بحكم تناقص عدد المصريين وبحكم تناقص عدد الأعضاء وعدم مقدرتهم على سد نفقاته، بينما الجاليات الأخرى بحكم كيانها كرجال مال تزيد أنديتها تحسينًا. وأظن زيادة الروابط الاقتصادية إن شاء الله تدعو لوجود نادٍ عظيم للمصريين. هذا هو نداء القاضي أفندي سكرتير النادي.

ونحن نضم صوتنا لحضرة أحمد القاضي أفندي ونرجو أن تمد الحكومة هذا النادي بإعانة.

وقد ألقى حضرة رئيس النادي كلمة ترحيب، وألقى فؤاد بك كلمة شكر، ثم أطربنا مطرب السودان المشهور الحاج «محمد أحمد سرور أفندي» بأغاني سودانية أُعجب بها الحاضرون، وقال فؤاد بك: إن الدكتور محجوب بجواري يهزني مرددًا صدى الأغاني في نفسه، فأطلب إليه أن يعبر لنا عن نشوته. فوقف الدكتور وصال وجال في الأغاني السودانية مؤكدًا أنها كالأغاني الأندلسية ومادحًا المطرب «سرور»، الذي جعلنا نقضي الليلة في سرور.

(٣-٦) نموذج من أغاني السودان[٥] التي أنشدها المطرب سرور

يا أنة المجروح	بالروح حياتك
... ...	(روح الحب)
وفيك يا ليل	معنى الجمال مشروح
للحب زناد في الجوف	زي الزناد مقدوح
منه الجبابرة تلبي	صوت بلابل المدوح
وتصاحبه النسمات	تفضل معاها تدوح
من نغمة الأشواق	ومحاسن الممدوح

* * *

سورية في السودان	بي حبي ليك تبوح
يا عنب جناين الشام	أتمنى منك صبوح
وأنشد فؤادى اتصال	بين الرياض مذبوح
وأرى الهلال في ظلال	تلك الخميلة يلوح

[٥] اقرأ أغاني سودانية الجزء الثاني من الكتاب.

* * *

الناس تحب رؤياك بالخاطر المطروح
يا ملفت الأنظار يا بسمة المقروح
وأنا أهدي لك الحب حب من فؤاد مجروح
حب الشحيح للمال حب الجبان للروح
من الوله للقاك دمعي الغزير مسفوح
ناقم على الأيام مع أن طبعي صفوح
أنا والخيال في جدال وأنت بي بذاك مفضوح
كل ما النسيم يغشاك زي الحديقة تفوح
أنا لو ضمنت رضاك أكون سعيد ممنوح
يا من تسر رؤياك تفرح تنسي النوح
تكسي النهار بجمال خديك جمال وضوح
منه الغزالة تقف في موقف المفضوح

* * *

ناير كحيل نعسان إنسان رقيق وجموح
ساحر العيون بي جمال في سواك ما ملموح
إن كان تميس بتميس وإن كان تموح بتموح
عدل الطبيعة جعل جور الحبيب مسموح

أغانٍ سودانية أخرى

أفكر فيه وأتأمل أراه أتجلى وأتجمل
هلالي الهل وأتكمل
تفاصيل قولي والمجمل سأصبر يا أخي إيه أعمل
إذا قلب الفتى تحمل مصائب الدهر وآلامه
أرى الصبر الجميل أجمل

تــرك أفــكــارى تــضــلــل بــعــذره الــبــيــه يــتــعــلــل
فــمــا شــرع الــهــوى حــلــل لــــقــــانــــا نــــهـــار ولا
فـــي الـــلـــيـــل إذا ألـــيـــل
صريح قانون هواك خوِّل هـلاكي وقـلـبـي مـا تـحـول
حـقـيـقـة ولـيـس تـتـأول صريع لحظات سيوف لحظك
وحـالـي إن شـفـت تـتـهـول
تـــذكــــر عــــهـــدنــــا الأول صــحــيــح الأيــام بــتــدول
قـريـب يـوم داك مـا طـول مـضـت أيـام ويـا حـلـيـلـي
بـــقـــت أحـــلام وتـــتـــأول

* * *

أنـا فـي بـسـاتـيـن الـزهـور بـيـن الـتـرائـب والـنـحـور
أشـرب مـعـتـقـة الـدهـور نداماي عصافير السحور
أنـشـدن بـالـصـوت الـجـهـور يـا شـادي مـن كـل الـبـحـور
قول للغريب تكفيك شهور وطنك جنان والفيه حور

* * *

اسـقـيـنـا يـا بـاهـي الـجـمـال وغـنـيـنـا يـاحـادي الـدلال
اروينـا مـن ريـقـك ثـمـال ودللـنـا فـي سـوقـك حـلال

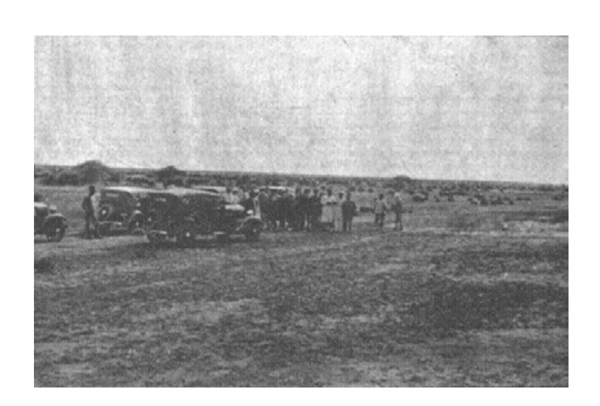
* * *

نوح يا حمام أذكى الشجون هب يا نسيم ميل بالغصون
وأنا عندي ما شيء كالمجون وغزل كنظم الدر مصون
صـبـحـنـا روضـة مـعـانـا دن وغزال مليح يا دوب شدن
حين غن دور والطير هدن ويـن أنـت مـن جـنـة عـدن
أنا بين نديم بالعود تغن وقلوب بعيدة عن الضغن
وكـئـوس صـبـبـنـاهـا ورغـن در أيـــهـــا الـــرشـــأ الأغـــن

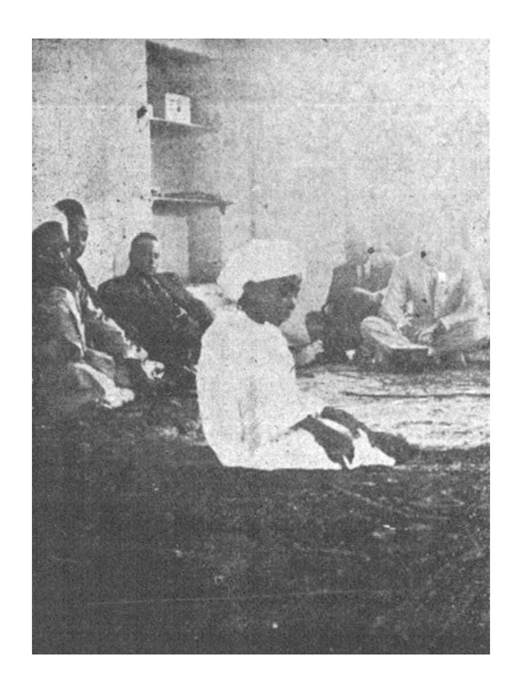
وهي للمرحوم الأستاذ خليل فرج، وهو على رأس المجددين في الأغاني السودانية.



يذبحون جملًا لمناسبة زيارة البعثة لقصر السيد عبد الرحمن المهدي بجزيرة أبا.



سيارات أعضاء البعثة في مزارع القطن في الجزيرة.



في مسجد بأم درمان.

(٤) اليوم الرابع — الخرطوم يوم الاثنين ١١ فبراير

(٤-١) زيارات متنوعة

مدارس الأقباط بالخرطوم ونجابة تلاميذها ووجوب إعانتها

زار بعضنا في الصباح مزارع مسيو كونتو ميخالوس.

بالخرطوم جمعية خيرية قبطية يرأسها حضرة الأب المحترم القمص يوحنا سلامة وكيل الشريعة القبطية بالخرطوم وراعي الكنيسة الأرثوذكسية، ومدارس خيرية، وهي روضة للأطفال، ومدرسة ابتدائية، ومدرسة ثانوية، ومدرسة ابتدائية للبنات في دور متجاورة.



سوق سودانية فيها أعضاء البعثة.

عند الساعة التاسعة من صباح اليوم زار أعضاء البعثة هذه المدارس فوقفت تلاميذها وتلميذاتها صفوفًا. ويلاحظ أن بناء مدرسة البنات مجاور لدار مدارس البنين، ومنفصل عنها، وقد رُفعت الأعلام المصرية، وهتف الجميع بحياة الأمير عمر طوسون وفؤاد أباظة بك والدكتور محجوب. ويتعلم نحو أربعين في المائة من التلاميذ مجانًا، وتقبل المدارس المسلمين والأقباط والسودانيين، وبها ٧٥٠ تلميذًا وتلميذة، وقد أُنشئت منذ ١٣ سنة، وهي المدارس المصرية النظامية الوحيدة في السودان التي تسير طبقًا لبرنامج وزارة المعارف ونتائجها المصرية مائة في المائة، ويدخلها أبناء المصريين وبناتهم في السودان؛ لأن مدارس السودان للسودانيين، فسدَّت هذه المدارس حاجة المصريين، ومكَّنت البقية الباقية منهم من المعيشة في السودان والاطمئنان إلى تربية الأبناء، وهي رمز للقومية المصرية، وقد منحتها وزارة المعارف ٤٠٠ جنيه بسعي فؤاد أباظة بك، وفي هذا العام منحتها ٦٠٠ جنيه.

وقد اقترحت على الحاضرين مطالبة الوزارة بزيادة الإعانة إلى ألف جنيه، واعتماد مبلغ لإنشاء دار جديدة وإرسال لجنة من وزارة المعارف لامتحان تلاميذها في الخرطوم، كما تفعل الحكومة الفرنسية بإرسال اللجان من باريس لامتحان كلية المدارس الفرنسية بمصر؛ إذ يحتمل ولاة أمور الطلبة في الخرطوم — وأكثرهم فقراء — ما فوق الطاقة للسفر إلى أسوان أو سوهاج لحضور الامتحان والعودة منه.

ولولا التضحيات التي بذلها الموظفون الأقباط وبعض التجار لأُغلقت أبواب هذه المدارس، التي تؤدي خدمة علمية وتشرِّف مصر حقًّا.

وكان يشرف على النظام حضرة نسيم سمعان أفندي ناظر المدرسة وهو مُربٍّ كفء، وعُطلت المدارس اليوم احتفاء بزيارتنا.

وبعد استقبالنا ألقى ألفريد قديس أصغر الكشافين سنًّا تحية كشافة مدارس الأقباط، وألقى الطالب رمزي أبادير من السنة الرابعة الثانوية كلمة ترحيب، وخطب حضرة الأستاذ عبد الحميد إبراهيم أفندي مدرس اللغة العربية بالقسم الثانوي مرحبًا، وتكلم عن مدارس الأقباط وعملها لأبناء المصريين في السودان؛ ومما قاله:

> لا بد أن تكونوا قد علمتم الكثير عنها وعما تقوم به من الخدمة لأبناء المصريين «الذين يبلغ عددهم في هذا العام ٧٥٠ تلميذًا وتلميذة»، وعن النجاح الذي لازمها منذ أُنشئت إلى الآن، بالرغم من العقبات التي اعترضت سبيلها، والصعاب التي حاولت أن تعوقها. وكانت فاتحة هذه العقبات تدبير المال للتأسيس والإنشاء، وخاتمتها تدبير المال أيضًا للمحافظة عليها والتقدم بها إلى الكمال، وبينهما كثير من العقبات المالية وغير المالية.
>
> أما تدبير المال للتأسيس وللمحافظة عليها في السنوات الماضية، فقد استطاعت أن توفق منه إلى الحد الذي أبقاها مرفوعة الرأس موفورة الكرامة، وكان الاعتماد في ذلك على الله. وعلى مساعدات فردية يجود بها ذوو الكرم من الموظفين والتجار والأعيان في السودان وفي مصر.
>
> وما إن جاءت أعوام الأزمة المالية حتى شعرت أنها لا بد لها من سند مالي تعتمد عليه لتستمر في تأدية واجبها على الوجه الأكمل، ولم يكن أمامها إلا أن توجه رغبتها هذه إلى الحكومة المصرية، فإن لهؤلاء الطلبة المصريين حقًّا عليها لا يقل عن حق زملائهم في جهات القطر المصري.
>
> ولقد حاولتْ مرارًا أن تتصل بوزارة المعارف المصرية لهذا السبب فلم تفز بطائل، حتى هيأ الله تعالى لها فرصة سعيدة كانت فاتحة خير وبركة ومبدأ يسر ورخاء.
>
> ذلك أن في مثل هذا الشهر من العام الماضي شرَّف هذه المعاهد بالزيارة حضرة صاحب العزة فؤاد بك أباظة، فما هو إلا أن سمع تلميحًا لحظ منه

حاجتها إلى مساعدة من مصر حتى بادر فأبدى ميله إلى السعي لدى ولاة الأمور لتنال نصيبها من إعانة وزارة المعارف.

وكان سعادته عند قوله، فمذ عاد إلى مصر لم يألُ جهدًا في السعي، وخُيل إلينا أنه لم يكن مجرد سعي عادي، بل كان جهادًا ضدَّ كثير من الصعاب. وقد أبت همته العالية أن يعود إلى السودان في رحلتكم المباركة قبل أن يزف إلينا بشرى نجاح مسعاه. ولقد سمعنا من جناب الأب الموقر القمص يوحنا سلامة مُنشئ هذه المدارس ومديرها أنباء هذا الجهاد مشمولة بالتقدير والاعتراف بالجميل، سمعنا وسمع الناس جميعًا هنا من جنابه آيات هذا التقدير والاعتراف بنبيل السعي منذ الساعة الأولى التي وصل منها بعد عودته من مصر في الشهر الماضي.

وذكر الخطيب أن المدارس سارت بخطى ثابتة، وبهدوء ورزانة نحو الأمام فأنشأت أول فرقة من فرق القسم الثانوي في بدء عهد الأزمة المالية سنة ١٩٣٠، وأنشأت في العام المدرسي الحالي السنة الرابعة الثانوية من القسم العلمي، وسيتم بذلك في العام الدراسي المقبل قسمها الثانوي بإنشاء السنة الختامية إن شاء الله.

هذا، ومما يزيدكم ثقة بمدارسكم هذه أنها فازت بثقة ولاة الأمور هنا، وصارت موضع إعجابهم وثنائهم، وشجعوها بحسن تقديرهم، وشهدوا بأن العمل فيها عمل جدي خالص لوجه الله والعلم، بفضل الإخلاص الذي يتجلى في إدارتها، وبفضل ما عُرف عن ناظرها من الغيرة على نجاح عمله، وما يبذله أساتذتها من جهد، وما يشعر به طلبتها من الواجب، وهم جميعًا يعلمون أنهم إنما يؤدون واجبهم نحو مصر ونحو النشء المصري في هذه البلاد.

ولا شك أن السمعة الطيبة التي تتمتع بها هذه المدارس في السودان وفي مصر وصلتها الجديدة بوزارة المعارف العمومية وتشجيع المصريين لها بالعطف والتقدير وبالزيارة كلما تيسر ذلك وثقة أولي الأمر في السودان بها، كل هذه عوامل طيبة تزيد قدمها ثباتًا، وتبعث دائمًا روح النشاط والجد في نفوس العاملين بها، وتدعوها إلى الأخذ بوسائل الرقي ما استطاعت.

ونوَّه بالشرف الذي نالته المدارس بزيارة سعادة بهي الدين بركات بك، وألقت تلميذات مدرسة البنات نشيد المدرسة.

وتكلم حضرة الأستاذ الشيخ محمد الخولي المدرس بمدرسة البنات مرحبًا بعبارات رقيقة وختم كلامه قائلًا:

إن رجال إدارة هذه المدارس، وعلى رأسهم جناب المدير المحنك القمص يوحنا سلامة، ومدرسيها ومدرساتها يتقدمهم حضرة الناظر المدرب وحضرة الناظرة المربية، بل تلاميذ وتلميذات تلك المدارس على مختلف أقسامهم ليسجلون لحضراتكم هذه الزيارة على صفحات قلوبهم بحروف من نور لا يمحوها كر العشي ومر الدهور.

وإن اغتباط الجميع بهذه الزيارة يجلُّ عن الوصف، ويعجز دونه التعبير. حياكم الله وبياكم، ونفع البلاد بكم وبأمثالكم آمين.

وألقت الآنسة المهذبة زينب محمد الجارم كريمة فضيلة قاضي قضاة السودان تحية مدرسة البنات قصيدة عامرة الأبيات مطلعها:

بدت في سماء الفخر منا كواكب وقد نُشرت أعلامها والمذاهب

وألقت الآنسة إيفون قديس الطالبة بالسنة الرابعة بمدرسة البنات أبياتًا رقيقة مطلعها:

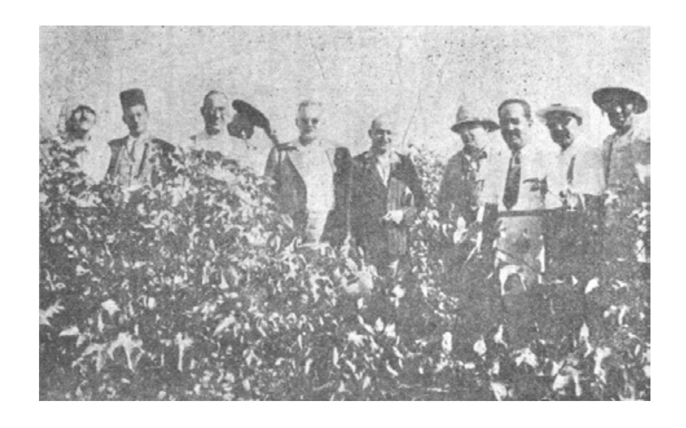
سادتي باقتي إليكم تُهدى في احترامٍ وعزةٍ وخشوع
للقاكم جمعتها باعتناءٍ من بساتين عطفنا في الربيع

وقدمت الآنسة هدى محمد السيد بقسم الروضة أبياتًا رقيقة لفؤاد أباظة بك.

عدد التلاميذ والتلميذات

وتدل إحصائية عدد تلاميذ المدارس وتلميذاتها بالنسبة لأديانهم على أن في قسم البنين ٢٤٣ مسيحيًّا و١٦٥ مسلمًا و١٥ من غيرهم، وفي قسم البنات ١٨٠ مسيحية و١٢٠ مسلمة و٢٠ من غيرهن.

فالجملة ٤٢٣ مسيحيًّا و٢٨٥ مسلمًا و٣٥ غيرهم. والمجموع الكلي ٧٤٣.



مزارع القطن في منطقة القاش.

(٤-٢) عند الحاكم العام

في الساعة العاشرة من صباح اليوم استقبل سعادة سير جورج استيوارت سايمز الحاكم العام للسودان حضرات رشوان محفوظ باشا، وفؤاد أباظة بك، وعبد الحميد أباظة بك، وعبد الحميد فتحي بك، ويوسف نحاس بك، وألفونس جريس بك، وعطا عفيفي بك، والسيد عبد المجيد الرمالي، والأستاذ علي شكري خميس، حيث مكثوا في حضرته ثلث الساعة.

ثم قابلوا مدير التجارة والاقتصاد، وتناول طعام الغداء على مائدة سعادته حضرات رشوان محفوظ باشا، وفؤاد أباظة بك، والسيد عبد المجيد الرمالي، وألفونس جريس بك، وعطا عفيفي، وعبد الحميد فتحي بك.

وعند الساعة الرابعة والنصف تناول جميع أعضاء البعثة الشاي في حديقة سراي سعادته بالخرطوم، وكان معهم مدير مكتب سعادته وكبار موظفيه وحضرات: المستر جيلان السكرتير الإداري، والمستر بل السكرتير القضائي، والمستر رجمان، والجنرال بتلر القائد العام، والسير روبرت أشبيلد مدير المعمل الكيماوي، والمستر كولدري، والماجور فوكي مفتش مصلحة التجارة والاقتصاد، والتجار كفوري وتوتنجي، والشيخ محمد أحمد البرير، والشيخ سيد أحمد سوار الذهب، والشيخ أحمد حسن بك عبد المنعم،

والمستر سندرس السكرتير الخصوصي، والبكباشي شارلتون ياور، والدكتور بريدي مدير المصلحة الطبية، والمستر بني مدير الأمن العام، وفضيلة الشيخ نعمان الجارم قاضي القضاة، وعبد القوي أحمد بك، ومصطفى أبو العلا أفندي، وعبد المنعم محمد أفندي، وآخرون.

(٤-٣) تصريحات الحاكم العام

صرح سعادة الحاكم العام لحضرات مندوبي البعثة اليوم بما يلي:

> أرجو أن تكونوا قد سررتم من زيارتكم ووقفتم على حالة البلاد، ولقد اكتنف رحلتكم حر شديد، واقتصرت زيارتكم على المناطق الزراعية والتجارية، ولكنكم لم تزوروا المناطق القاحلة غير الآهلة، وأرجو أن يكون من وراء هذه الزيارة خير للبلدين، وأن تنمو العلاقات الاقتصادية بينهما، لقد اجتهدنا في ترقية البلاد، وقد أنشأنا مدرسة كتشنر الطبية، وإذا كان عدد طلبتها قليلًا فسيزيدون شيئًا فشيئًا، وليس في السودان كله من الموظفين الإنجليز الملكيين إلا ١٤٠ موظفًا. وكثرة الوظائف في يد الوطنيين.

(٤-٤) حفلة تجار أم درمان

أقام تجار أم درمان مأدبة عشاء في الساعة الثامنة والنصف من مساء اليوم «الاثنين ١١ فبراير» بحديقة أنطونياديس بالخرطوم، حضرها أعضاء الغرفة التجارية بالخرطوم، وألقى حضرة مصطفى أبو العلا أفندي خطابًا رحب به بالبعثة، وألقى فؤاد أباظة بك كلمة شكر، وترك الكلام لحضرات محمد عبد الرحيم سماحة والسيد عبد المجيد الرمالي والأستاذ شكري خميس فتحدثوا في العلاقات الاقتصادية بين مصر والسودان.

عشاء تجار أم درمان

أم درمان مركز من مراكز الخرطوم، وموقعها من الخرطوم يشبه موقع الجيزة من القاهرة، وقد أسس أم درمان محمد أحمد المهدي الكبير، وجعلها العاصمة بدلًا من الخرطوم التي أنشأها محمد علي وجعلها عاصمة السودان حتى سقطت بين المهدية.

ولكن لا تزال «أم درمان» هي العاصمة الحقيقية للسودان؛ ففيها التجارة والتجار، وعدد سكانها ثلاثة أضعاف سكان الخرطوم أو نحو ذلك، وليس للخرطوم أهمية سوى أن بها سراي الحاكم العام ودواوين الحكومة ومكاتب البنوك والشركات.

أقام حضرات تجار أم درمان حفلة عشاء بحديقة أنطونياديس بالخرطوم تكريمًا للبعثة المصرية، حضرها حضرات المشايخ والأفندية تجار أم درمان: الشيخ أحمد حسن عبد المنعم، إبراهيم بك عامر، سيد أحمد الذهب، محمد أحمد البرير، عثمان صالح، صديق عيسى، هنري جيد، عبد الحميد المهدي، مصطفى أبو العلا، عبد المنعم محمد، والقوصي بابكر الشفيع، صالح داود، حسين خليل، عبد المسيح تادرس، واصف سليمان، حسن أبو العلا، محمد أبو جبل، حسين محمد، حنين، سليمان حاج حسن، نديم جانجي، عبد المجيد عبد المنعم، الأمين عبد الرحمن، حسين تربال، أحمد عثمان القاضي، عبد الرحمن أحمد، نعمان الجارم قاضي القضاة، الدرديري محمد عثمان، ميرغني حمزة، محمد علي شوقي، محمد الشنقيطي، عبد العزيز القباني، أحمد البرير، عبد العال أبو رجيلة، حسن الظاهر، سليمان منديل، السيد عبد الفاضل، أحمد عبد الله، بابكر جعفر، أحمد خليفة، عبد الكريم محمد، ومن الأجانب حضرات: مسيو كونتو ميخالوس، مستر فول مدير اللجنة الاقتصادية، مدير البنك الأهلي، مستر برامبل مفتش أم درمان، تريس مستر مفتش الخرطوم بحري، مستر سمث مدير جلاتلي، مستر ريد، مستر كوكسين (هرالد) مستر سركيس أزمرليان، رئيس المكتبة القبطية، رئيس النادي المصري، مستر اسبيرو، المستر جورج مورهج، قديس أفندي عبد السيد، الخواجة شكروغلو.

وقد ألقى السيد مصطفى أبو العلا الخطاب التالي، وألقاه نجله عبد السلام مصطفى أبو العلا مترجمًا بالإنجليزية. وآل أبو العلا من كبار تجار السودان نشأوا في إسنا وأقاموا في السودان شركاء للتجار عبد المنعم محمد ويونس أحمد وغيرهم، وشركتهم تصدر أكبر كمية من محاصيل السودان وتنافس التجار الأجانب.

كلمة السيد الرمالي

إخواني تجار أم درمان:

السلام عليكم ما جرى النيل في هذا الوادي يروي أرضنا ويشفي غلة نفوسنا بماء واحد، السلام عليكم يوم نسعى إليكم زائرين مجددين عهد الصداقة

وصلة الجوار، ويوم تأتون إلينا حاملين بشرى رقي السودان ورفاهية إخواننا وأبناء عمومتنا السودانيين الأكرمين.

لقينا في هذا النصف الثاني من السودان من عواطفكم المخلصة وعنايتكم الصادقة ما تغلغل في صدورنا واستقر في قلوبنا؛ ذكريات تزول الجبال وتبقى وتكر القرون والأجيال وهي خالدة على الزمان لا تتضاءل ولا تبلى. لم ينسَ السوداني أخاه المصري، ولا نسي الأخ المصري شقيقه السوداني؛ هي صلة النيل الواحد وأواصر البلد الواحد وروابط الدم الواحد، صلة الجنس وأواصر اللغة كذلك أراد الله، وبذا حكمت الطبيعة. لقد ربطنا الله فلن يفرقنا إنسان، ووحَّدتنا الطبيعة فلن تفصم هذه العروة الوثقي يد إنسان.

في سعادتكم سعادتنا، وفي تقدمنا ورقينا فخركم ومجدكم، لهذا جئنا نعطيكم ما عندنا من مال ورجال ومتاجر، ولنأخذ من عندكم محاصيلكم وخيراتكم.

كلانا يكمل صاحبه، وما قصرت مصر يومًا في القيام بواجبها نحو أختها السودان ولن تقصر.

ويقينًا أنكم ستبادلوننا حبًّا بحب ومودة بمودة وتضحية بتضحية. لقد أخذنا منكم بضائع بمئات الألوف من الجنيهات، وستسعى بعثتنا لتوطيد الصلات التجارية والاقتصادية بين القطرين التوأمين أكثر مما هي عليه الآن، فلتكن مصر إذن قبلة أنظاركم في التجارة والزراعة والعلم والأدب والاقتصاد.

ها نحن نمد أيدينا لتهز يدكم المبسوطة هزة الوقار الدائم، فليكن كل منا خبيرًا بأخيه وليدم هذا التعاون بيننا.

إن الآمال التى نعلقها نحن معشر التجار على هذه الرحلة عظيمة الفوائد، كما أن حسن الاستعداد الذي بدا ممن يهمهم الأمر في كل من البلدين، والاهتمام الذي قوبل به لتوثيق العلاقات الاقتصادية بين القطرين، يبشرنا بنجاح بعثتنا، ويدل دلالة صريحة على أن الله الذي خلق مصر والسودان بلدًا واحدًا قد كتب بيمينه القوية صفحة جديدة في تاريخ البلدين ستكون بإذن الله أمجد الصفحات.

خطبة الوجيه مصطفى أفندي أبو العلا

حضرات رئيس وأعضاء البعثة المصرية التجارية الزراعية المحترمة:

سادتي، إنها لمناسبة طيبة مباركة وفرصة مفيدة سانحة هذه التي أتاحت لي شرف المثول أمامكم لأشكر الله على سلامة وصولكم أيها الوافدون الكرام إلى الخرطوم عاصمة السودان.

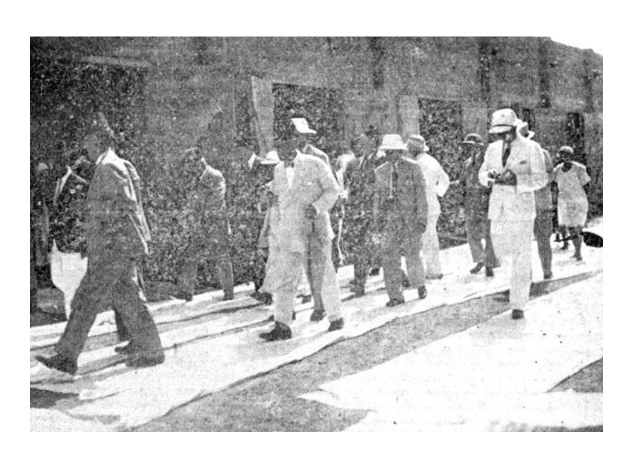
إني بالأصالة عن نفسي وبالنيابة عن تجار أم درمان أرحب بقدومكم الميمون إلى هذه البلاد، على أنَّا كنا — كما لا يخالفكم — نرقب مثل هذه الزيارة من زمان بعيد كما كنا نقرأه في صحف من اهتمامكم الزائد بالسودان، وها نحن نرى أنه من محاسن الصدف أن وفقتم إلى القيام بهذه الرحلة في هذا الوقت المناسب لتعرفوا بأنفسكم أحوال البلاد الاقتصادية والزراعية والتجارية وما له مساس بمصالح بلادكم.

ويقيني أن هذه الزيارة ستكون بمثابة حجر الزاوية لتقوية هذه الروابط، ولا شيء أحب إلى نفوسنا نحن التجار أكثر من الحصول على التسهيلات اللازمة لإيجاد أسواق صالحة لاستهلاك محاصيلنا، وأيادٍ نشطة خبيرة لحرث الصالح من أراضي بلادنا المتسعة المترامية الأطراف؛ فقط تجدون أن أسواقنا التي تستهلك كمية كبيرة من صادراتكم يغذيها تفاهمنا التجاري، كما أن كثيرًا من أراضينا تحتاج إلى خبراء منكم ينتجون فيها ما تحتاجه بلادكم، ورائدكم النشيط فؤاد بك أباظة لا بد وأن يكون قد أبان لكم ما فيه الكفاية من هذه الناحية بعد جولته هنا ودعوته إليكم في الشتاء الماضي، وإننا مدينون له بجهده ورغبته الصادقة في أنحاء الصلات الاقتصادية بيننا، ومهما قلنا عنه فإننا لا يمكننا أن نفيه حقه من الثناء والتقدير، فهو من طرفكم والمستر كونتو ميخالوس من طرفنا بصفته رئيس الغرفة التجارية بالسودان قد عملا بشعور متبادل في إيقاظ الروح الاقتصادية، وقد تحقق ذلك بفضل سعيهما فتشرفنا بكم في هذه الليلة بعد أن طفتم كثيرًا من أرجاء السودان وشاهدتم ما شاهدتم من خصب أرضها واتساع أسواقها وود أهلها، حتى صارت عندكم صورة حقيقية عنها، فلكم منا جزيل الشكر.

وإنه من حظ هذه البلاد أيها السادة أن سخَّر الله لها حاكمها العام السير سايمز في هذا الظرف الدقيق، فهو منذ وضع قدمه بها عامل في

تنمية مرافقها المختلفة فأنتج هذا الاهتمام تحسينًا محسوسًا في حالة البلاد العمومية، وكلنا يذكر بمزيد الشكر والإعجاب التسهيلات القيمة التي تكرم بها معاليه ورجال حكومته، والتي كان من شأنها أن تم هذا الاجتماع الموقر الذي نرجو من ورائه خيرًا للقطرين في القريب العاجل إن شاء الله.

وقبل أن أجلس أردد لكم ابتهاجنا برؤيتكم ووجودكم بيننا، وأؤكد لكم أنكم ستجدوننا عند حسن ظنكم بنا، والله الموفق فهو ولينا ونعم النصير.



الأعضاء أمام مصبغة إبراهيم عامر بك ببور سودان.

خطبة محمد عبد الرحيم سماحة

سادتي إخواني تجار أم درمان:

إن ما تنشده بعثتنا هو العمل على زيادة الروابط الاقتصادية بين بلادينا وقد بدأنا نتبين كل أمر يعود عليكم وعلينا بالخير والإسعاد، ولما كانت أم درمان هي العاصمة التجارية في السودان لذلك أرى نفسي سعيدًا أن أتبادل معكم الرأي وأطلب منكم تسهيلًا لما نقصده منكم من البحث، والوقوف على آرائكم الصائبة فيما ينفع البلدين.

سادتي، إن مصر سوق طبيعية لتجارة السودان، ولا ينكر ذلك أي إنسان، وقد نشطت تجارتكم مع مصر والفضل الكثير في ذلك لتجار أم درمان، وها هي إحصائية الجمارك تدل على أن مصر استوردت منكم ما يبلغ خمسًا وتسعين في المائة من جميع صادرات السودان عدا القطن والصمغ. فصادرات الأذرة بلغت في المدة من يناير سنة ١٩٣٤ إلى آخر نوفمبر سنة ١٩٣٤ إلى مصر ٨٧٠٠٠ سبعة وثمانين ألف طن، ولجميع البلاد الأجنبية ٢٣٥٠ ألفين وثلاثمائة وخمسين طنًّا، والفول لمصر ٥٦٨٨ طنًّا، وللبلاد الأخرى ٣١٠ أطنان، والسمسم لمصر ٨٩٠٧ أطنان، ولبلاد أخرى ١٢٠٠ طن، والمواشي ٢٢٠٠٠ رأس من البقر والغنم، وجميعها لمصر، كذا الشطة ٥٥٠ طنًّا جميعها لمصر، كذا الفاصوليا ٢٠٠٠ طن جميعها لمصر، كذا حب البطيخ ٤٠٠٠ جميعه لمصر، كذا الإبل وعددها ١٤٠٠٠ جميعها لمصر، كذا الجلود وصناعات مختلفة أغلبها لمصر. والقرض جميعه لمصر، وكذلك الحمص جميعه لمصر، حتى المسلي تصدَّر منكم إلى مصر بكميات وافرة. ومصر بلاد غنية بألبانها. أليس في ذلك أكبر برهان أو أظهر بيان!

إذن تعالوا إلى بيان صادراتنا لكم:

السكر والدخان والأسمنت والصابون ومانيفاتورة وبضائع مختلفة. أما السكر فأمره متوقف على اتفاق الحكومتين، ولم يكن استيراده منكم على الدوام، والأسمنت عشر الكمية لاستهلاككم، وتسعة أعشارها لخزان جبل الأولياء. المانيفاتورة كلها وردت إليكم من مصر، برسيم الترانسيت، وليس من صناعة مصر إلا قليل من المنسوجات. لذلك كله أسمح لنفسي أيها السادة أن أسائلكم ما هو السر في قلة الواردات لكم مصر؟ هل هذا راجع إليكم أنتم، أم إلى المضاربات التجارية من البلدان الأجنبية؟ لا أظن — والله — أن كل الأسباب ترجع إلى المضاربات الأجنبية، فلا زالت لدينا صناعات يجب عليكم أن تتكاتفوا على ترويجها في بلادكم.

فها هي منسوجات بنك مصر المختلفة تتوافق مع أذواقكم ومنسوجات أخرى؛ كالشرابات والفوط والفانيلات، وقد صُنعت بما أنبتته أرض مصر، وحاكتها أيادٍ مصرية. كذا الكبريت والأحذية والموبليات وكثير من الصناعات. أيضًا الأرز المصري وهو ألذ وأشهى من غيره.

ولو فرضنا أيها السادة أن هناك بعض زيادات في الأسعار لا أتردد في أنكم قادرون على تذليلها حتى نتضافر جميعًا على العمل على محوها أو تخفيفها؛ خصوصًا وأن جودة المصنوعات المصرية تزيد في لبسها على فرق السعر، وليس عندي ريب في أننا — بفضل الله — سنصل قريبًا إلى الغاية المنشودة، وهي زيادة الروابط التجارية.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أشيد بذكركم يا تجار أم درمان؛ فكم لكم على تجار مصر من أيادٍ كرام! فأكثركم يتصل بتجارة مصر من زمن بعيد، ومنكم كثيرون افتتحوا لهم فروعًا في القاهرة لجلب البضائع من مصر وبيع الحاصلات السودانية بها، وهؤلاء جميعًا اكتسبوا في مصر ثقتنا وحازوا منا إعجابًا لكفاءتهم التجارية، واتبعوا الصدق وحافظوا على العهد فكانوا رسلكم في التجارة أمناء أذكياء.

أيها السادة، أشكر لحضراتكم جميعًا خالص الشكر على تفضلكم بتهيئة هذه الفرصة السعيدة للاجتماع بكم، وليس في مقدورنا أن نظهركم على ما نكنُّه من الحب وعظيم الامتنان، والله وحده — جلَّت قدرته — يتولاكم عنا خير الجزاء.

وانتهت الحفلة عند الساعة العاشرة، ثم حضر بعض الأعضاء حفلات زفاف وشهدوا الرقص السوداني على الدربكة.

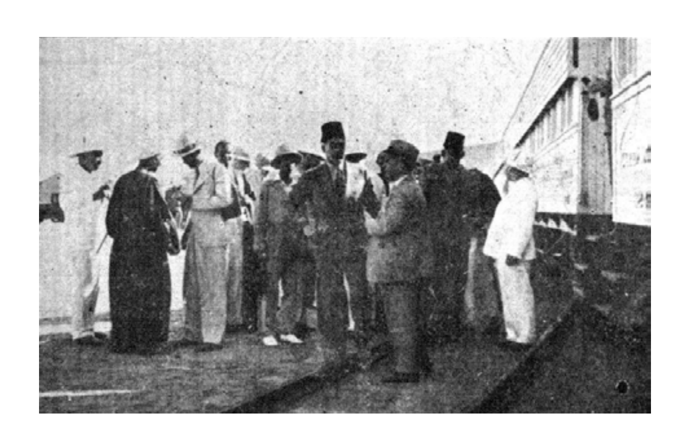
(٤-٥) في المكتبة القبطية

عند الساعة العاشرة والنصف من مساء اليوم أقامت المكتبة القبطية بالخرطوم حفلة سمر تكريمًا لأعضاء البعثة، وقد وُزعت المرطبات على الأعضاء. والمكتبة هي نادٍ أسسه إخواننا الأقباط بالسودان، وسموه «مكتبة» لأن عند إنشائه كان اسم «نادٍ» مرادفًا في السودان لاسم مكان للخمور والمقامرة.

وقد أُنشئت المكتبة سنة ١٩٠٧ ودارها ملك لها، وبها مكتبة ولها مجلس إدارة، ورئيسها المصري الغيور الأستاذ رياض مصري باشكاتب مصلحة الري المصري بالخرطوم. وأُلقيت الخطب المناسبة. والمكتبة مفتوحة للمسلمين والأقباط، ومحرم فيها الخمر والقمار والمناقشات الدينية، ومن خطباء حفلتها رئيسها، وعلي أفندي منصور

المدرس بمدارس الأقباط بالخرطوم، وناشد ميخائيل أفندي بالمساحة السودانية. وألقى محمد الخولي أفندي قصيدة وأعضاء المكتبة.

وقد أُنشئت مثلها هذا العام مكتبة قبطية بأم درمان.



القطار المخصوص لتنقلات البعثة.

(٥) اليوم الخامس — الثلاثاء ١٢ فبراير

(٥-١) زيارة مزارع عامر بك

توجهت مع لفيف من الأعضاء الساعة السابعة من صباح اليوم إلى مزارع حضرة الوجيه السيد إبراهيم عامر المولود في مصر، والذي اتخذ السودان مقامًا، وبه متاجره من الأقمشة والحاصلات والمصابغ ومزارعه.

زرنا مزارع مواطننا «عامر»، ومساحتها ٧٥٠ فدانًا زُرعت قمحًا وفولًا وبسلة على طريقة الدورة الثانية، فيُزرع جزء منها ويُترك بورًا للتشميس. وبها حديقة تنتج العنب التكعيبي والسلكي والبرتقالي، وأشجار الموالح، وقد أحضر لها البذور والشتل من مصر، ويروي الأرض وابور قوته ٧٥ حصانًا، ويجود الفدان بمحصول متوسطه أربعة أرادب، ويتناول الفلاح ٢٥ مليمًا في اليوم، وتتكلف زراعة الفدان ٢٢٠ قرشًا، ويدير الزراعة الشيخ متولي ونجله عبد الحميد.

وثمن الفدان في تلك المنطقة ٤ جنيهات بسبب قلة اليد العاملة وحاجة الأرض إلى السماد وآلات الري، وهو ما لا يطيقه سواد السودانيين، فليس شراء الأرض سهلًا، وليس المال موفورًا.

(٥-٢) اجتماع اللجنة التجارية

وقد عقد أعضاء اللجنة التجارية المختلطة المؤلفة من تجار بالبعثة وأعضاء بالغرفة التجارية بالخرطوم اجتماعًا قبيل ظهر اليوم.

وبهذه المناسبة ننشر فيما يلي قرار تأليف اللجنتين الزراعية والتجارية.

على أثر زيارة أعضاء البعثة للغرفة التجارية حصل اجتماع مبدئي بين أعضاء لجنة البعثة المصرية وأعضاء لجنة الغرفة التجارية السودانية، وقد رحب رئيس الغرفة التجارية السودانية بالبعثة المصرية، ورد عليه مقرر البعثة شاكرًا مجهود الغرفة التجارية.

ثم تقرر تأليف لجنتين مشتركتين تضم كل منهما بعض أعضاء البعثة وبعض أعضاء الغرفة التجارية، لتجتمع كل لجنة على حدة وتبحث المسائل التي تدخل في نطاق أغراض البعثة للوصول إلى ما ينمي العلاقات الاقتصادية بين البلدين لمصلحة الطرفين.

وتؤلَّف اللجنة من حضرات:

اللجنة التجارية عن السودان: مسيو توتنجي، مصطفى أبو العلا، مستر اسميث، مسيو شكروغلو.

عن مصر من التجار حضرات السادة: عبد المجيد الرمالي، محمد عبد الرحيم سماحة، علي شكري خميس، إسماعيل بركات بك.

عن السودان اللجنة الزراعية: مسيو كونتو ميخالوس، مسيو كفوري، مسيو أزميرليان، مستر ويليمز.

عن مصر من المشتغلين بالزراعة: فؤاد بك أباظة، ألفونس بك جريس، عطا عفيفي بك، عبد الحميد فتحي بك، عبد الحميد أباظة بك.

(٥-٣) حفلة خريجي المدارس بأم درمان

وأقام عند الساعة الرابعة والنصف بعد ظهر اليوم حضرات خريجي مدارس السودان بأم درمان حفلة شاي بناديهم تكريمًا للبعثة المصرية، تبادل فيها الأعضاء ورجال البعثة التهاني، وتبادلا التحيات، وأُلقيت الكلمات المناسبة، وأعلن فؤاد بك أن لجنة الإعانات برياسة سمو الأمير عمر طوسون قد أرسلت ٥٠٠ ج لتوزيعها في وجوه الخير لإخواننا السودانيين بالطريقة التي يرونها، فقوبل النبأ بالتصفيق والهتاف بحياة الأمير.

(٥-٤) حفلة الصحافة

أقام حضرة صاحب الفضيلة الشيخ أحمد عثمان القاضي رئيس تحرير «حضارة السودان» مأدبة عشاء الساعة الثامنة من مساء يوم الثلاثاء ١٢ فبراير تكريمًا لحضرات أعضاء البعثة.

وقد دُعي إلى الحفلة مسيو كونتو ميخالوس وحضرات السيد محمد أحمد البرير ومصطفى أبو العلا أفندي والسيد إبراهيم عامر من تجار السودان، ودُعي إليها من كبار المصريين حضرة صاحب العزة بهي الدين بركات بك وحضرة صاحب الفضيلة الشيخ نعمان الجارم قاضي قضاة السودان والشيخ أحمد محمد أبو دقن شيخ علماء السودان والسيد أحمد عبد الله وكيل المشيخة الميرغنية والشيخ علي المهدي ورجال الصحافة السودانية.

كلمة الشيخ عثمان القاضي

تكلم فضيلة الشيخ أحمد عثمان القاضي عن تاريخ الصحافة في السودان منذ بدأت جريدة السودان سنة ١٩٠٣ حتى الآن، فقوبلت كلمته بالتصفيق.

كلمة فؤاد أباظة بك

شكر حضرة فؤاد أباظة بك فضيلة الداعي، ونوَّه بفضله في إحكام الصلات بين مصر والسودان، وجهوده في تنظيم الرحلة ومرافقة البعثة، ثم ترك الكلام لمندوبي الصحافة المصرية، وأعلن أن لجنة الإعانات برياسة سمو الأمير عمر طوسون قد خصصت ٥٠٠ جنيه لمرافق السودان الخيرية، فقوبل الخبر بالهتاف لسمو الأمير والتصفيق.



أعضاء البعثة في سنجة عند آل أبي العلا.

كلمة الصحافة المصرية يلقيها المؤلف

سادتي. إخواني. فضيلة الشيخ عثمان القاضي

لقد خاطبتكم التجارة كثيرًا وتحدثت إليكم الزراعة دائمًا — نعم تحدثنا بلسان حضرات الكرام مندوبي التجارة والزراعة — فهل تستمعون للصحافة قليلًا وأخيرًا؟

ما أظنكم بحاجة إلى ترديد التجارة والزراعة في هذا الحفل، ولا في إعادة ذلك الأكلشيه الخطابي، وهو توثيق العلاقات الاقتصادية؛ فنحن نريد العلاقات غير التجارية أيضًا (ضحك وتصفيق). وبقي علينا نحن — بعد أن أدت التجارة والزراعة واجبهما كاملًا — أن نسجل النتائج، وأن نمحص الآراء، وأن نتمم العمل الذي بدأ، وأن نتوج الصرح الذي نشأ، وليس هذا المقام منبرًا لخطبنا؛ فخطبنا قرأتموها وقرأها الألوف من مواطنيكم وستقرأونها.

وما بنا من حاجة إلى أن نذكر لكم أننا قد ألفينا لغوبًا ونصبًا، وأننا احتملنا عناءً وتعبًا.

فلقد أدينا واجبًا قد نشعر أنه متضائل أمام ما قابلنا به مواطنونا الأعزاء أبناء السودان من ترحاب وحفاوة، ننحني احترامًا أمام مشاهدها، ويشاركنا مواطنونا في مصر في الإعجاب بها «تصفيق».

سادتي:

إنني أزعم، من فوق هذا المكان وبأعلى صوتي، أنني أجدر من الدكتور محجوب ثابت بالانتساب إلى السودان، وأحق من «فؤاد بك السوداني» بالانتماء إليه؛ فلقد عرفت السودان طفلًا، إذ كانت جريدتنا التي أنشأها ابن خالتنا المغفور له الشيخ علي يوسف والتي تعرفونها — جريدة المؤيد — كانت في طليعة الصحف المصرية اهتمامًا بالسودان وحوادثه.

فالدرس الأول الذي تلقيته هو محبة السودان، والاسم الأول الذي عرفته في الجغرافيا هو اسم السودان «تصفيق».

وقد نمَّى محبة السودان أستاذي الدكتور محجوب ثابت — الذي يلقبه مواطنوه السودانيون بأبي كريمة وأبي دقن ودكتور أسوان والسودان ونائب مينا البصل وكردفان — منذ أن كان الدكتور أستاذًا في الجامعة المصرية في الطب الشرعي.

لقد سألني بعض إخواني هنا: هل الدكتور محجوب طبيب في الأمراض؟ فقلت لهم: إن الدكتور محجوب طبيب في كل شيء — «تصفيق».

وصادفتني بيئة أخرى أحاطتني بمحبة السودان: بيئة جريدة الأهرام، وإني لأذكر في هذا المقام المرحوم مؤسس الأهرام بشارة تقلا باشا والفقيد الأستاذ داود بركات؛ فقد كان الفقيد صديقًا للسودان.

وليس هذا فقط، فمنذ أعوام حدثني عمي الشيخ عبد الجواد أحمد أبو صغير سر تجار بني عديات بأن لأسرتنا أبناء في السودان — وفي دنقلة — منذ قرون؛ إذ كانوا يتجرون مع السودان واتخذوه مقامًا، وتوغلوا منه إلى واداي وأوغندا ونيجيريا.

أي إنني عريق الانتساب وبعيد الأنساب إلى السودان. فهل بعد هذا يضارعني الدكتور محجوب ويزهو عليَّ «فؤاد بك السوداني»؟!

قال الله تعالى ﴿إِن تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ فها قد انتصرنا وفزنا فوزًا مبينًا.

وقال أيضًا: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾.

وقد لقيت رحلتنا الجزاء مضاعفًا.

سادتي:

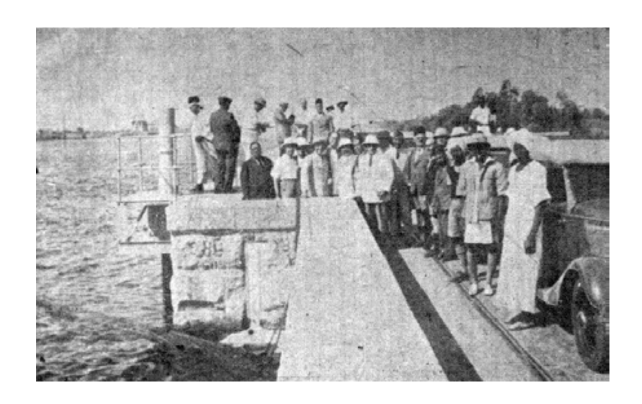
لقد كنا نود أن يكون بيننا حضرة الكاتب المبدع المعروف الأستاذ فكري أباظة رئيس تحرير المصور، حتى يتمتع بما سمعنا اسمه يدوي في أنحاء السودان؛ ولذا فهو جدير بأن يُدعى — كأخيه فؤاد بك — بفكري السوداني «ضحك».

وإنني لأرسل إليه تحية من هذا المكان.

ونذكر هنا حضرة صاحب العزة فؤاد أباظة بك؛ فقد أتاح للصحافة فرصة الاشتراك في هذه الرحلة الموفقة، ونذكر إخواننا التجار كونتو ميخالوس، والبرير، وأبو العلا، ومن أعرف ومن لا أعرف.

سادتي:

إني أحمد الله تعالى أن تحققت الآن أمنية المرحوم شريف باشا حين قال: «إذا نسينا السودان فهو لن ينسانا، وإذا تركناه فهو لا يتركنا.» والسلام عليكم ورحمة الله «تصفيق حاد».



أعضاء البعثة فوق خزان سنار.

(٦) اليوم السادس — الأربعاء ١٣ الجاري

(٦-١) عند جبل السليتات

في الساعة السابعة صباحًا توجه لفيف من أعضاء البعثة إلى جبل السليتات؛ لأن بعض الأعضاء كان مزمعًا السفر في الساعة الثامنة من صباح اليوم، وآخرين كانوا في توديعهم، وفريقًا آخر كان تعبًا أو لا يرى في زيارة الجبل شيئًا جديرًا بالمشاهدة؛ خصوصًا بعد ما لقيه من نصب عند زيارة خزان جبل الأولياء.[٦]

وكدت أعدل عن زيارة السليتات، ولكن غيرتي على رؤية ما في برنامج البعثة وأكثر، دفعني إلى زيارة السليتات، فزرته وها أنا أكتب عنه وأنفذ عزمي:

جبل السليتات مرتفعات من الأحجار الجرانيتية؛ فيوجد جبل السليتات رقم ١، وجبل السليتات رقم ٢، وجبل السليتات رقم ٣، كل منها خلف الآخر بمسافة قريبة، وارتفاع هذه الجبال قليل؛ فهو ٦٦ مترًا، وطول كل منها ٢٠٠ متر.

[٦] سافر الفوج الأول من البعثة صباح اليوم وهو مؤلف من حضرات إلياس عوض بك ويوسف نحاس بك والسيد أحمد أبو الفضل الجيزاوي وإسماعيل بركات بك والزيني ومستر سدني ساير والحناوي والأستاذ فخري الزق المحامي. وسافر «أحمد حسن قاسم» طائرًا.

وعند العزم على تنفيذ مشروع خزان جبل الأولياء، بحث المقاول جيبسون ومعه المقاولون من الباطن دنتمارو وساسو والحاج حسين فضل الله، المقاول الوطني الوحيد، في أغسطس سنة ١٩٣٢ عن أقرب الجبال الجرانيتية إلى موقع الخزان، لاقتطاعه واستعماله في بنائه، فوجدوا الكفاية في جبال السليتات.

وصلنا إلى هذه الجبال فوجدنا بها مئات العمال والآلات القاطعة، وخطًّا للسكك الحديدية والمقاولين والمهندسين يتقدمهم حضرة صاحب العزة عبد القوي أحمد بك، فحيونا جميعًا، وهتف العمال بحياة البعثة المصرية وعبد القوي بك.

وقد رافقنا حضرة صاحب العزة محمد بهي الدين بركات بك في هذه الزيارة، كما رافقنا في زيارة خزان جبل الأولياء.

عملية قطع الأحجار

تفصل أحجار الجبل قطعًا كبيرة جدًّا عادة، وذلك بأن يضرب العمال الحجر بالأجن فتحدث «خرومًا» يوضع فيها البارود «الجلينيت» والنتروجلسرين بنسبة ٦٢ في المائة من الأول، ويوضع في أسطوانة طولها ٩ سنتيمترات وقطرها ١٠، وبه فتيل يورى فيشتعل البارود بعد دقيقة ونصف أو دقيقتين، وتنفصل القطع الكبيرة عن جسم الجبل ولكنها تظل في مكانها. ويسمع لاشتعال البارود دوي كدوي القنابل، ويتطاير في أثناء ذلك قطع صغيرة من الحجر إلى مسافة ٢٠٠ متر، خطير هجومها، ولذا يتقيها العمال بالعدو بعيدًا عن الجبل عقب إشعال الفتيل. ولا تعمل «الخروم» اعتباطًا، بل يتخير المهندس موضعًا في الجبل به اتجاه معين يساعد على فصل الصخر أكثر من أي اتجاه آخر، ويسمى هذا الاتجاه «ماء الحجر». وعمق الخرم خمسة سنتيمترات أيضًا، ثم توضع في «الأخرام» خوابير منشورية ويدق عليها بالتناوب، وكل عشرة منها تحتاج إلى ساعة للدق عليها.

ويبلغ طول أكبر حجر مترين، وعرضه مترًا واحدًا بعد تهذيبه. وهناك ثلاثة «ونشات» يحمل كل «ونش» خمسة أطنان، ويعمل في الحجر المتقطع خرمان، ويحمل الونش الحجر من الخرمين. وتوجد رسوم للأحجار المطلوبة، فينظم العامل النحات الحجر طبقًا للرسم المطلوب.

ويقوم بالنحت عمال إيطاليون ومصريون وسودانيون، ويتقاضى الإيطالي أجرًا يوميًّا يتراوح بين المائة والعشرين والمائة والثلاثين قرشًا، والمصري من ٨٠ إلى

٩٠ قرشًا، والسوداني من ٥٠ و٦٠ قرشًا، وعدد النحاتين الإيطاليين ١٠٠ والمصريين ١٥٠ والسودانيين ٥، ويوجد ١٤١ صنفًا من الأحجار، ويوجد ١٥٠٠ عامل في المحاجر.

وجبل سليتات رقم ٢ يؤخذ منه «الدبش» ويصنع الخرسان من فتات الجرانيت المدقوق يرسل إلى الخزان حيث يضاف إليه أسمنت بنسبة: ١ أسمنت و٢ رمل و٤ مدقوق الجرانيت، ويوجد عند السليتات مستشفى به طبيب إيطالي وثلاثة مساعدون من كلية غوردون.

وتسير قطارات السكة الحديد الخصوصية بين السليتات إلى الخزان يوميًّا بمعدل ٣ عربات تحمل جرانيت و٤٠ عربة تحمل دبشًا.

ويشرف على العمال المقاولان ساسو الإيطالي والشيخ حسين فضل الله. وتسكن أسرة المقاول ساسو عند الجبل، وقد استقبلتنا أسرته وأخذت لنا صورة معها، والمقاول ساسو كثير العطف على العمال يواسي مرضاهم، وهو مع الشيخ فضل الله طالما اشتغلا مقاولين من الباطن لكبار المقاولين في بناء الخزانات والقناطر؛ كتعلية خزان أسوان، وقناطر نجع حمادي. ورأينا على بعض الدور؛ وخاصة على مكتب المقاول، ثلاثة أعلام: العلم الإيطالي والمصري والإنجليزي.

والقائمون بالإشراف على محاجر السليتات وخزان جبل الأولياء هم على الترتيب حضرات مستر فون لي المهندس المستشار للخزانات ومركزه لندن — إذ هو مستشار فني عالمي — ويحضر إلى الخزان مرة في كل سنة ولمدة شهر، ثم عبد القوي أحمد بك المهندس المقيم، فمستر أديسون وكيل المهندس المقيم، وحامد سليمان مساعد المهندس المقيم، وقد نُقل أخيرًا إلى قناطر أسيوط لمناسبة عملية توسيعها، ومستر أكلين وزكريا محمد ومستر بوين مدير أعمال، وإبراهيم زكي وأحمد توفيق طبوزاده قائمين بأعمال مديري الأعمال، وأحمد سعيد إبراهيم مفتش المحاجر، ومستر جامبلتون باشمفتش المباني، وعبد الحميد حسين مساعد مدير أعمال، ومسيو كاردياكوس رئيس قسم الرسم، ومستر ولن مفتش التصميمات، ومستر ملن مفتش الحدائق، ورياض علي ويوسف المراغي شقيق فضيلة الشيخ المراغي، ومحمد عبد الرحمن الغرابلي نجل شقيقة الغرابلي باشا، ومحمد عبد الرحمن عبد الباري ومحمد أحمد عتيبة ورياض علي منصور ومحمود حسن بكير وحكيم مهدي وعبد الخالق السكاوي وعلي عزت حمدي ومصطفى الزيات والسيد أحمد علام وأحمد الشرباسي، وغيرهم من الشبان المهندسين خريجي مدرسة الهندسة والمدارس الهندسية الكبرى في إنجلترا، ومدرسة الفنون والصناعات الملكية الكبرى في إنجلترا.

ويتناول الموظفون — فضلًا عن مرتباتهم — ٤٠ في المائة علاوة لمناسبة إقامتهم في السودان مع مساكن مجانية.

وتبلغ زنة المتر المكعب من الجرانيت ٢٦٠ كيلو جرامًا، وزنة أكبر قطعة مهذبة ٣ أطنان ونصف. أما الكتل الكبيرة التي يفصلها الديناميت عن جسم الجبل، فتبلغ الواحدة منها ١٥٠٠ متر مكعب، وزنتها خمسة آلاف طن.

وللعمال مساكن تُدعى «تُكُل» بضم التاء والكاف، وهي عشة مؤلفة من غرفة مستديرة يعلوها سقف مخروطي، وتُبنى من الطين والسقف من الخشب والقش، ويفيد في منع الأمطار والحرارة، ولكنه قد يحمل العقارب والثعابين التي تسقط ليلًا على النائمين.



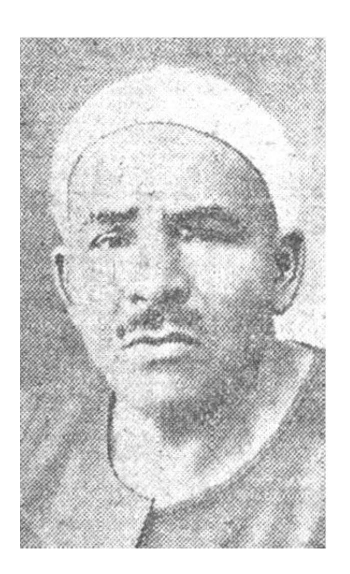
القطن في طوكر.

مأدبة إفطار

وقد أقام حضرة المقاول حسين فضل الله سرادقًا أعدَّ به مأدبة إفطار، جمعت ما لذ وطاب من الطعام، فجلسنا وتناولنا ما طاب لنا، وقد ارتجل حضرة الشيخ محمد عبد العاطي وكيل المقاول خطابًا ترحيبيًّا، وألقى عبد الله دسوقي أفندي ملاحظ المحاجر بالمحاجر قصيدة، ثم ألقى حضرة رياض أسعد أفندي باشكاتب المقاول خطابًا آخر.

وألقى المهندس عبد القوي بك أحمد كلمة قال فيها:

سمعتم حضراتكم أقوال الخطباء، وإني لأنوه في هذا المقام بحضرة المقاول المصري الوحيد هنا، وهو الشيخ الحاج حسين فضل الله، فهو مقاول العمال والمشرف على أعمالهم والمساعد للمقاول ساسو، وقد أبت مروءة الشيخ فضل الله إلا أن يقوم عنا بإعداد طعام الإفطار لكم، فتركنا له أداء ذلك الواجب الذي كان مُلقًى علينا «هتاف من العمال بحياة عبد القوي بك والشيخ حسين فضل الله» «تصفيق».



الشيخ حسين فضل الله المقاول بخزان جبل الأولياء.



الشيخ محمد عبد العاطي وكيل الشيخ حسين فضل الله.

استغلال المحاجر

ذكر حضرة المهندس محمد عبد الحميد متولي خبير المحاجر بوزارة التجارة والصناعة ما يلي عن المحاجر في مصر والسودان:

> يجهل الكثيرون اليوم ما يوجد في بلادهم من كنوز منحتهم الطبيعة إياها بلا ثمن، ونعني بهذه الكنوز الأحجار الجميلة المختلفة في الجبال والصحاري الواسعة، وإذا لم يتسع مجال هذا الحديث لنذكر لك بيانًا مفصلًا عن الأحجار في مصر فإننا نوجز من ذكر المناطق الغنية بالثروة الحجرية وتشمل: الجرانيت — البازلت — الرخام — السنيت — السكك — الألاباستر. ولكن حجر الجرانيت المصري من أحسن أنواع هذه الأحجار في العالم؛ حيث يمتاز بألوانه البديعة (الأزرق والأحمر بالزراق والأسود والأبيض المائل إلى الاصفرار)، ويوجد هذا الحجر بكثرة في منطقتي أسوان والشلال وما جاورهما والسودان، ويرى الأخصائيون أن له أهمية خاصة في بناء الخزانات ورصف الشوارع وكل ما يلزم لأشغال المعمار الحديث وأشغال الحفر والزخرفة وغيرها، كذلك يوجد البازلت في مناطق مختلفة؛ أهمها منطقة أبي زعبل التي تستغلها مصلحة السجون، وقد وجهت مصلحة المناجم عنايتها أخيرًا لاستغلال هذه المنطقة. أما أحجار الرخام والألاباستر فتوجد بالقرب من أسيوط وبني سويف وحول الأهرام بجهة (أجران الفول)، وهذا عدا الأحجار الجيرية والرملية، كذلك توجد أحجار (السماني الإمبراطوري) في جبل الدخان على شواطئ البحر الأحمر، وهي تعد أحسن أحجار من نوعها في العالم.

صناعة الأحجار قديمًا

ولقد بلغت صناعة الأحجار في العصور المصرية القديمة حدها الأقصى من الرقي والتقدم، ولا تزال هذه الصناعة الفرعونية شاهدة بخلودها وجمالها على ما كان لأجدادنا المصريين من ذوق وفن وقدرة بالغة على اتقان الصناعات الحجرية واستغلال المحاجر، ولا حاجة أن نذكر شاهدًا على ما نقول؛ حيث لا يوجد في العالم كله من لا يؤمن بعظمة الأهرام والمسلات والتماثيل المصرية القديمة.

ولقد كان حظ صناعة الأحجار واستغلال المحاجر في مصر بعد هذا العصر القديم التدهور والانحطاط؛ وذلك لعدة أسباب تاريخية واجتماعية لا مجال الآن لشرحها، إنما نقصر البحث على العصر الحديث، وهو كما ترى لم يرتفع فيه حظ هذه الصناعة عما كانت عليه في العصور الوسطى؛ أي عصور الانحطاط، وذلك يرجع إلى عدة أسباب:

(١) جهل كثيرين من الفنيين في مصر مزايا الأحجار المصرية المختلفة.
(٢) عدم وجود رءوس أموال كبيرة منظمة لاستغلال المحاجر أو تأسيس شركات لهذا الغرض.
(٣) طرق الاستغلال القديمة المتبعة إلى الآن في بعض المحاجر.
(٤) افتقار البلاد إلى الفنيين الحقيقيين الملمين بأطوار صناعة الأحجار واستغلال المحاجر عمليًّا. هذا إذا استثنينا بعض الجيولوجيين واختصاصهم المحصور في النظريات العلمية البحتة.

ومما يؤسف له أنه بالرغم من كثرة وجود المحاجر المصرية لا تزال مصر إلى اليوم تستورد الأحجار اللازمة للمشروعات المختلفة فيها من أوروبا، مع العلم بأن هذه الأحجار أقل في الجودة من الأحجار المصرية، بل أدعى إلى الأسف من ذلك أن بعض الأحجار المصرية ترسل إلى أوروبا ليجري التشغيل عليها في مصانعها من قص ونحت وصقل بما يتناسب مع استعمالها في الأشغال المعمارية المختلفة أو في الحليات وأشغال النحت والزخرفة، حيث لا توجد في مصر المصانع الفنية التي تقوم بهذا العمل. ولا يخفى ما تتكبده البلاد في هذه الحالات من التكاليف الباهظة في عمليات نقلها إلى أوروبا ثم استردادها منها.

ولا نكون مغالين إذا قلنا إنه لو أتيح إنهاض هذه الصناعات في مصر لكانت أوفر الصناعات المحلية ربحًا ونجاحًا؛ وذلك راجع إلى توفر خاماتها الجيدة من جهة، وتوفر الأيدي العاملة ورخصها من جهة أخرى.

ومحاجر الجرانيت في أسوان بالقرب من النيل، وإنشاء محطة لتوليد الكهرباء من خزان أسوان، وتوفر الأيدي العاملة في هذه الجهات، كل هذه العوامل كافية لإنشاء محطة لصناعة الأحجار في هذه المنطقة قد لا تضارعها محطة أخرى في العالم؛ ولا سيما إذا عرفنا أن الخامات الحجرية في مصر من أجود خامات العالم، مما يؤكد لها الرواج الكبير في الخارج ويحقق لمصر من هذه التجارة ملايين الجنيهات.

كذلك نذكر أن من أهم العوامل في تنشيط تجارة الأحجار سهولة المواصلات بين الأمم المتعاملة في هذه التجارة، ولا يخفى أن مركز مصر الجغرافي بين الشرق والغرب سيجعل حتمًا لها المقام الأول في تصدير الأحجار إذا نشطت صناعتها فيها؛ وخصوصًا إلى الأمم الشرقية التي تستورد الأحجار من أوروبا بأموال طائلة بينما الأحجار المصرية أجود منها بكثير، وستكون بطبيعة الحال أقل نفقة في نقلها وتصديرها.

ولكن مما يثير الدهش أن تعلم أن صناعة الأحجار تكاد تكون معدومة الآن في مصر كصناعة محلية، على أن الأجانب قد عرفوا قدر هذه الصناعة فاهتموا ببعض جوانبها الرابحة في مصر أكثر من المصريين؛ ولذلك فقد احتكروا كثيرًا من الأعمال الحجرية الكبيرة التي تدفع فيها الحكومة آلاف الجنيهات مع العلم بأنها تقوم أولًا وآخرًا على الأيدي المصرية التي تعمل بأقل الأجور بينما يربح الأجنبي كل شيء.

على أن مصر فوق كل هذا تستهلك من الأحجار الواردة من الخارج لأعمال الرصف وأشغال العمارات المختلفة وغيرها بما يزيد ثمنه على المائة ألف جنيه سنويًّا. هذا في الوقت الذي لا يوجد في مصر أكثر من الأحجار والمستعدين للقيام باستغلال المحاجر.

وقد حاولت مصلحة التجارة والصناعة أن تنهض يومًا بصناعة الأحجار، فسعت لدى وزارة المعارف لإنشاء قسم خاص للجرانيت في مدرسة أسوان الصناعية، فتم ذلك في سنة ١٩٢٩.

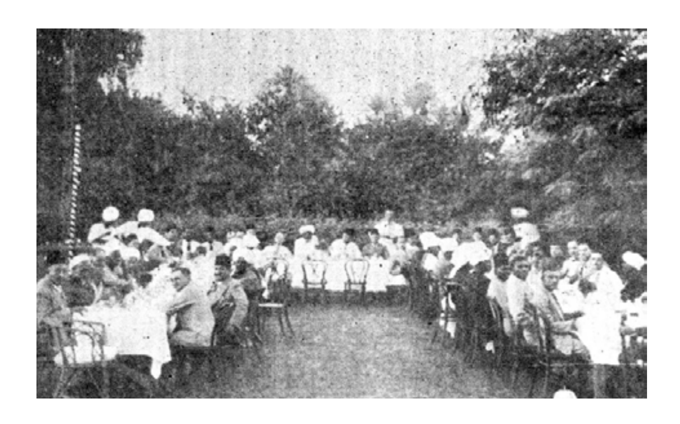
وتسعى ممالك السويد والنرويج وفنلندا لعمل (اتحاد دولي) لاحتكار سوق الأحجار في العالم؛ وذلك راجع لاحتياج العالم كله إلى أحجار هذه الممالك لانفرادها بوجود أحسن أنواعها فيها مما لا يعادلها في ذلك غير محاجر القطر المصري.

فلعل ذلك حافز لمصر أن تشاطر هذه الأمم في نهضتها باستغلال المحاجر والاهتمام بالصناعات الحجرية حتى يكون لها النصيب الأوفر في هذا الاتحاد الدولي المشار إليه. ا.هـ.

كلمة فؤاد أباظة بك

ثم ألقى حضرة فؤاد أباظة بك كلمة شكر للخطباء وقال: إننا فخورون أن نرى مواطننا الغيور الشيخ فضل الله وحضرة وكيله محمد عبد العاطي، ومن جهة أخرى قد رأيتم يا إخواني مسيو ساسو وأسرته الكريمة، تسكن هنا بعيدًا عن العمران، ولا يشكون شيئًا، بل هم سعداء بهذه المعيشة. وهكذا الجد والصبر، فليكن هذا مثالًا لنا وعظة «تصفيق».

ويُشرف الشيخ حسين فضل الله على ٣٢٠٠ من عمال المحاجر والخزان.



حفلة الشاي في نادي كسلا.

(٦-٢) في آثار أم درمان

عند الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم زرت آثار أم درمان، حيث موقعتها الشهيرة، وجامع السيد محمد أحمد المهدي الكبير، وقد هدمت القنابل قبته، ومنزل خليفته عبد الله التعايشي، وزرت آثاره وآثار السيد المهدي الكبير وغوردون وجيش الدراويش.

والجامع يشغل فدانين من الأرض الفضاء المسورة بحائط ارتفاعه متران، وغير مُسقَّف — وكان ذلك في عهد الحركة المهدية — وجامع المهدي مغلق، وقبة ضريح المهدي مهدمة.

وقد شهدتُ عربة السلطان حسين سلطان دارفور المهداة إليه من الملكة فيكتوريا، ويجرها ستة من الجياد، استولى عليها الدراويش، وهي قسمان: قسم لركوب السائق، وهي مركبة على عجلتين والعربة نفسها ملحقة بالمركبة، وعربة غوردون، وهي تشبه الدوكار الذي به الأربع العجلات، وكان الخليفة التعايشي يستعمل هذه العربات أحيانًا، وأحيانًا أخرى يركب الهجين أو الجواد، ورأيت سلالًا لحمل الذرة والدخن واللبن، ورأيت أعلامًا مختلفة للمهدية، وهي تشبه تقريبًا أعلام الصوفيين، ومنها علم كُتب عليه

(لا إله إلا الله، محمد أحمد المهدي خليفة رسول الله). ورأيت جببًا، وهي تشبه جبب بعض المجذوبين في الموالد والأضرحة المصرية، ورأيت مطبعة حجر كانت تُطبع عليها المنشورات والكتب، وتديرها عجلة كعجلة الساقية إنما من غير إطار، وسيوفًا وحرابًا، وآلات لسك النقود كان يتولى السبك فيها رجل اسمه إلياس عبد الله من مصر، بُترت ساقه اليمنى ويده اليسرى، ونقودًا؛ ومنها عملة إنجليزية ومصرية وسودانية مكتوب فيها «ضُرب في أم درمان»، وعملة فضية من ذات العشرين والعشرة والخمسة قروش، وخوذًا، ودروعًا وتروسًا وطاقية «أم جرينات».

وهناك لوحة كُتب عليها عدد الجيش الذي استرد السودان وهو:

١٧٦٠٠	عدد الجيش المصري.
٨٢٠٠	عدد الجيش الإنجليزي.
٤٨	عدد قتلى الجيشين في واقعة أم درمان.
٩٧٠٠	عدد قتلى الدراويش.
٥٠٠٠	أسرى الدراويش.

ومنزل الخليفة التعايشي يشبه دور صغار القرويين عندنا، وقد بناه حمدي النوار بإشراف الإيطالي بترو، وهناك بيتان للتعايشي: الأول بني سنة ١٨٨٧، والثاني سنة ١٨٩١.

راتب المهدي

ورأيت «راتب المهدي» وهو كتاب للدعاء كالأوراد ويتلوه أنصار المهدي، جاء فيه ما يلي:

> أستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة، فإني ضعيف عند القيام بها وعن حفظها أقل من ساعة، فيا من إليه الضراعة ويا من بيده كل شفاعة احفظ وديعتي بفضلك، بحرمة من أنت له في الشفاعة، حتى لا تكون لي شبهة ولا وهم ولا أدنى حِطَّة عن كمال نور التوحيد والإيمان، يا واحد يا رحيم يا منان، فأنت الله الملك الديان اللطيف القادر الرحمن. استجب دعوتي،

ولا تجعل ذلك مني مجرد قول ليس له منك مكان، يا من هو عند المنكسرة قلوبهم، فإني منكسر القلب ليس لي من ألتجئ إليه في طلبي هذا إلا أنت.

والكتاب مكتوب بالخط الفارسي المقبول.
وهناك صور لكتب المهدي التي كان يرسلها؛ ومنها الكتاب التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله المولى الكريم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله مع التسليم، وبعدُ، فجزيل السلام من عبد ربه الواثق بمولاه محمد المهدي بن عبد الله.

إلى أحبابه وأعوانه في إقامة الدين أمير محكمة دار الفقير إليه عبد الصمد ابن عمنا أحمد شرفي ومن معه من الإخوان أنصار الدين. أحبابي فجزاكم الله عن دينه خيرًا حيث توفقتم لبيان الحكم من الله ورسوله في أهالي تلك الجهة، وقد أصبتم، أصاب الله لكم الحق، فإن المؤمن لا يحل له أن يُقدم على أمر حتى يعم حكم الله فيه، فها كذا كونوا يا أنصار الدين، فأما من جهة سماع الدعاوي والتحديد بالنسبة إلى العربان المسلمين لأمر المهدي، فسماع دعاويهم من وقت تسليمهم ومجاهرتهم بالعداوة الترك وخروجهم من طاعتهم، ولا يعلم ذلك لنا إلا بواسطتكم، وتحقيق ذلك منوط بكم؛ لأنه يعلم الشاهد ما لا يراه الغايب. فدققوا فيه لتعرفوه جيدًا؛ سواء كان وافق تاريخهم لوقعت الشلال المحددة من اثني عشر رجب الماضي سنة ١٢٩٩ أو قبله أو بعده، وإن لم يتضح فيه لكم وقت معين بعد إجهادكم فاحملوه على الوقت المحدد من وقعت الشلال، فتسقط الدعاوي التي قبل ذلك ما عدا الأمانة والدين ومال اليتيم والهوامل كما التاريخ الذي في علمكم وما يكون في إيقاعه شدة حرج ومشقة على المسلمين من الأمور الشاقة الشاغلة عن الدين، فارفعوه إلينا لننظر ما فيه صلاح المؤمنين، فهذا التفصيل بالنسبة للطائفة المسلمة المهدية. وأما الطائفة التي مع الكفرة، فتحديد وقتها من يوم تسليمها، وأما بالنسبة للترك ومن معهم، فمن خرج قبل يوم قتل الجردة الذي هو في أربعة محرم، فإن كان خرج مصدقًا بالمهدية مسلمًا لها فلا يغنم لديتي بل يُعطى حقه تمامًا، وإن كان منكرًا، وإنما خرج لأجل الخوف، فإن ماله جميعًا لبيت المال. وأما أموال المجاسنات التي بين العربات فكلها غنيمة؛ لأنها بعدم عين صاحبها صارت لبيت المال.

فبذلكم تدوم نعمتكم وتغلبون أعداءكم. فكونوا أحبابي لله، فمن كان لله كان الله له وبعده السلام.

٢٦ ربيع ثانية ١٣٠١

ختم
لا إله إلا الله محمد رسول الله
محمد المهدي بن عبد الله. ا.هـ. بصيغته الأصلية

وعند حصار الخرطوم كان الميجر جنرال تشارلس غوردون باشا يكتب شيكات تستعمل كنقود. وهذه نسخة منها:

«عشرون غرش ميري»
هذا المبلغ مقبول ويجري دفعه من خزينة الخرطوم أو مصر بعد مضي ستة شهور من تاريخه.

٢٥ أبريل سنة ١٨٨٤

الختم
غوردون

وكانت تصدر الشيكات بقيم مختلفة.

(٦-٣) في المعهد العلمي

وفي الساعة الأولى بعد الظهر زار أعضاء البعثة المعهد العلمي بأم درمان، وهو يشبه الجامع الأزهر في دراسته على الطريقة القديمة غير النظامية، واستقبلنا حضرة صاحب الفضيلة الشيخ أحمد محمد أبو دقن شيخ علماء أم درمان وشيخ المعهد وفضيلة الشيخ أحمد أحمد أبو القاسم هاشم وكيل المعهد. ويجلس الطلبة جماعات في الجامع، ومع كل جماعة مدرسها. وعدد الطلبة ٧٠٠ من جميع أنحاء السودان، وعدد المدرسين ٢٥، ومرتباتهم تدفعها الحكومة، فراتب شيخ العلماء ٥٣ جنيهًا، ووكيله ١٧، والمدرسون

من أربعة جنيهات إلى عشرة. وللطلبة والعلماء بدل جراية ثلاثون قرشًا شهريًّا، ولما كثر عدد الطلبة كان منهم من لا يحصل على البدل، فهزت الأريحية حضرة الوجيه إبراهيم عامر بك التاجر الأكبر فتبرع لمناسبة زيارة البعثة المصرية بمبلغ مائة جنيه لفقراء الطلبة وأرسل شيكًا في الحال إلى فضيلة شيخ العلماء. وتبرع كل من حضرات السيد سماحة ومحمد حسين الرشيدي ومحمد حسن قاسم بتوريد الكتب الناقصة للمعهد.

تبرعت لجنة إعانة السودان برياسة سمو الأمير عمر طوسون بمبلغ ٢٢٥ جنيهًا.

شخصيات المتبرعين

وبهذه المناسبة نذكر أن السيد إبراهيم عامر كان مصريًّا اشتغل بالتجارة في السودان منذ أربعين عامًا، وافتتح محلًّا للأقمشة ولبيع المانيفاتورة، وله فروع في السودان ومصر، وأنشأ مصبغة في بور سودان عمالها من الأسيوطيين تصبغ في اليوم الواحد أكثر من ألفي ثوب من القماش ماركة «الجَبَنة» بفتح الجيم والباء.

وأما محمد حسن قاسم أفندي فإنه مع شقيقه أحمد حسن قاسم أفندي الذي اتصل بالبعثة في الخرطوم طائرًا، وعاد للقاهرة طائرًا أيضًا، فإنهما ولدا المرحوم حسن قاسم الذي اشتغل بتجارة المحاصيل السودانية طول حياته، وعلَّم ولديه محمد وأحمد أن يكونا تاجرين، وأن لا يعوِّلا على وظائف الحكومة، فضرب المثل النادر في هذا الباب، وقد انتهزا فرصة رحلة البعثة فكانا من أعضائها وعقدا صفقات كبيرة، وكان وجودهما مشجعًا للأسواق والتعاون التجاري في السودان، ولوالدهما بمكتبة المعهد كتب باسمه أهداها للمعهد. رحم الله هذا الوالد الغيور الكريم.

وأما السيد محمد عبد الرحيم سماحة فهو شاب نشيط من فارسكور طموح، وله — مع آله أسرة سماحة المعروفة في فارسكور — معاصر للسمسم والزيت، وقد عقد صفقات تجارية بمبلغ ستة آلاف جنيه، وكان تجار السودان يعرفونه من زمن بعيد، وكان من مفاخر البعثة أن يقرن هؤلاء الكرام القول بالفعل في باب التعاون الصحيح بين مصر والسودان.

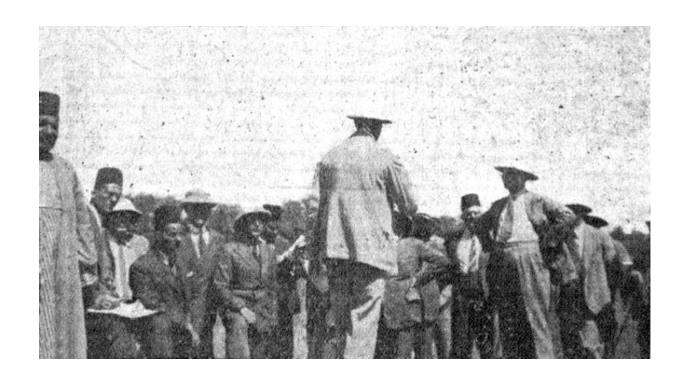
(٦-٤) مأدبة السيد البرير



الوجيه علي البرير رئيس النادي السوداني بالقاهرة.

وأقام حضرة الوجيه الشيخ محمد أحمد البرير مأدبة غداء في الساعة الأولى والنصف بعد ظهر اليوم بداره بأم درمان تكريمًا للبعثة. وآل البرير من أم درمان الجعليين، ولهم متاجر في مصر والسودان، وقد جعل شقيقهم على البرير أفندي محل إقامته في مصر يتجر فيها لحساب إخوته والتجار السودانيين.

وقد ألقى نجل السيد البرير خطابًا ممتعًا، وتكلم فؤاد أباظة بك شاكرًا ومعانقًا الشيخ البرير ومتبادلًا معه اللقب: البرير المصري وفؤاد السوداني، وألقى الدكتور محجوب ثابت كلمة من جوامع كلمه.



أعضاء البعثة يستمعون إلى محاضرة زراعية في واد مدني.

(٦-٥) عند شيخ العلماء

عند منتصف الساعة الخامسة مساءً اليوم أقام فضيلة الشيخ أحمد محمد أبو دقن شيخ علماء السودان بأم درمان حفلة شاي تكريمًا لأعضاء البعثة، ألقيت فيها الخطب المناسبة، وألقى فؤاد أباظة بك خطابًا أشار فيه إلى تعرفه في الإسكندرية بفضيلة الشيخ وما وجده فيه من الصراحة كالسيف القاطع، وأبان عذر اللجنة وضيق وقتها في عدم تمكنها من إجابة الدعوات؛ فقد تبين أن العلماء والوطنيين عاتبون على البعثة، إذ كانوا يريدون أن ينزل أعضاء البعثة ضيوفًا عليهم في بيوتهم ولا ينزلون بالفنادق، وقد عدُّوا هذا سُبَّةً لهم، فأبان فؤاد بك الظروف التي دعت إلى ذلك، ورضي الشيخ وانتهى العتاب.

خطاب محمد بهي الدين بركات بك

صاحب السيادة الحسيب النسيب السيد عبد الرحمن المهدي
سادتي من آل هاشم، سادتي وإخواني:

جرت العادة عندما يفكر الواحد منا في السفر إلى جهة بعيدة أن يسائل نفسه عما سيجده في البلاد التي يقصدها، وماذا سيكون عليه أهلها، ويسعى إلى الاتصال ببعض المعارف والأصدقاء الذين تكون لهم صلات في تلك البلاد

حتى يقلل من وحشة الغربة ويجد له العون إذا ما اشتد به الأمر، ولست أنكركم أن هذه كانت حالي عندما فكرت في زيارة السودان؛ فمنذ أن سنحت لي الفرصة أن أكون حرًّا من العمل في فصل الشتاء تردد على خاطري أن أقوم بواجب الزيارة نحو السودان، وفعلًا نفذت العزم في العام الماضي فجئت إلى وادي حلفا، ومع أني كنت على مقربة من الخرطوم فقد رجعت إلى مصر معتذرًا لنفسي بعدم وجود الرفيق الذي يؤانسني في وحدتي، ولكني مع ذلك صممت على إتمام تلك الزيارة في هذا العام مهما كانت الظروف، وأخذت أبحث عن رفيق فلم أُوفَّق، وجعلت أسأل من يعرفون السودان وأنا خجل أن أقول إنهم قليلون من يعرفون السودان وأهله ونواحيه، وأخيرًا اتخذت الأهبة وحضرت إلى الخرطوم فلم ألبث بعد أن نزلت من القطار في المحطة حتى وجدت من يستقبلني ويرحب بي، فعلمت أني لست بالغريب، بل أنا بين أهلي وإخواني، وذهبت إلى الفندق فوجدت من يسأل عني ومن يكرمني فنسيت أني تركت مصر، فأنا بين أهل وعشيرة؛ لغتهم لغتي، عوائدهم عوائدي، مجاملاتهم، طريقة تعارفهم، آدابهم معاملاتهم كلها جميعًا هي ما اعتدت عليه وما رُبِّيت فيه، فلم نلبث أن تلاقينا حتى اندمجت الروح بالروح؛ فهي كالكهرباء تتصل بمجرد أن تتلاقى، بل أكثر من ذلك لقيت تكريمًا وإعزازًا وعطفًا لا أجدهما في مكان آخر. زرت المعهد، زرت المدارس، رأيت المصانع والمتاجر، فإذا المعهد هو الأزهر بعينه في طريقته وفي دروسه وفي ثقافته، وإذا المدارس هي هي مدارس مصر التي أعرفها. مررت في الشارع فوجدت ما ألقاه في مصر من عطف واشتراك في الشعور، فتحققت أن الناحية الروحية التي تربط السودان ومصر موفورة متمكنة، وأن المتاعب والصعاب التي كنت أظنها ستعرض لي لم تكن إلا وهمًا. وصدقوني إذا قلت لكم إنني لو عرفت ذلك من قبل لزرت السودان من أعوام.

هذا من جهة العلاقات الروحية، وهي بحمد الله متوفرة تمام التوفر، وهذا ما نغتبط له أشد الاغتباط؛ فإن الغاية العظمى للإنسانية هي نشر روح المحبة والإخاء والسلام في العالم.

أما العلاقات الاقتصادية من تجارية وزراعية، فإني لا أريد أن أعتدي على حق زملائي أعضاء البعثة فيها، وسأترك لهم أمر بحثها اليوم وغدًا ليدرسوها دراسة فنية مفيدة.

أيها السادة، منذ أن وطئت قدماي هذه الديار وجدت مودة واحترامًا وإخاء لم يفارقني لحظة من لحظات إقامتي حتى كدت أنسى أن أفكر فيما عليَّ من واجبات في مصر.

وأما أنتم يا آل هاشم، فعلمي أنكم عرب، وأن عادة العرب أن يشكر المضيف ضيفه لا أن يشكر الضيف مضيفه؛ ولذلك فإني أمسكت عن الشكر لأني عاجز عن إيفاء حقكم في الشكر والسلام. «تصفيق».

هدية عبد الحميد المهدي

وبهذه المناسبة نذكر مشكلة الدعوات التي استحال تلبيتها؛ فقد أراد الشيخ عبد الحميد المهدي التاجر أن يدعو البعثة إلى مأدبة، فلما وجد ذلك مستحيلًا عمد إلى صنع عصي من الأبنوس والسن أهدى إلى كل عضو عصًا باسمه، فكان كيِّسًا، وكان حسن الذوق، فله منا الشكر. وعبد الحميد المهدي تاجر في مصر والسودان.

(٦-٦) في نادي الضباط الوطنيين

وفي الساعة السادسة مساءً زار الأعضاء نادي الضباط الوطنيين بأم درمان، وقُدِّمت لهم المرطبات والفاكهة والجَبَنة (بفتح الجيم والباء) ومعناها «القهوة»، وكان في استقبالهم صاحب العزة القائمقام حسين طاهر بك رئيس النادي.

وبهذه المناسبة نذكر أنه منذ خروج الجيش المصري من السودان سنة ١٩٢٤ أُلغيت المدرسة الحربية بالخرطوم، وأصبحت هناك قوة تسمى قوة الدفاع عن السودان مؤلفة من جنود غير نظاميين، وأُحيل أكثر الضباط السودانيين إلى المعاش؛ فقد كانوا يعملون في الأورط التاسعة والعاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة.

وبقوة الدفاع أقسام: قسم المهندسين — الحملة الميكانيكية، أورطة العرب الشرقية (بكسلا)، أورطة العرب الغربية «الفاشر»، أورطة خط الاستواء «منجلا»، الهجانة «كردفان»، السواري «شندي».

وتتألف الأورط من بلوكات، ويختار الضباط «من تحت السلاح»؛ أي بترقية البلوكات أمناء.

وعدد أعضاء النادي ١٤٥ ضابطًا منهم ٥٥ في الخدمة.

والأصل في إنشاء قوة العرب أنه كان بكسلا عند احتلال الإيطاليين لها في الثورة المهدية عساكر «باشبوزق» يلبسون جببًا وسراويل، فلما أُعيدت كسلا إلى حكومة السودان الحالية أبقت هذه القوة، وعممتها.

والاعتماد في الدفاع عن السودان هو للسيارات والطيارات المسلحة.

تدفع مصر ٧٥٠ ألف جنيه للحكومة السودانية سنويًّا باسم قوة الدفاع عن السودان، ولكن هذا المبلغ يساعد ميزانية حكومة السودان في دفع رواتب الموظفين المدنيين فضلًا عن القيام بنفقات قوة الدفاع.

وهناك جيش إنجليزي صغير في السودان أورطتان نصفها في جيبت، حيث الهواء معتدل، ونصفها بالخرطوم، وينتقل كل نصف بين هذين الموقعين كل ستة أشهر، وكم أسفت على الظروف التي جعلت هؤلاء الضباط السودانيين الشجعان عاطلين لا تنتفع بهم بلادهم.

(٦-٧) في كلية غوردون

زرت مساء اليوم كلية غوردون لمناسبة اجتماع الجمعية الأدبية لطلبة المدرسة حيث تكلم الدكتور محجوب ثابت في فوائد الألعاب الرياضية في الصحة وفي علاج بعض الأمراض، وقد أعجبني ذكاء الطلبة، فقد سأل أحد نجباء الطلبة الدكتور محجوب ما يلي: يا حضرة الدكتور قلت لنا إن الألعاب الرياضية تفيد في علاج الأمراض وفي الصحة وإطالة العمر، فكيف تعلل أن كبار الرياضيين من أقصر الناس أعمارًا، وأكثرهم أمراضًا؟ فأجاب الدكتور: إن هؤلاء هم الرياضيون المحترفون، فمنهم مثلًا من يحمل أحمالًا ثقيلة من الحديد فيضغط دم الدورة الدموية على القلب بأكثر مما يلزمه، وقد يتسبب من ذلك أمراض القلب والصدر والموت فجأة، وكلامي منصب على الرياضة المعقولة، لا على الرياضة العنيفة المأجورة.

وكان الطلبة يلبسون الجلاليب والعمم، وكان بعضهم جالسًا على الأرض، وعلمت أن هذا مباح، وشهدت فعلًا بعض خريجي المدرسة الموظفين يلبسون ذلك وهم في مكاتب الحكومة؛ كالبريد والتلغراف في الأقاليم وكالسكك الحديدية. ومدير المدرسة هو مستر ويليمز، وكان يشرف على محاضرات الجمعية الأدبية مستر ليوبولد مدرس الإنجليزية والتاريخ، ومعه حضرة عبيد عبد النور أفندي مدرس التاريخ والتربية —

وهو شاب مثقف كفء — فكان يدير المناقشات بمهارة، ومعهم إسماعيل الأزهري أفندي مدرس الرياضة، والشيخ جلال الدين مدرس العربية.

وعدد طلبة الكلية ٥٠٠، أكثرهم بالقسم الداخلي الذي أجرته ٢٨ جنيهًا في السنة و١٥ جنيهًا للطلبة الخارجين، ويتناولون بالكلية الإفطار والغذاء. وبالكلية ١٤ فصلًا و٢٢ مدرسًا من الوطنيين و٨ من الإنجليز، وتعطى الدروس بالإنجليزية، التي يجيدها الطلبة، والتي هي لغة المحاكم المتغلبة ولغة الدواوين على الغالب، ومن أقسام الكلية: القسم العلمي، ويرشَّح خريجوه للالتحاق بكلية كتشنر الطبية وقسم المحاسبين، وقسم المترجمين، وقسم المعلمين، وقسم القضاء الشرعي. ودراسة الطب لمدة أربع سنوات في كلية كتشنر.

(٧) اليوم السابع يوم الخميس ١٤ فبراير

الري المصري في السودان

في السودان مصلحة عامة للري ومفتش عام للري اسمه مستر نيوهاوس، في العقد السادس من عمره، عالم جليل ومهندس بارع يتحلى بخلق سامٍ، واختصاص هذه المصلحة هو الإشراف على مصادر النيل والقيام بالأبحاث العلمية والفنية في سبيل زيادة ماء الري في مصر حتى تصبح جميع الأراضي البور خصبة التربة. ومستر بوتشر هو مفتش الري في الجنوب.

زرنا الترسانة المصرية على النيل، حيث بها البواخر المصرية التي تسافر إلى أعالي النيل إلى بحر الجبل والرصيرص ومنطقة السدود، لمسح الأراضي ومعرفة تسربات فروع النيل واتصالاتها لإمكان إنشاء ترعة أو خزان لحجز الماء ونقله إلى مصر، بدلًا من ضياعه في الأخوار وتشرُّبه في الرمال وتبخُّره في الجو.

وقد أنشأت وزارة الأشغال مستعمرة للري بها مساكن الموظفين وورش للنجارة والحدادة والبرادة والكهرباء، وقد تكلف إنشاء المستعمرة ١٦٠ ألف جنيه، فضلًا عن نفقات جديدة اقتضاها إنشاء ورشة جديدة للحدادة ومصنع لتوليد النور، وتستعمل البواخر في انتقالات المهندسين والموظفين من الخرطوم إلى أعالي النيل؛ لأن الطريق الوحيد إلى تلك المناطق هو النهر أو الجو. ويعمل في الري المصري ثلاثون مهندسًا، وهناك مساعدون ومساحون. وكان يرافقنا في زيارة الترسانة والحوض والبواخر

والورش ومنازل الموظفين حضرة أحمد فهيم أفندي مدير الأعمال، وحضرة أحمد سلطان أفندي المفتش الإداري المنتدب في مهمة التحقيق بمخازن الري المصري.

وبعد الزيارة واستقبال الموظفين وتناول المرطبات، زرنا حضرة الميجر نيوهاوس المفتش العام للري المصري في السودان في مكتبه، حيث رحب بنا وألقى محاضرة على ضوء الخرائط والرسوم عن الري المصري في السودان، فقال إن الأبحاث الجارية في سبيل وضع مشروعات لزيادة ماء الري الوارد من أعالي النيل إلى مصر، تجرى في منطقة موحشة غير مأهولة وغير متمدينة ينتشر بها الناموس الجالب للملاريا، والمواصلات إليها شاقة، وعمل المهندس والرسام أشق لأنه قد يضطر إلى قضاء شهرين وحده في صندل، معرضًا للأمراض والحشرات والوحوش والتماسيح والرياح والحر، وينقل إليه الماء والزاد برفاصات، هذا إلى تمهيد الطرق لمسير السيارات وإلى ضرورة وجود الميكانيكيين لإصلاحها إذا فسدت. والنقل بالبواخر المصرية أكثر اقتصادًا من النقل بالبواخر الأخرى فضلًا عن عدم الخضوع لتحكمات البواخر الأخرى، وتسير البواخر المصرية حتى منجلة. وقد كان البحث عن حالة منابع النيل جاريًا قبل الحرب، ولكنه أُوقف بسببها ثم أُعيد بعد انتهائها. وهناك مستشفى الحكومة السودانية تشترك الحكومة المصرية في نفقاته. وقد تمكن الري المصري من مسح منطقة واسعة من الأراضي. وقد مُسحت منطقة كاملة بالطائرات.

وتقع مكاتب الري المصري قبلي الخرطوم في منطقة تُدعى «شجرة غوردون» وحقيقتها «شجرة محو بك» أحد حكام السودان، على بعد أربعة كيلو مترات من وسط الخرطوم، ويقال إن السبب في تسميتها أن غوردون كان يأوي إلى تلك الشجرة ويتناول تحت ظلها الواسع الإفطار والشاي. وقد تهدمت الشجرة وبقي جزعها وبقي اسمها.

(٧-١) في محاكم السودان

بعد عودتنا من زيارة شجرة غوردون توجهت لزيارة حضرة القاضي محمد صالح الشنقيطي قاضي المحكمة الجزئية المدنية بالخرطوم، وهو من خريجي قسم القضاء الشرعي في كلية غوردون، وتلقى دروسًا في الإنجليزية، واشتغل مساعد قاضٍ، ثم عُين قاضيًا مدنيًّا وهو على فضل كثير.

وبهذه المناسبة ننشر شيئًا عن القضاء في السودان.

قبل المهدية: كان الحكم مباشرًا؛ أي إن الذي يتولاه هم المأمورون والمديرون ورؤساء الأخطاط بغير انتداب أشخاص معينين أخصائيين يتولون القضاء.

في عهد المهدية: كان يتولى القضاء قضاة شرعيون وموظفون، يشبهون المديرين سلطة قابلين للنقل والعزل. وكانت أحكامهم تستأنف أمام مجلس القضاة في أم درمان، ويؤلف من عشرة قضاة يرأسهم قاضي القضاة. على أن المرجع الأخير كان للمهدي ثم لخليفته عبد الله التعايشي.

وكان هؤلاء القضاة يفصلون في جميع المنازعات ما عدا المسائل التجارية، فهي من اختصاص المجلس التجاري المؤلف من عشرة تجار. وكان «وهبي» وهو مصري، وكان مأمورًا في بربر قبل الثورة المهدية يفصل في الجرائم الصغيرة.

بعد استعادة السودان: كان الحكم مباشرًا؛ أي يتولى القضاء المديرون والمأمورون في المسائل المدنية والتجارية. والقضاة الشرعيون في مسائل الأحوال الشخصية.

وفي سنة ١٩١٩ أُنشئت سلطة المشايخ «العمد»، فأصبحوا يحكمون في بعض القضايا، وتطور هذا النظام فأُنشئت «محاكم أهلية»، ويرأس المحكمة الأهلية ناظر القبيلة أو الخط أو من يعينه الحاكم العام، ويكون معه أعضاء يختلف عددهم بحسب البلاد. ويؤلف هيئة المحكمة الجالسة من ثلاثة أعضاء على الأقل، ويكون للرئيس نائب ينوب عن الرئيس، ويصادق الحاكم على تعيين الأعضاء الذين يرشحهم ويوصي عليهم مدير المديرية. وليس للمحكمة الأهلية مكان خاص لانعقادها، ويكون لديها دفاتر تدون فيها أرقام القضايا وتواريخها والجريمة واسم المشتكي وأسماء الشهود وقراراتها، واختصاصها هو الحكم بالسجن لغاية سنتين وغرامة قدرها عشرون جنيهًا.

المحاكم القروية: وفي المدن محاكم قروية «قضاء عرفي» واختصاصها الحكم بالسجن إلى ثلاثة أشهر وبغرامة قدرها خمسة جنيهات.

ولرئيس المحكمة الأهلية وحده سلطة إجازية بأن يحكم بالسجن إلى ثلاثة شهور وبالغرامة إلى خمسة جنيهات، وقد تقرر إلغاؤها وتعميم المحاكم الأهلية.

المحاكم المدنية: توجد محاكم نظامية مدنية كالمحاكم الأهلية بمصر، وتُرفع إليها الدعوى بعريضة تُلصق بها ورقة تمغة قيمتها ثلاثة قروش، ويُذكر بها ملخص الدعوى والطلبات، وتُقدم العريضة في اليوم التالي بالجلسة الساعة التاسعة صباحًا، وفي هذه الجلسة يصرح القاضي للمدعي بالسير في الدعوى فيحصِّل رسمًا عليها بنسبة ٥ في المائة من قيمتها ابتدائيًّا، واسمها «رسوم شكوى»، و٥ في المائة أخرى واسمها

«رسوم سماع». وتحدد جلسة لسماع الدعوى، ويكون تحديدها بعد أسبوع على الأقل من تاريخ دفع الرسوم.

وهناك محكمة جنائية «محكمة بوليس». ولغة المحاكم النظامية هي: الإنجليزية والعربية؛ غير أن الغالب أن تكون الأحكام وإعداد المحاضر بالإنجليزية.

تنفيذ الأحكام النظامية والشرعية: يكون تنفيذها بطريق عريضة من جديد، ويؤخذ عليها رسم ٥ في المائة فيصدر القاضي أمره بالحجز أو إحضار المدين. وفي الغالب يأمر القاضي بالحجز. وينفذ الأوامر «المحضر» وبعد ذلك يُنفَّذ الحجز في سبعة أيام. والبيع يكون بناء على طلب الدائن، وبعد إعلان تاريخ البيع في موعد ١٤ يومًا في حالة بيع منقولات، وشهر في حالة العقارات، ولا يجوز بيع العقارات إلا بأمر من المدير.

وتنفذ المحاكم المدنية النظامية الأحكام الشرعية بالنفقات وتسليم الأولاد.

وتؤلف محكمة الاستئناف من ثلاثة قضاة، وأكثر القضايا الجنائية يفصل فيها رجال الإدارة، وتقدم الاستئنافات في أحكامها للحاكم العام. وفي الجنايات في المحاكم الكبري تُستأنف الأحكام أمام المدير بواسطة السكرتير القضائي، وسلطته تماثل سلطة وزير الحقانية في مصر.

المحاماة: عدد المحامين في الخرطوم خمسة، أحدهم إنجليزي، واثنان يونانيان، واثنان مصريان. ولا يجوز للمحامي الغريب أن يترافع في السودان إلا بعد تصديق من الحاكم العام، وتصدر المحاكم النظامية أحكامها بسرعة والإجراءات سهلة، والعدالة فيها مكفولة أكثر من المحاكم الأهلية والقروية السودانية.

وقد أُنشئت مدرسة للحقوق ولائحة محاماة بالخرطوم في سبتمبر سنة ١٩٣٥، وهناك مجالس تأديبية ومحاكم عسكرية، ويصدر مجلس الحاكم العام القوانين، وترخص القوانين للسكرتير القضائي والمدير إصدار لوائح وأوامر بقيود معينة. وهناك مكتب لتسجيل الأراضي.

(٧-٢) عند آل هاشم

أقام حضرة صاحب الفضيلة الشيخ أحمد أحمد أبو القاسم هاشم وكيل مشيخة المعهد العلمي بأم درمان وآل هاشم الكرام مأدبة غداء اليوم الساعة الأولى بعد الظهر. وآل هاشم أهل علم ودين منذ قديم الزمان، وعميدهم المغفور له الشيخ أحمد أبو القاسم كان شيخًا لعلماء السودان، كان أول مؤسس للمعهد العلمي الذي عاش ربع قرن؛ أي

منذ سنة ١٩١٠. وقد لبى الدعوة حضرات أعضاء البعثة وسماحة السيد عبد الرحمن المهدي وفضيلة قاضي القضاة وفضيلة المفتي والعلماء والتجار: السيد أحمد محمد البرير والسيد إبراهيم عامر، ويونس محمد، ومصطفى أبو العلا. وقد ذبح آل هاشم عشرين خروفًا وقدموها في الموائد لحمًا حنيزًا معه ذيول الخراف، وقد أُلقيت الخطب المناسبة.

(٧-٣) شاي قاضي القضاة

وأقام فضيلة الشيخ نعمان الجارم قاضي قضاة السودان وفضيلة المفتي حفلة شاي في الساعة الرابعة والنصف من مساء اليوم، حضرها سماحة السيد عبد الرحمن المهدي والعلماء والتجار.

(٧-٤) استقبال السيد الميرغني

وفي الساعة السابعة من مساء اليوم زار حضرة صاحب السيادة السير السيد علي الميرغني أعضاء البعثة في فندق الجراند أوتيل، فاجتمع به حضرات الأعضاء وتبادلوا مع سيادته شتى الأحاديث، وانصرف سيادته مشيعًا بالإكبار والاحترام. هذا وللسيد الميرغني أتباع كثيرون جدًّا في مصر والسودان والحجاز وأفريقيا، وهو قليل الخروج غير محب للمظاهر، على أنه إذا زار كسلا ودنقلة وغيرهما من بلاد السودان خرج الأهالي للتبرك به، ولثم راحته، وله نفوذ عظيم، ولسيادته مواقف كريمة نحو مصر ونهضتها وأمانيها، وهو قليل الكلام كثير الصمت.

(٧-٥) محاضرة المؤلف

رغب إلى المؤلف بعض الشبان المثقفين في السودان من خريجي كلية غوردون أن يلقي محاضرة في ناديهم.

وعندما وصلت إلى دار النادي رأيته مزدحمًا بأكثر من ألفي نفس في فنائه الواسع، ورأيت الشوارع المجاورة مزدحمة، وقوبلت بترحاب وتصفيق، واستغرقت المحاضرة ساعة ونصف الساعة تقريبًا، وكان موضوعها «الرحلات البعيدة وآثارها لمناسبة رحلة البعثة المصرية في السودان»، تكلمت فيها عما للرحلات من فضل في نشر العلوم

وتدعيمها، وأن العلم لم يتقدم إلا بفضل رحيل العلماء، وضربت الأمثال على ذلك في التاريخ العربي والمصري والأوروبي، وفي عضوية بعثتنا نفسها، وما للرحلات من أثر في تعليم النظام واحترام المواعيد وتعويد السرعة؛ إذ السرعة من مقومات هذا العصر؛ فكما أن المواصلات كالسيارة والطائرة أصبحت سريعة، فقد وجب أن يكون الإنسان في حياته سريعًا، وما لها من نتائج في جلاء الهموم وتوسيع الأفق وحل المعضلات السياسية والشخصية والاجتماعية، وفي نشر الدعوة للأوطان والمعتقدات، وفي سيادة الديموقراطية برفع التكليف بين أعضاء البعثة الواحدة على اختلافهم في العلم والثروة والجاه والمزاج والسن والبيئة، والتعرف إلى البلاد والأشخاص ونشوء الكشافة ورحلات الطلبة وتبادل الأفكار، والتعود على التقشف، والصراحة، وواجب المرتحلين في تدوين المذكرات وأخذ الصور. ثم ختمت المحاضرة بما يلي:

سادتي:

إن النيل قد جرى في وادٍ وجعل من مصر والسودان بلادًا متكاملة، وجعل من المصري سودانيًّا ومن السوداني مصريًّا، ولكن الاسم لم يتغير والمعنى لم يتحور، بل مصر والسودان كلمتان مترادفتان ولفظان متقابلان. والآن ونحن على أهبة السفر ونوشك أن نقول كلمة الوداع، لن نكون مخلصين لكم ولن تكونوا مخلصين لنا إلا إذا رحلتم إلينا ورحلنا إليكم.

فنستودعكم الله ونحن إخوان متحابون، وأبناء قد تباعدوا أو أبعدتهم الحوادث، ولكن لهم مرجعًا ولهم أبًا؛ فمرجعهم وأبوهم هو النيل، والنيل دائمًا، والسلام عليكم ورحمة الله. ا.هـ.

خطاب الأستاذ عبد الرحمن طه

ووقف حضرة الأستاذ عبد الرحمن علي طه سكرتير النادي وألقى خطابًا تفضل فيه على المؤلف بكلمات صاغها أدبه وكرمه، ووصف المحاضرة بأنها كانت في أجزائها رحلات من موضع إلى آخر، وعد إلقاءها فرصة سعيدة للحاضرين استأهلت «رحيلهم» من دورهم البعيدة والقريبة لسماعها. والأستاذ عبد الرحمن في مقدمة خطباء السودان فصاحة وبلاغة وأدبًا.

خطاب السيد عبد الرحيم سماحة

وارتجل حضرة السيد محمد عبد الرحيم سماحة خطابًا تكرم فيه على المؤلف بشيء كثير من الإكرام، ثم خاطب مواطنينا السودانيين فامتدح فضائلهم وتحدث عن التجارة بين مصر والسودان.

(٧-٦) حفلة راقصة بالنادي اليوناني



سوق الذرة والسمسم في الأبيض.

وأقام نادي كونتو ميخالوس وزملائه اليونانيين حفلة راقصة توديعًا لأعضاء البعثة لمناسبة سفرهم في اليوم التالي، حضرها العشرات من كبار موظفي السودان الإنجليز وأعيان الجاليات الأجنبية مع عقيلاتهم. وانتهت الحفلة بعد الساعة الأولى من منتصف الليل.

(٨) اليوم الثامن — الجمعة ١٥ فبراير

توديع الخرطوم

اليوم انتهت أيام البعثة المصرية في السودان، فنحن نغادر الخرطوم ونترك حضرات أعضاء الجمعية الزراعية الملكية ينجزون بعض الأعمال الزراعية. نغادر الخرطوم والسودان آسفين متأثرين؛ ولقد بكى الدكتور محجوب ثابت وبكى المودعون وتبادلنا العناق. السودان قد ملك من نفوسنا المكان الأول، واحتل في قلوبنا الركن الركين، فلن ننساه، وسنعود إليه كلما سنحت الفرصة.

(٨-١) قبور الضباط المصريين

لمناسبة الجمعة زارت البعثة المصرية قبور الضباط المصريين في أم درمان، ونثرنا الورد والزهور وقرأنا الفاتحة ووزعنا الصدقات وودعنا رفات مصري استشهد أصحابه في سبيل مصر والسودان، فاستأهلوا الذكرى والتخليد.

(٨-٢) في دار السيد المهدي

في الساعة التاسعة والنصف صباحًا زرنا دار حضرة صاحب السماحة السير السيد عبد الرحمن المهدي محيين شاكرين حسن ضيافتة، وقد وُزعت علينا الحلوى والمرطبات، وألقى الخطباء الخطب والقصائد، وأشاد السيد عبد الرحيم سماحة بمكانة السيد المهدي من الزعامة، واقترح على الحاضرين أن يعدوا هذا اليوم يوم عيد وأن يكبروا تكبيرة العيد «الله أكبر الله أكبر»، فتبعه الحاضرون ثم انصرفنا شاكرين بعد مشاهدة بعض الآثار النقدية والسلاح في دار السيد.

(٨-٣) مأدبة الغداء

أقامت البعثة المصرية مأدبة غداء بالفندق تكريمًا وشكرًا للداعين والمضيفين من الأعيان والوجهاء، وكان في مقدمة الحاضرين سماحة السير السيد عبد الرحمن المهدي وحضرات أعضاء مجلس الحاكم العام والغرفة التجارية والعلماء والتجار وكبار الموظفين. … إلخ.

وخطب في المأدبة حضرات رشوان محفوظ باشا وفؤاد أباظة بك والأستاذ عبد الرحمن علي طه.

وقد سار بنا القطار الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم، ومر بشندي ثم عطبرة وأبو حمد فإلى حلفا، وكان الأهالي على طول الطريق يحيون البعثة أجمل تحية.

(٨-٤) تأليف لجنة مشتركة دائمة

تلقت الجمعية الزراعية من البعثة المصرية بالسودان التلغراف الآتي:

> زارت البعثة صباح يوم ١٤ فبراير مصلحة الري المصري وبواخرها النيلية بناحية شجرة غوردون، وعقدت جلسات مع الغرفة التجارية بالخرطوم ومدير المكتب الاقتصادي، ثم تناولت طعام الغذاء بدار آل هاشم بأم درمان، ثم لبت بالخرطوم دعوة أصحاب الفضيلة قاضي القضاة والمفتي ومفتشي المحاكم الشرعية.
>
> وزارها بجراند أوتيل فضيلة السيد علي الميرغني، وهي أول زيارة من نوعها تقديرًا للبعثة وإعجابًا بأعمال سمو الأمير عمر طوسون، فقوبل بكل حفاوة وترحاب.
>
> ولبت البعثة دعوة نادي كونتو ميخالوس ودارك هانكي لحفلة ساهرة.
>
> وفي صباح الجمعة ١٥ فبراير زارت البعثة منزل السيد عبد الرحمن المهدي وسط جمع حافل وحفاوة بالغة تُليت فيها التلغرافات المتبادلة مع صاحب السمو الأمير عمر طوسون، مع التحيات والتقدير، ثم أقامت البعثة مأدبة جامعة بجراند أوتيل حضرها نحو مائة وخمسين مدعوًّا من كبار القوم وكبار الموظفين والتجار، وشكر سعادة رشوان باشا رئيس البعثة سعادة الحاكم العام والموظفين والأعيان والتجار وإخواننا السودانيين للحفاوة التي استقبلت بها البعثة في كل مكان بالسودان، وتلاه فؤاد أباظة بك شارحًا نتيجة زيارة البعثة من إحكام الصداقة بين المصريين والسودانيين، ووضع أسس التعامل التجاري، وتأليف لجنة مشتركة توالي اجتماعها سنويًّا بالتوالي بالقاهرة والخرطوم لتنمية العلاقات الاقتصادية والتجارية والزراعية بين مصر والسودان، ولمنفعتهما المشتركة، كما اتفق على عرض حاصلات السودان وصناعاته بالمعرض الزراعي القادم.

وعاد لمصر الفوج الثاني من البعثة بقطار الساعة الرابعة بعد الظهر وسط جموع غفيرة من المودعين راجين لهم سفرًا سعيدًا، وتخلف عن السفر لجنة الجمعية الزراعية والدكتور إبراهيم شوربجي بك وعطا عفيفي بك والأستاذ مصطفى نصرت.

هذا وقد سافروا من الخرطوم الساعة الرابعة بعد ظهر يوم الجمعة ٢٢ فبراير ووصلوا إلى القاهرة صباح يوم الثلاثاء ٢٦ الجاري.

(٨-٥) زيارة قبور الضباط المصريين والسودانيين

وتلقت الجمعية الزراعية يوم السبت ١٦ فبراير التلغراف الآتي:

كان أمس الجمعة وكان موعد سفر معظم البعثة، فبكر الأعضاء في الصباح لزيارة مقابر الضباط المصريين والسودانيين بالجيش المصري بأم درمان، ونثرنا الأزهار على قبر المرحوم اليوزباشي عبد الله عرفة رمزًا لذكرى الضباط المصريين، وكذلك على قبر اليوزباشي فرج أفندي إبراهيم رمزًا لذكرى الضباط السودانيين، ووزعنا الصدقات وقرأنا الفاتحة على أرواحهم. وحالة القبور تستدعي العناية بترميمها.

فؤاد أباظة

(٨-٦) من الخرطوم إلى أسوان

ركبنا القطار الساعة الرابعة بعد ظهر يوم الجمعة ١٥ فبراير سنة ١٩٣٥، ووصلنا إلى حلفا مساء اليوم التالي، وقابلنا حضرة مندوب الجمارك المصرية الشاب المهذب جرجس ميخائيل حنين أفندي، وسار معي في المدينة، وألفيناها كمراكز مصر، وسكانها مصريون وقد كانت مصرية.

ثم ركبنا باخرة نيلية من حلفا، وشهدنا في اليوم التالي معبد أبي سمبل في الحدود المصرية، ثم مضت الباخرة في سيرها حتى وصلنا إلى الشلال قبيل ظهر يوم الاثنين ١٨

فبراير، ووضع أعضاء البعثة «الفوج الثاني منها» أمتعتهم في القطار، وركبوا السيارات وشهدنا خزان أسوان.

واحتفى الأسوانيون بنا احتفاءً وطنيًّا. وقد نزلت في أسوان ومكثت بها من ظهر يوم الاثنين ١٨ فبراير إلى صباح يوم الخميس ٢١ فبراير، حيث سافرت إلى الأقصر وبقيت فيها حتى يوم الأحد ٢٤ فبراير، حيث شاهدت آثارها.

(٨-٧) خزان أسوان

تكلمنا عن خزان سنار وخزان جبل الأولياء ومشروع خزان تانا ومشروع خزان بحيرة ألبرت في الجزء الثاني من الكتاب. ونتكلم عن خزان أسوان الآن.

ري الحياض: كانت الزراعة في مصر تجري على طريقة ري الحياض، فتُزرع الأرض مرة واحدة في السنة، وقد رؤي شق الترع في عهد محمد علي وتمكين الأرض من الزراعة مرتين وثلاث مرات في السنة، وهو ما يسمى «بالري الصيفي»، وقد نهج الخديوي إسماعيل منهج جده محمد علي في تعميم الري الصيفي، بشق ترعة الاسماعيلية التي تقع على مسافة ١٧٥ كيلو مترًا جنوبي القاهرة.

ثم رؤي إنشاء قناطر في أسوان، فإنشاء الخزان بها للري الصيفي، وأُنشئت قناطر أسيوط لإمكان ري الأراضي العالية.

وتبدأ زيادة الفيضان حوالي آخر يوليو، وتصل زيادتها في سبتمبر، وقد تتأخر إلى أكتوبر ونوفمبر وتنتهي في ديسمبر.

وكان إنشاء خزان أسوان لأول مرة من سنة ١٨٩٨ إلى سنة ١٩٠٢ لإمكان تخزين الماء على منسوب ١٠٦ عن سطح البحر، ثم أُجريت تعليته من سنة ١٩٠٧ وتمت سنة ١٩١٠، حتى يصل إلى منسوب ١١٣٠٠٠. وسطح الخزان على ارتفاع ١٠٦، وبلغ ١٦٠٠٠٠٠٠٠ متر مربع، وسعته حوالي ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠ متر مكعب. وقد سمح ذلك بتحويل ٣٠٠٠٠٠ فدان في مصر الوسطى إلى الري الصيفي. وبلغت تكاليفه مع نزع ملكية الأراضي اللازمة له ٣٠٥٠٠٠٠ جنيه مصري. فإذا قدرنا أن ثمن الفدان قبل إنشاء الخزان ٧٠ جنيهًا، وأنه صعد إلى ١٤٠ جنيهًا، كان الخزان قد أتى بمبلغ ٢١ مليون جنيه لمصر.

وجُعلت التعلية على منسوب ١١٣٠٠٠، ومسطح الخزان ٢٧٠٠٠٠٠٠٠ متر مربع، واستيعابه أو سعته ٢٤٠٠٠٠٠٠٠٠ متر مكعب.

ومكنت هذه التعلية من تحويل ١٠٠٠٠٠ فدان في مصر الوسطى إلى ري صيفي، وبلغت نفقات التعلية ١٤٠٠٠٠٠ جنيه.

وقد ظلت الحاجة ماسة إلى تخزين الماء خلف خزان أسوان، فأُجريت التعلية الثانية، من سنة ١٩٢٩ إلى سنة ١٩٣٣ على ارتفاع ١٢٣، ويُخزن الماء على ارتفاع ١٢١ و١٢٢ فقط عن سطح البحر. ومسطح الخزان بعد التعلية الثانية ٨٠٠٠٠٠٠٠ متر مربع، وسعته «استيعابه» ٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠ متر مكعب. وقام بالتعلية المقاولون سير مورتون جريفيث وشركاه ثم طوفان جونز وريلتون لمتد. أما الإنشاء والتعلية الأولى فتولاهما جون إيرد وشركاؤه.

وأصبح طول قناطر الخزان بعد التعلية الثانية ٢١٢٩ مترًا منها ٥٨٠ مترًا للجزء غير المفتوح، ١٥٤٧ للجزء المفتوح العيون، ويوجد ١٨٠ فتحة لمرور الزائد من ماء النيل، وقد قُدر هذا الزائد في سنة ١٨٧٨ بمقدار ١٤٥٢٠ مترًا مكعبًا، وتختلف الفتحات ارتفاعًا وعرضًا. فعرضها من مترين وارتفاعها بين ٣٫٥٠ و٧ أمتار.

تكاليف التعلية الثانية

وقد بلغت التكاليف من نزع الملكية ٤٠٠٠٠٠٠ جنيه، وفي وزارة الأشغال إدارة للخزانات، وتبحث الوزارة في الانتفاع من سقوط الماء في توليد القوة الكهربائية للإنارة وإدارة الآلات عند أسوان وما يجاورها جنوبًا.

(٨-٨) من الأقصر إلى القاهرة

سافرت من الأقصر صباح يوم الاثنين ٢٥ فبراير إلى أسيوط، وزرت بلدتنا «بني عديات»، ثم عدت فلحقت بعد منتصف الليل بالقطار الحامل للفوج الثالث من البعثة وكان به سعادة رئيس البعثة رشوان محفوظ باشا، ومحمد بهي الدين بركات بك وزير المعارف العمومية الأسبق، وعبد الحميد فتحي بك، وفؤاد أباظة بك، والدكتور إبراهيم الشوربجي بك، وعبد الحميد أباظة بك، والمهندس مصطفى نصرت، وعطا عفيفي بك، والأستاذ محمود مصطفى علي، ومصور البعثة، ووصلنا إلى محطة العاصمة صباح يوم الثلاثاء ٢٦ فبراير.

(٨-٩) وصول الفوج الأول من البعثة

وصل صباح السبت ١٦ فبراير من أعضاء البعثة حضرات أصحاب العزة والوجاهة الدكتور يوسف نحاس بك وإسماعيل بركات بك والأستاذ أحمد أبو الفضل الجيزاوي وأحمد الحناوي أفندي والحاج أمين حجاج الزيني، ونزل في أسوان الأستاذ فخري الزق، وفي الأقصر صاحب العزة إلياس عوض بك، وقد احتفى بهم في العودة الموظفون السودانيون والمصريون في العطبرة، واستقبلهم تجار أسوان في محطة الشلال ورافقوهم إلى أسوان.

شكر من الأزهريين السودانيين على صفحات الأهرام

أرسل حضرات علماء وطلبة السنارية بالأزهر إلى المؤلف ما يلي:

> إخوانك السنارية بالأزهر يتقدمون إلى حضرتكم بتحيتهم الخالصة وكلهم مغتبط مسرور ليبلغكم تهنئته لكم أنتم وحضرات الأفاضل النجباء أعضاء البعثة الاقتصادية الموفقة بسلامة الوصول بعد أن قمتم بأكبر واجب لدى إخوانكم السودانيين وأجلِّ مقصد عند أبناء القطر الشقيق، ونحن السنارية لم نبرح نرقب حركاتكم منذ بدء رحلتكم الميمونة في ظعنكم وإقامتكم، نرقبها بعين الاهتمام والإعجاب والإكبار والإجلال. واعتقادنا أن أعضاء البعثة إن لاقوا حفاوة من إخوانهم السودانيين في طول البلاد وعرضها بالغة ما بلغت تلك الحفاوة ما هي منهم إلا القيام بالواجب، بل أداء لحق، وتعبير عن عاطفة قوية برهنت الحوادث والتقلبات على أنها مهما وُضعت الحواجز والموانع في سبيلها على طول الزمن وشدة العسف لا تزداد إلا شدة ورسوخًا وثباتًا، توحيها وتلهبها وتنميها العوامل التي لا حد لها؛ عوامل الجوار والدين واللغة، بل عوامل الحركات والسكنات في الجسد الواحد. فلا غرابة ولا عجب أن رأينا المصري في السودان يمشي على أرض ليست بالغريبة عنه وإنما هي قطعة من وادي النيل، ويمتزج مع إخوان هو منهم وهم منه في القديم والحديث، وسيظلون هكذا إلى أن تبدل الأرض غير الأرض والسموات. كتلة النيل واحدة ووحدة النيل متحدة.

أيها الأخ العزيز: إنا إذا حيينا أعضاء البعثة وشكرناهم فردًا فردًا ثم خصصناك من بينهم فلإعجابنا بك الذي لا حد له في صراحتك وإخلاصك وهمتك العالية، وقيامك بأداء واجبك على أحسن ما ينبغي وأجمل ما يكون من تصوير الحقائق وشرح الواقع بأسلوبكم الرائع وعبارتكم الرصينة. ولا ننسى توجيهكم النظر إلى وزارة المعارف وطلبكم منها العناية بدروس التاريخ والجغرافيا خاصة في بلاد السودان؛ كي يعرف التلميذ الحقيقة ويتلمس الواقع البين من طبيعة الأرض وطبيعة ساكنيها وما هم عليه من حضارة ورقي أخلاق.

فهذه أمنية طالما تمنيناها وفكرة جديرة بالاهتمام طالما نادينا بها، ونرجو أن يكون لكلامكم لدى وزارة المعارف أثره فتعطيه من العناية ما يليق به ويحقق المقصود.

هذا وإن لنا الأمل الكبير أن يتنبه إخواننا المصريون فيعرفوا لإخوانهم السودانيين حقهم ويضعوهم في مكانتهم. ورأينا فيما قدمتموه لهم على صفحات الأهرام الغرّاء من شرح وتفصيل أنه لجدير بأن يوقظ من شعورهم ويلهب من عواطفهم، بل ينبه من غفلتهم وينمي من معلوماتهم، وحسبنا في ذلك ما اعترفتم به أنتم في إحدى مقالاتكم من عدم إدراك الحقيقة كما هي، وأنكم ماكنتم تعلمون عن السودان كما رأيتموه على طول الدرس والقراءة عنه في الكتب والكتابة عنه في الصحف، وبإزاء هذا شجعتم إخواننا المصريين وبخاصة شباب الجامعة المصرية على أهمية الرحلة إلى السودان، وما لها من الأثر لدى تنمية العلاقات وتقوية الروابط وتبادل التعارف، فإن رجعنا مرة أخرى وكررنا لكم شكرنا وإعجابنا بكم، فتحيتنا وشكرنا وتقديرنا أيضًا لصحيفة الأهرام الغرّاء. ولا زلتم عونًا للحق موفقين لآداء الواجب الإنساني، ولا زالت الأهرام في علاها وتقدمها المطرد يعنيها ماضيها المجيد ومكانتها الكبرى في الشرق أجمع.



أعضاء البعثة عند وصولهم إلى محطة القاهرة صباح يوم الثلاثاء ٢٥ فبراير سنة ١٩٣٥.

الفصل الحادي عشر

بعد عودة البعثة

(١) حفلة الجمعية الزراعية واجتماع أعضاء البعثة المصرية برياسة الأمير عمر

اجتمع حضرات أعضاء البعثة المصرية بالسودان في دار الجمعية الزراعية الملكية بالجزيرة بعد عودتهم، وقد رحب بهم حضرة صاحب العزة فؤاد أباظة بك المدير العام للجمعية وحضرة حسين فريد بك وكيلها والأستاذان محمود مصطفى علي كبير مفتشيها ومحمد أحمد عابدين رئيس سكرتيريتها، وقد شهد حضرات الأعضاء صورًا مختلفة من مناظر البعثة في رحلتها في مدن السودان.

وقد شرَّف اجتماع البعثة حضرة صاحب السمو الأمير الجليل عمر طوسون، فاستُقبل بالإجلال والاحترام، وكان فؤاد أباظة بك يقدم حضرات الأعضاء لسموه، وقد تفضل سموه بتهنئة الأعضاء على نجاح البعثة، ورجا أن يكون من وراء رحلتهم خير لمصر والسودان. فقال الأعضاء لسموه: إن الفضل الأكبر في سفر البعثة ونجاحها يرجع إلى سمو الأمير الجليل، فقد سبق البعثة وسبق غيره في مواصلة العلاقات بين البلدين، ثم كان تأليف البعثة من تفكير سموه وبرعايته وفي ظل تشجيعه. فقال سموه: إن الفضل لكم، أو على الأقل لا يزيد نصيبي على فضلكم. فشكر الأعضاء لسموه تهنئته.

ثم عرض فؤاد أباظة بك على الأعضاء جزءًا من الفيلم المشتمل على مناظر البعثة في رحلتها، فأعجبوا بنجاح الفيلم وهنأوا فؤاد بك على عنايته بتسجيل مناظر الرحلة.

(٢) حفلة الشاي

وأقامت الجمعية الزراعية الملكية في فناء دارها حفلة شاي تكريمًا لحضرة مسيو كونتو ميخالوس رئيس الغرفة التجارية بالخرطوم لمناسبة حضوره إلى مصر. وقد كانت الحفلة برعاية سمو الأمير عمر طوسون، حيث جلس مسيو كونتو ميخالوس إلى يمين سموه وسعادة رشوان محفوظ باشا إلى يساره، وجلس صاحبا السعادة محمود صدقي باشا محافظ العاصمة وحامد الشواربي باشا إلى اليمين، وكان إلى جانبهم من أعضاء البعثة حضرات فؤاد أباظة بك وعبد الحميد أباظة بك وعبد الحميد فتحي بك والدكتور إبراهيم الشوربجي بك والدكتور يوسف نحاس بك وألفونس جريس بك وإلياس عوض بك والأستاذ محمد عطا عفيفي والدكتور محجوب ثابت والأساتذة عبد المجيد الرمالي ومحمد حسن قاسم وأحمد حسن قاسم ومحمد عبد الرحيم سماحة وعبد الله حسين ومحمود أبو العلا وعلي شكري خميس والسيد عبد المجيد محروس والوجيه محمود مصطفى الجمال ومحمد حسين الرشيدي ومصطفى نصرت المهندس وأحمد أبو الفضل وفخري لوقا الزق والسيد حسين عيسى، كما لبى الدعوة لفيف من أعضاء الجمعية الملكية الزراعية والنقابة الزراعية والغرف التجارية والصحفيين.

(٢-١) خطاب رشوان محفوظ باشا

ثم ألقى سعادة رشوان محفوظ باشا الخطاب التالي:

حضرة صاحب السمو الأمير الجليل، جناب المستر كونتو ميخالوس، حضرات السادة:

لي الشرف العظيم نيابة عن البعثة المصرية في أن أقدم لحضرة صاحب السمو الأمير الجليل أجزل عبارات الشكر والامتنان لتفضله بإقامة هذه الحفلة تكريمًا للمستر كونتو ميخالوس، فأتاح لنا الاشتراك في الاحتفاء بمقدم هذا الرجل العظيم إلى هذه الديار.

تعلمون حضراتكم كيف تألفت بعثتنا والأغراض التي سافرت إلى السودان لتحقيقها، وقد كان لصاحب السمو الأمير الجليل الفضل الأكبر في تنفيذ هذه الفكرة، وفي نجاحها بما كان يتفضل به على أعضاء البعثة من تلغرافات التشجيع والشكر في أثناء إقامتنا بالسودان. وإذا قلنا إن أهل

السودان يحملون في صميم قلوبهم كل الاحترام والعرفان بالجميل لسموه لقصَّرنا في تصوير الحقيقة تصويرًا صادقًا؛ فإن أيادي سموه البيضاء وبره المتواصل قد أظلت كل عمل خيري في أرجاء السودان، فغرست في قلوب أهله ذلك الاحترام والعرفان بالجميل.

سافرت بعثتنا إلى السودان في أواخر يناير كما تعلمون، ووصلنا بور سودان ٢٨ من الشهر المذكور، وزرنا بلادًا كثيرة في أنحاء السودان المختلفة، وكنا حيث ذهبنا نلقى سيلًا متصلًا من الترحيب والإكرام وحسن الاستقبال، كما كان تنظيم أسفارنا بالغًا كل الغاية من أسباب الراحة، ويعود الفضل في هذا لجناب المستر كونتو ميخالوس رئيس غرفة السودان التجارية وحضرات زملائه أعضاء لجنة هذه الغرفة الذين بذلوا كل جهد وتحملوا كل مشقة في سبيل راحتنا، فلهم وللذين احتفلوا بنا من أهل السودان جميعًا خالص الشكر والحمد، ولا نستطيع أن ننسى أن نوجه مثل هذا الشكر إلى معالي حاكم السودان العام، وإلى رجال حكومة السودان، لما بذلوه من حفاوة بنا، ولما أمدونا به من معلومات قيمة وما قاموا به من تسهيل مهمتنا.

أيها السادة:

لقد كان الغرض من سفر البعثة إلى السودان توثيق الروابط الاقتصادية التجارية والزراعية بين مصر والسودان، ولقد كان لمعاونة المستر كونتو ميخالوس رئيس غرفة السودان التجارية الأثر الفعال في وصول البعثة إلى النجاح في الغرض الذي سافرت البعثة من أجله، ولعلكم اطلعتم على ما نُشر من نتيجة عملنا في الصحف، ولنا كل الأمل في أن تستمر هذه الجهود لخير البلدين اللذين تربطهما أمتن الروابط، وأن تثمر أحسن الثمرات بفضل التعاون الذي وُضع أساسه بالعمل المشترك بين هذه البعثة ورجال السودان.

أرجو أن يسمح سمو الأمير الجليل بأن يتفضل بتسليم المستر كونتو ميخالوس هذا التذكار، وهو مظهر بسيط لتقدير ما قام به من المجهود العظيم الأثر في تعاوننا المشترك، ولما قام به من تسهيل سفر البعثة وإقامتها في الأراضي السودانية.

أيها السادة:

إننا إذ نكرم اليوم رجلًا قام بالمجهود العظيم الذي أشرنا إليه إشارة وجيزة يملأ قلوبنا الرجاء العظيم في الوقت نفسه بأن يكون تحقيق النتائج التي وصلنا إليها تحقيقًا عمليًّا خير عربون لازدياد روابط الإخاء والمودة بين مصر والسودان ازديادًا تزيده السنين اطِّرادًا.

(٢-٢) خطبة الوجيه علي البرير

وألقى حضرة التاجر السوداني الوجيه علي البرير الخطاب التالي:

صاحب السمو الأمير الجليل، أصحاب السعادة والعزة، سادتي:

إن العلاقات المصرية السودانية طغت عليها منذ زمان موجة من الانحلال والفتور، ولبعض هاتيك العوامل أعذارها التي لا يمكن أن يغض عنها الطرف أو يتناساها المدقِّق، وهي وإن كان لها بعض النتائج المادية الملموسة مما قد يعتبره بعض الناس جفوة في العلائق وتقاطعًا للأرحام، فما استطاعت أن تعصف بين هوى القلوب المتبادل وحب النفوس المشترك. وكيف وما بيننا وبين مصر من روابط وأواصر مكين منذ الأزل، وطيد منذ أن أبدع الله الخليقة وبسط الأرض وفجَّرها عيونًا وأنهارًا. وما كان لما سواه الخالق وأحكم روابطه أن يهدمه الإنسان ويقطع أواصره، وإن الواجبات الإنسانية والعلاقات الأخوية التي بيننا وواجب مصر نحو السودان في كل مظاهر الحياة، وما يترقبه السودان دائمًا من رعاية مصر وعطفها وحنانها ومساعدتها، وواجب شعب نحو شعب، قد جعل الله في شخص صاحب السمو الأمير الجليل عمر طوسون داعيًا ومحققًا، وقد قام سموه بمفرده بكل ما تحتمه الواجبات العالية نحو السودان، وهو وحده أمة في فرد؛ أدى الأمانة وقام بالواجب، وكفى مصر مئونة ما يجب أن تقوم به من حق مفروض. فالسودان في حاضره وفي مستقبله مدين للأمير الجليل بكل الثمرات الطيبة التي سيجنيها من وراء أياديه وغراسه، وهي في كل نواحي الحياة متعددة كثيرة تتداخل جميعها في أن تكون للسودان عوامل النهوض والتقدم والعمران. فما شئت

من بعوث علمية لأبناء السودان في أوروبا وفي أرقى جامعاتها ومن أخرى في مصر وفي شتى مدارسها وفي السودان ما لا يحصره العد من فيض كرمه ومبذول عطائه. وهذه أياديه وهباته المستديمة ظاهرة في المغارس المختلفة وفي الملاجئ المتعددة، وتلك عطاياه إلى معاهد العلم الدينية، وهاتيك فواضله غزيرة متدفقة كلما طرق سمعه الكريم أن بيتًا لله يقام ومسجدًا يُشاد في كل بقعة من بقاع السودان، وها هو أول المتبرعين وأجزلهم منحًا وأسرعهم نجدةً كلما نما إليه أن السودان مست بعض نواحيه يد المجاعة والفاقة. وما كان للسودانيين وهم أعرف الناس بحفظ الجميل وأبقاهم على الوفاء إلا أن يكون سموه الجليل متمثلًا لهم في كل قلب وساكنًا بكل فؤاد. وإن ذكرت في السودان مصر وطافت بالعقول ذكرياتها — وهي أبدًا حاضرة — فما هي للسودانيين إلا المتمثلة في سمو الأمير الجليل وشخصه الكريم، وما كفته أياديه الممطرة وهباته المتواصلة حتى راح يبحث وينقب عن نواحٍ أخرى يشيد فيها بذكر السودان ليجعله حاضرًا متجليًا متجددًا في نفوس المصريين، فيكتب ما كتب عن بطولة أبنائه البواسل في حروب المكسيك، وبلائهم الحسن في حومة الوغى والنضال. وهيهات هيهات للسودان مهما أثنى على سموه وقام له بالوفاء أن يفيه حقه.

فهو «كما نثني وفوق الذي نثني»، وحسبنا أن نقول إن سموه الجليل حفظ سمعة مصر في السودان وأوثق الروابط وجدد دارس الذكريات، وحقق للسودان حسن ظنه بمصر وعظيم رجائه في عطفها وبرها.

وليست هذه البعثة الاقتصادية، وسموه رئيسها الأكبر، إلا آية أخرى من آيات اهتمامه بالسودان وتوثيق العلاقات المادية بعد أن أحكم روابط الصلات العلمية والدينية، وليس ما رآه أفراد البعثة الأجلاء من حماس في الترحيب وحرارة في اللقاء إلا دليل ما تفيض به نفوس السودانيين من حبه وإجلاله. فسموه أولًا وأخيرًا واسطة العقد وفريد نظيمه بين القطرين الشقيقين. ولا يفوتني هنا أن أشير إلى أن الناس يتوقعون وراء هذه الروابط الزراعية شيئًا آخر، هو أن تكون هذه الروابط مدرسة يتلقى فيها السودانيون ما اشتهر به الفلاح المصري من دربة ومقدرة في فن الزراعة، وما وصلت إليه نتائج

العقول في الفلاحة، حتى يكتمل له ما أراده سمو الأمير الجليل من رقي علمي في مختلف النواحي العقلية.

وإن كان لا مندوحة من أن تشتري الجمعية الزراعية أو أصحاب رءوس الأموال المصريين بعض الأراضي الزراعية في السودان لاستغلالها، فإننا كسودانيين نرجو أن يكون هذا الشراء من مُلاك وطنيين؛ فهم أهل البلد وأصحابها، وهم الذين تربطهم بمصر أسمى الروابط، ولأجلهم وحدهم بذل الأمير الجليل ما بذل من مجهود مشروع، ولدى الوطنيين كل ما يريده الشاري المصري من مختلف المساحات الزراعية. فإن أراد قطعًا صغيرة فهي متوفرة، وإن أراد قطعًا كبيرة المساحة قائمة بذاتها فلكبار المُلاك وزعماء البلد أمثال السيدين الجليلين السيد علي الميرغني والسيد عبد الرحمن المهدي من الأملاك الواسعة والمساحات الأرضية الشاسعة في شمال السودان وجنوبه ما يربو على حاجة المشترين المصريين.

وبهذا الجوار الزراعي الذي تحوطه كذلك أملاك أخرى لملاك وطنيين تحقيق لما يرجوه السودانيون من وراء هذا الحوار ومن أخذ بأسباب الوسائل الزراعية المصرية الحديثة، وبما يبذله الفلاح المصري من مجهود وغيرة زراعية جعلته من أشهر مزارعي العالم، وبذلك يسدي الفلاح المصري إلى شقيقه السوداني كل ما يمكن أن يتوقعه منه من خير في الاختلاط، وإن مثل هذه الظواهر المحلية لها أكبر الأثر فيما يترتب على مجهود للبعثة ومشآتها من نتائج، وإن تعدتها إلى غير ذلك من شراء أراضٍ غير وطنية وفضلت غير الوطنيين على الوطنيين، فإن النتيجة لا يستفيد منها المالك السوداني شيئًا، ولا تعود على السودان بأية فائدة؛ لا من الوجهة المادية أو العلمية أو الأدبية، بل قد يؤدي هذا إلى خيبة في الرجاء وتحطيم للأمل. وإنا لنرجو أن تعير الجمعية الزراعية أمثال هذه الملاحظات اهتمامها، وأن تتدبرها، وأن تضع كل شيء في موضعه اللائق حتى يتحقق للسودان كل ما أراده له سمو الأمير من يسر ورخاء.

(٢-٣) كلمة المسيو كونتو ميخالوس

صاحب السمو، أصحاب السعادة، حضرات السادة:

إني مدين لسعادة رشوان باشا بكلماته الطيبة، ولأعضاء البعثة لفكرة تقديم تذكار لزيارتهم السودان التي أُقدِّرها كثيرًا.

إني أشكر بصفة خاصة الأمير عمر طوسون لتشريفه هذه الحفلة، وأرجو أن تعذروني إذا لم ألقِ خطابًا طويلًا لأني قلت في السودان كل ما يمكن أن يقال، وأخذنا في العمل واستمرار جهودنا المشتركة في تنمية التجارة وتوثيق العلاقة بين مصر والسودان لمصلحة البلدين.

يا صاحب السمو، يا صاحب السعادة يا حضرات السادة، أشكركم.

(٢-٤) كلمة حسين السيد أباظة بك

ثم وقف حضرة الوجيه حسين السيد أباظة بك والد فؤاد أباظة بك والأستاذ فكري أباظة، فألقى كلمة بليغة في الإشادة بفضل سمو الأمير عمر، وفي العلاقات التجارية بين مصر والسودان، وترحيب المواطنين السودانيين بالبعثة، وفي حفاوة المسيو كونتو ميخالوس بها، وقد قوطعت الخطب بالتصفيق والإعجاب، وأُخذت صور عديدة وانصرف الحاضرون شاكرين مبتهجين بهذه الحفلة البديعة.

(٣) البعثة والغرفة في العمل — محاضرات الجلسات بين البعثة المصرية والغرفة التجارية السودانية في الشئون التجارية

محضر الجلسة المنعقدة في ١٢ فبراير سنة ١٩٣٥

بحضور جناب المسيو كونتو ميخالوس الرئيس وحضرات توتنجي — ريد تساكر وجولو — مصطفى أبو العلا — السيد عبد الجواد الرمالي — محمود أبو العلا — محمد عبد الرحيم سماحة — علي شكري خميس.

بضائع قطنية وأقمصة وجوارب: تقرر أن تطلب البعثة المصرية من بنك مصر إرسال عينات من بضائعهم إلى الغرفة التجارية السودانية.

الأرز: اتفق على أن تتصل البعثة المصرية بالحكومة المصرية لكي تسترد ضريبة تصدير الأرز للسودان، كما أنه قد تقرر أيضًا أن الغرفة التجارية السودانية من جهتها تتصل بحكومة السودان لإمكان تقدير تعريفة مخفضة للنقل، كما أنها تتصل أيضًا بشركة البواخر الخديوية لكي تقرر تعريفة بحرية خاصة للنقل من السويس، كما أن جناب المسيو كونتو ميخالوس يتصل شخصيًّا بشركة البواخر الخديوية للسبب عينه.

السيجار والسجاير: تُستورد حاليًّا من مصر.

السمنتو والكبريت: اتُّفق على أن تتصل البعثة المصرية بالسلطات المصرية لغرض إلغاء ضريبة الإنتاج أو جزء منها على الأسمنتو والكبريت المُصدَّر إلى السودان.

الصابون المصري: مبيعات مصر في السودان من هذا الصنف طيبة.

الأحذية الطويلة والقصيرة: إن المنافسة اليابانية في الواقع تستغل هذا الصنف فيما عدا الجلود، فهي مستحيلة، وعلى ذلك تقرر أن ترسل مصر عينات من هذه البضائع إلى الغرفة التجارية السودانية، كما أنه يجب الاتصال بالحكومة السودانية لكي تسمح للمصانع المصرية بالدخول في مناقصات التوريد الخاصة بالجيش. وقوائم المناقصات يجب نشرها في مصر. وإننا ننصح للبعثة المصرية بالاتصال بمندوب حكومة السودان في هذا الشأن.

الجعة (البيرة): يُعتقد أن هذا الصنف يفسد في السودان، وأنه من واجب البعثة المصرية أن تسترشد بصناع هذا الصنف في مصر.

الحلويات: تقرر أن تتصل الغرفة التجارية السودانية بمصلحة سكك حديد السودان لغرض إصدار تعريفة خاصة للحلاوة الطحينية المستوردة من مصر، كما أنه تبين أن تعريفة السيكورتاه للنقل حتى بور سودان هي ٣١ مليم الأقة وأجرة النقل من بور سودان إلى الخرطوم هي ١٥ مليم الأقة؛ أي أكثر من ٥٠ في المائة؛ ولذلك فإن الغرفة التجارية السودانية تريد أن تتأكد إذا كانت الحكومة السودانية تسمح لأحد المصانع بتخفيض عشرة جنيهات مصرية في الطن في أثمان السكر.

الروائح وورق اللف: فيما يختص بهذين الصنفين تقرر أن العينات مطلوبة.

الزهرة: تقدم من مصر.

الأقمصة الفنلة وغيرها: تقرر أنها تُستورد من مصر وتُباع في السودان.

السجاد: يُستورد من مصر.

الأدوات النحاسية: تُستورد من مصر.

الأدوات الأليمونية: عينات مماثلة من هذه البضائع تُستورد من اليابان، ويمكن الحصول عليها من مصر.

الأدوات المصنوعة من الفخار والأدوات الزجاجية: يجب الاسترشاد من المصانع المصرية عن أسواق السودان.

إمضاء رشوان محفوظ

إمضاء كونتو ميخالوس

الثلاثاء ١٣ فبراير سنة ١٩٣٥

(١) بحضور كل من السابق ذكرهم ومعهم محمد أفندي قاسم، وقد قُرئ المحضر السابق وصُدِّق عليه.

(٢) لا يوجد للحكومة المصرية سياسة زراعية خلاف مسألة القطن.

(٣) وافق على أن يطلب من الحكومة المصرية حماية حاصلات السودان ضد حاصلات الممالك الأخرى عندما تكون مطلوبة ومماثلة لها.

(٤) رجاء مصلحة السكك الحديد السودانية أن لا تقبل نقل السمسم والذرة من أسكلة بور سودان، وأن لا تسمح بتصدير هذه الأصناف ما لم تكن خارجة رأسًا من معمل تنظيف النباتات. «قد نُفِّذ هذا الطلب».

(٥) أن تتعاقد الغرف التجارية في القاهرة والإسكندرية مع البائعين والمشترين في مصر لحاصلات السودان، وأن ترسل غرفة السودان التجارية شهريًّا عينات من الحاصلات للغرف التجارية المصرية في القاهرة والإسكندرية.

(٦) لقد اتُّفق على تكوين لجنة دائمة لتبادل الآراء بين الغرف التجارية بمصر ومن يهمهم الأمر والغرفة السودانية التجارية، على أن تجتمع بالقاهرة والخرطوم على التوالي، وأن كل عضو له هذا الحق.

(٧) تبادل قوائم بأسماء التجار بالخرطوم والقاهرة وإسكندرية بين الغرف.

(٨) أن يعمل مجهودات من الطرفين قبل سكك الحديد المصرية والسودانية لتخفيض الشحن فيما يختص بتجارة الفواكه.

(٩) تبادل العينات للمعرض في غرف المنتجات السودانية والمصرية وكذا الصناعات. وعلى غرف مصر وإسكندرية التجارية أن تسترشد بلجانها في هذا الموضوع.

(١٠) مخابرة الحكومات المختصة لقبول منتجات البلدين في مناقصتها على أن يكون أصل المنتجات معينًا على حدة، وأن المناقصات عن السودان ستُنشر في مصر.

رشوان محفوظ

كونتو ميخالوس

الأربعاء في ١٤ فبراير سنة ١٩٣٥

بحضور حضرات من سبق ذكرهم، وكذا رشوان باشا وفؤاد بك أباظة وحسين أفندي عيسى، وقد قُرئ محضر ١٣ فبراير وصُدِّق عليه.

ملحوظة خاصة

يُتصل بالحكومة لتراقب الأهالي الذين يبيعون القرض والأشياء المماثلة في السوق على أن تكون معروضاتهم نظيفة.

السكر

الاحتكار في يد الحكومة.

ترغب غرفة السودان التجارية أن تجد وسيلة تتخلص بها من الاحتكار، ولكن في الوقت نفسه تستبقي دخل الحكومة من السكر. والصعوبة الحالية ناتجة من عدم السماح بتقرير ضريبة على البضائع الواردة من مصر.

يقترح رشوان باشا بأنه يجب أن يكون هناك بعض الضمان على أن لا يُستورد إلا السكر المصري فقط.

الغرفة التجارية السودانية ستطلب — لما تكنه من اعتبارات المودة والصداقة للبعثة المصرية — أن تعمل الحكومة السودانية على إلغاء الاحتكار.

ويقترح فؤاد بك أباظة أن الغرفة السودانية تحضر مذكرة خاصة بمسألة السكر، وهنا ترك الجلسة حضرات رشوان باشا وفؤاد بك أباظة:

تحسين طرق المواصلات بين البلدين بالطريقة الآتية:

(أ) بتخفيض الأجور العالية للتلغرافات كما كانت سابقًا.

(ب) بإيجاد مخابرات تليفونية بين البلدين.

(جـ) بتخفيض أجور نقل الطرود بالبوستة لجعلها مماثلة لأجور الطرود في الداخل.

(د) قبول شهادات تحقيق شخصية من غرفتي مصر وإسكندرية التجارية بدلًا عن جوازات السفر، وبذلك يتمكن التجار من السفر بسهولة بين البلدين.

رشوان محفوظ

كونتو ميخالوس

محضر للجلسة بين رئيس غرفة السودان التجارية ولجنة البعثة المصرية ومدير التجارة والاقتصاد بالسودان في ١٧ فبراير سنة ١٩٣٥.

وبحضور جناب المسيو كونتو ميخالوس رئيس والمسيو س. أزمرليان والمسيو كفوري عن الغرفة التجارية السودانية، وحضرات أصحاب السعادة والعزة رشوان محفوظ باشا رئيس وفؤاد بك أباظة وعبد الحميد بك فتحي وألفونس بك جريس وعبد الحميد بك أباظة والدكتور إبراهيم بك الشوربجي والمهندس مصطفى نصرت، عن البعثة المصرية.

فقد أخذ علم بمحاضر الجلسات التي عُقدت مع لجنة التجارة، وأظهر الميجر فولي ارتياحه فيما يختص بالفقرات التي يحتاج فيها الالتجاء إلى الحكومة، ولكنه لا يمكنه أن يفصل فيها بنفسه.

وتقرر أن الغرفة التجارية السودانية تقدم إليه بنفسها هذه المسائل مقررة التوصية بها، وتطلب أن تعيرها الحكومة الالتفات اللازم.

وقد سأل الميجر فولي الأعضاء المصريين عن هل في الإمكان عمل الترتيبات لإمداد الغرفة التجارية بالخرطوم ومصلحة الاقتصاد والتجارة عن طريقها بالأرقام الخاصة بأصناف الذرة السوداني المختلفة التي تُستهلك في مصر؛ لأن الحكومة لغاية هذه

اللحظة لم تتوصل لمعرفة أي صنف من الأصناف يستحق التشجيع عن الأصناف الأخرى، وقد بين المسيو كونتو ميخالوس أنه من المستحسن أن تصدر مصلحة الاقتصاد والتجارة من الآن تعليمات إلى جمرك بور سودان وحلفا خاصة بأن الأصناف المختلفة المصدرة إلى مصر يصير تقريرها بالجمارك حتى يمكن الحصول على بيانات كافية، وقد وافق الميجر فولي على المباحثة في ذلك مع الجمارك.

التمر (البلح): ذكر المستر لويس أن دنقلة تُنتج بلحًا جيدًا، وأنه يطلب من البعثة المصرية عند رجوعها إلى مصر بيانات عن أسماء المحلات التجارية في مصر المختصة ببيع الأنواع الجيدة من البلح المجفف في العلب سواء للاستهلاك المحلي أم للبيع في الخارج، فوعدت البعثة أن تستعلم عن ذلك وتخابر الغرفة التجارية بالخرطوم، وفي الوقت نفسه ذكر مدير مصلحة التجارة والاقتصاد بأنه سيتصل بمدير حلفا ليرسل كمية من البلح على ظهر الباخرة المقلة للبعثة؛ حتى يتمكن من معاينتها وتجربتها. بالنسبة للمناقصات التي ورد ذكرها في جلسات ١٣ الجارى، فقد تقرر بعد المباحثة أن إذاعة مناقصة السودان في مصر ربما توجد بعض عقبات، ولكن بما أن جميع مناقصات السودان تذاع في الجرائد المحلية فيمكن للجمهور المهتم بها في مصر الاشتراك فيها، أو أن تطلب الغرفة التجارية السودانية نسخًا من هذه المناقصات عندما تصدرها الحكومة لكي ترسل منها أعدادًا لغرفة القاهرة والإسكندرية التجاريتين ليطلع عليها التجار الذين يهمهم الأمر.

وفيما يختص بالمناقصات المصرية فإنها تنشر في الوقائع المصرية، فمن الميسور أن يطلع عليها جمهور التجار السودانيين والدخول فيها.

معرض القاهرة: ولقد تقرر أنه بناء على طلب الغرفة التجارية السودانية أن ترسل مصلحة الاقتصاد والتجارة منشورًا إلى مديري الأقاليم لإخطار التجار بإرسال عينات في الوقت المناسب إلى الخرطوم، وأن تجمع هذه العينات في الغرفة التجارية لإرسالها إلى القاهرة في آخر نوفمبر القادم على الأكثر، كما أن الحكومة ترسل جميع المعروضات الخاصة بالقطن. وفيما يختص بالنقل فقد اقترح على البعثة المصرية أن تتصل بمصلحة السكك الحديد المصرية للوصول إلى نقلها مجانًا من الشلال، كما أن الغرفة التجارية السودانية تطلب من مصلحة السكك الحديد السودانية نقلها مجانًا إلى الشلال، وسترسل الغرفة التجارية السودانية إلى الجمعية الزراعية بمصر في أقرب

فرصة مناسبة كشفًا ببيان المعروضات التي سترسل إلى مصر حتى يحتفظ لها بمكان مناسب بالمعرض.

رشوان محفوظ

كونتو ميخالوس

محضر الجلسة المنعقدة بين أعضاء لجنة الغرف التجارية السودانية والبعثة المصرية.

يوم الاثنين ١٨ فبراير سنة ١٩٣٥

مستر ج. أ. كونتو ميخالوس، الرئيس مستر س. أزميرليان، مستر عزيز كفوري عن الغرفة التجارية السودانية، رشوان محفوظ باشا رئيس، فؤاد أباظة بك، عبد الحميد فتحي بك، ألفونس جريس بك، عبد الحميد أباظة بك، الدكتور إبراهيم الشوربجي بك المهندس، مصطفى نصرت، عن البعثة المصرية.

انعقدت الجلسة بين ممثلي الغرفة السودانية التجارية وأعضاء البعثة المصرية بخصوص المسائل التجارية.

وقد قُرئت محاضر جلستي ١٣ و١٤ فبراير وصُدِّق عليها بعد التعديلات الآتية:

جلسة ١٣ فبراير: النبذة السادسة أُضيفت الكلمات: (ومن يهمهم الأمر) بعد كلمات الغرف التجارية في مصر.

جلسة ١٤ فبراير: قرر فؤاد أباظة بك أن هذه مسألة دقيقة، وأن أحسن ما يُعمل هو أن الغرفة التجارية السودانية تجهز مذكرة عن الموضوع لكي تقدمها البعثة المصرية إلى الحكومة المصرية للنظر.

بند ج: أُلغي ووُضع بدله: (اللجنة المصرية تطلب إلغاء الإجراءات الخاصة بدخول المصريين في السودان).

السياسة الزراعية: ذكر مستر كونتو ميخالوس أنه حصل هناك مباحث موفقة بين اللجان التجارية، ولكن لم يُعمل شيء للآن فيما يختص بتأليف شركة زراعية للاستثمار.

فقال فؤاد أباظة بك: قبل التوسع في هذه المسألة يلزم طبيعيًّا الحصول على بيانات لم تصلنا للآن، وقد فهم أن الاجتماعات التي تقرر عقدها مع السكرتير المالي

والمدني ربما تساعد على جمع معلومات بخصوص بيع الأراضي … إلخ. وقال المسيو كونتو ميخالوس: إن المباحثات لا تربط أحدًا من الطرفين، ولكن يريد أن يعرف إذا كانت البعثة معتزمة — في حالة حصول اتفاق — أن تكون شركة بالتآزر مع مُلاك المزارع العديدين الحاليين في شمال الخرطوم، أو أنها تريد أن تملك قطعًا أخرى من الأراضي للأغراض الزراعية. فكان الجواب أن المقصود هو دراسة الحالتين، وأنه في حالة الانضمام إلى المزارع الموجودة الحالية إذا أمكن التوصل للاتفاق مع مُلاكها فإن البعثة المصرية تسأل عن مقدار رءوس الأموال التي يعتقد أعضاء اللجنة السودانية لزومها لهذا الغرض.

فأبدى مسيو كونتو ميخالوس أنه فيما يختص به يسرُّه — كما ذكر مرارًا — أن يشترك في عمل واسع النطاق مهم، وأنه لا يقدم للاشتراك إذا كان الغرض البدء بعمل صغير، ورأيه هو أنه لنجاح أعمال الشركة يجب أن تبدأ عملياتها بالقرب من العاصمة، وبعد أن تنجح في أعمالها فإن الإدارة تنظر في زيادة أعمال الشركة في أي جهة كانت، وربما أنه جاء على لسان البعثة ذكر مساحة من أربعين إلى خمسين ألف فدان، فهو لا يرى كيف يمكن البدء بالعمل ما لم يكن رأس المال خمسمائة ألف جنيه.

وليس من الضروري طبعًا أن يطلب كل رأس المال فورًا في الابتداء، وإنما تدريجيًّا من وقت لآخر. فسأل فؤاد أباظة بك إذا كان من الميسور أن يعرف تقريبًا من الأعضاء السودانيين ما يمكن أن يكتتب به في السودان، فأجاب المسيو كونتو ميخالوس أنه فيما يختص به إذا أمكن الوصول إلى اتفاق بضم مزرعة شركته إلى الشركة الجديدة، وبهذا يكون مستعدًّا للاشتراك بقيمة تعادل خمسين ألف جنيه أسهمًا.

وذكر كفوري أيضًا أنه يكون على الاستعداد في أن يحذو حذو المستر كونتو ميخالوس — فدارت المباحثة عن مزارعين آخرين — فقال مستر كونتو ميخالوس إنه يظن إمكان اشتراك السودان في ثلث رأس المال، ولكن مستر كفوري ومستر أزميرليان يظنان أنه من الأصوب اعتبار الاشتراك بقيمة مائة وخمسة وعشرين ألف جنيه؛ لأنه لا يمكن الحصول على نقود في السودان خارج دائرة مُلاك المزارع.

انتهت المباحثة إلى هذا، وأظهر أعضاء البعثة رضاهم عن بعض التقدم الذي حصل في هذه المباحثات.

رشوان محفوظ

كونتو ميخالوس

ملحوظة

قابلت البعثة المصرية ومعها جناب رئيس الغرفة التجارية السودانية صباح ١٩ فبراير كلًّا من جناب المستر رجمان السكرتير المالي، ثم جناب المستر جيلين السكرتير المدني، وعلمت مع السرور استعداد حكومة السودان قبول مبدأ مشتري أراضٍ زراعية لاستغلالها.

(٤) النتائج العملية لأبحاثها

أشرنا قبلًا إلى تأليف لجنة فرعية للبعثة المصرية إلى السودان برياسة حضرة صاحب العزة مدير مصلحة التجارة والصناعة لبحث نتيجة أعمال البعثة والنظر في الوسائل الممكن اتخاذها لتنفيذ مقترحاتها بشأن ترويج المنتجات المصرية في بلاد السودان، وقد انتهت اللجنة من أبحاثها، وقامت وزارة التجارة والصناعة بالاتصال بالهيئات المختلفة لهذا الغرض، وتلخص أعمالها فيما يلي:

السجاد: كتبت الوزارة إلى مصانع السجاد في مصر لإرسال عينات من منتجاتها إلى الغرفة التجارية السودانية في الخرطوم بصفة أمانة ليمكن معرفة مدى رواج هذه المصنوعات في الأسواق السودانية.

السجاير المصرية: وكتبت الوزارة إلى رئيس نقابة صناع الدخان وإلى الغرفة التجارية المصرية بالقاهرة بأن السودانيين يشكون من تلف السجاير التي ترسل من مصر، ولهذا لا تجد رواجًا هناك، مع أن السجاير المرسلة من البلاد الأخرى رائجة بالرغم من رداءة نوعها بالنسبة للسجاير المصرية، وقد ظهر أن السبب في تلف السجاير المصرية هو سوء تعبئتها.

أجور نقل الحاصلات المصرية من السويس إلى أسوان: ولكى تجد المصنوعات والمنتجات المصرية المرسلة عن طريق البحر من السويس إلى السودان رواجًا في السودان يجب تخفيض أجور الشحن ليمكن تخفيض سعرها، وبذلك تستطيع مزاحمة البضائع الأجنبية المصدرة إلى السودان من إيطاليا وتشكوسلوفاكيا وغيرها، وأهم هذه البضائع: الأرز، والسكر، والمنسوجات، والسجائر، والحلوى، والأحذية، والفاكهة.

وقد كتبت الوزارة إلى شركة الملاحة المصرية التابعة لبنك مصر تسألها عما إذا كان من الممكن تخفيض أجور الشحن من السويس إلى السودان.

المصنوعات القطنية: كتبت الوزارة إلى مصانع المنسوجات المصرية لإرسال عينات من منتجاتها؛ خصوصًا الفانلات والجوارب (الشورابات) إلى الغرفة التجارية بالخرطوم لمعرفة مدى مقدرة هذه المنسوجات على مزاحمة المنسوجات المُرسَلة من اليابان وأوروبا.

ورق اللف: كتبت الوزارة إلى مُصدري ورق اللفِّ بالإسكندرية ترجوهم إرسال عينات من الأصناف التي لديهم إلى الغرفة التجارية بالخرطوم لتقوم بالدعاية له في الأسواق السودانية حسب اتفاق البعثة المصرية معها، وبصنع ورق اللف في الإسكندرية.

البيرة المصرية: ظهر أن البيرة المصرية لا تروج في السودان؛ لأن الفساد يتطرق إليها بسرعة؛ وذلك لأنها تُصنع لتستهلك في القطر المصري، فهي تعقم مرة واحدة، ولما كان جو السودان يختلف عن جو مصر اختلافًا بيِّنًا، فإن التعقيم يجب أن يكون مضاعفًا لتستطيع تحمل جو السودان الحار.

ولهذا كتبت الوزارة إلى رئيس الاتحاد المصري للصناعات تلفت نظره إلى هذا الموضوع ليقوم بمخابرة مصانع البيرة المصرية كي يعملوا على تلافي هذا النقص.

الزجاج: وكتبت الوزارة إلى أصحاب مصانع الزجاج في مصر ليقوموا بالدعاية الكافية لرواج مصنوعاتهم في السودان.

تخفيض نقل الطرود: وقد رأت البعثة عند زيارتها للسودان أن من أهم ما يجب عمله لرواج المصنوعات والمنتجات المصرية في تلك البلاد هو تخفيض أجور النقل برًّا وبحرًا ليمكن خفض الأسعار، فكتبت إلى مصالح السكك الحديدية المصرية والتلغرافات والبريد لتخفيض أجور الطرود المرسلة إلى السودان، وتقوم هذه المصالح الآن بدرس الموضوع.

وكذلك كتبت الوزارة إلى الحكومة السودانية تطلب تخفيض أجور الطرود على السكك الحديدية هناك.

وتنتظر الوزارة الآن ردود هذه الهيئات حتى إذا تلقتها استمرت اللجنة الفرعية للبعثة في مواصلة اجتماعاتها وأبحاثها لترويج المنتجات المصرية في السودان.

هذا وقد بدأت إحدى الفابريقات المصرية لصنع الصاج المدهون بإرسال أصناف من منتجاتها إلى الأسواق السودانية عن طريق وزارة التجارة والصناعة.

بين مصر والسودان: صدر مرسوم ملكي بجواز رد كل أو بعض رسم الإنتاج عن حاصلات الأرض أو منتجات الصناعة المحلية التي تصدر للاستهلاك في السودان، وذلك بدون إخلال بأحكام المراسيم أو القرارات الخاصة المقررة لرد رسم إنتاج في أحوال مماثلة، على أن يحدد وزير المالية المصرية بقرار يصدره الحاصلات أو المنتجات التي تنتفع برد الرسم المُشار إليه ومقدار ما يرد منه، وكذلك الشروط الواجب استيفاؤها للانتفاع به.

الحاصلات السودانية: أباح مدير الاقتصاد والتجارة تصدير الذرة والسمسم إلى خارج السودان بشرط أن يكون كل رسالة من الصنفين مصحوبة بشهادة تنظيف من ماكينة تنظيف معتمدة بأنها نظفت بها تنظيفًا لا يزيد معه ما تحتويه من المواد الخارجية عن نسبة ثلاثة في المائة.

واعتمد مدير الاقتصاد والتجارة ماكينات التنظيف، وأعد شهادتها معتمدة في حالة تصدير الذرة والسمسم، وهي ماكينة السكة الحديدية بالمقرن.

وصدر أمر من مدير السكة الحديدية ببيع البضائع المهملة التي بقيت بميناء بور سودان ستة أشهر بمخازن السكة الحديدية ولم يطلبها أصحابها بالمزاد العلني ببور سودان، وذلك بعد مرور ثلاثة أسابيع من تاريخ نشر هذا الأمر إذا كانت هذه البضائع لا تزال باقية تحت التسليم.

لا يسع المؤرخ للسودان والمسجل للعلاقات الوثيقة بينه وبين مصر، أن يغفل نصيب حضرة صاحب العزة الميرالاي أحمد حمدي سيف النصر بك في إحكام الصلات بين البلدين؛ فلقد أمضى حضرته ١٣ عامًا مأمورًا لمركز أم درمان، ويندر بين المصريين الذين قضوا شطرًا من سني خدمتهم في السودان من ترك في السودان الأثر الذي خلفه حمدي بك، وقد لمسنا ذلك لمسًا حين زيارتنا للسودان مع البعثة، فكان الكثيرون من المستقبلين يسألون عن حمدي بك ويستفسرون عن صحته ويبتهلون إلى الله أن يرد إليه العافية عاجلًا، ويبتهجون بأنباء تحسن صحته.

لم يكن حمدي بك موظفًا عاديًّا أو رجلًا يؤدي واجبه فحسب، بل كان شديد الاتصال بالأهالي، فيما يؤكد الصلات الطيبة بين الحاكم والمحكوم، وفيما يعلي شأنهم، ولا سيما في وقت كان السودان والسودانيون في أشد الحاجة إلى الأكفاء المخلصين

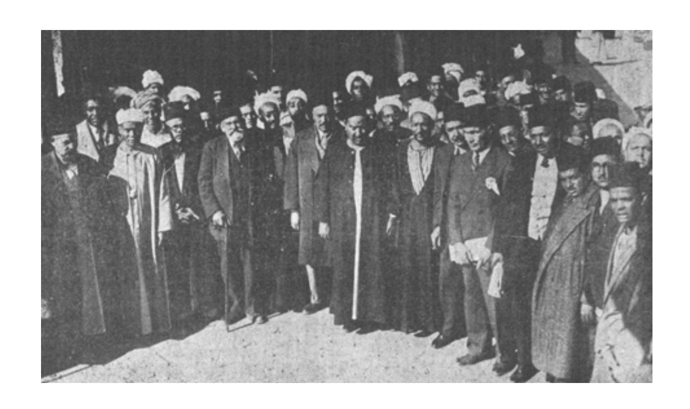


الحاج محمد أحمد سرور مطرب السودان وهو الآن في مصر مع أفراد فرقته، وقد أحيا ليالي غنائية نالت الإعجاب.

الغيورين، عند انتهاء الثورة المهدية واستعادة السودان، الذي كان في حاجة إلى العطف وإلى اتساع أفق التفكير وإلى إنشاء التقاليد الصالحة ووضع القواعد المفيدة.

كان حمدي بك محترمًا ومحبوبًا إلى أقصى ما يعنيه الاحترام والحب النبيل ولا يزال الذين عرفوه يحبونه، بل هناك أبناؤهم قد ورثوا عن آبائهم الحب والاحترام. ودار حمدي بك في حلوان مقصد الوافدين من السودان، يساعد فقيرهم ويعلِّم صغيرهم، ويبحث لهم عن الأعمال ويعيِّنهم في الوظائف، ويرشد زائريهم، ويضيِّف أفاضلهم.

وحمدي بك مفطور على الخير لمحض الخير، وهو — على وطنيته — رجل الإنسانية، وهو صريح لا يداجي، طيب القلب، لا يعرف الدس والمواربة والخديعة، وهو شديد الإيمان، كثير الوفاء، يقدر خصومه — إن كان له خصوم وهم خصوم رأي لا خصوم شخصيات — صراحته ونقاء سريرته.



الفوج الثاني من البعثة في أسوان ومعهم أعيان أسوان.

قالت مجلة فلاحة البساتين المصرية عدد شهر يوليو سنة ١٩٢٢: ينتمي حمدي بك لقبيلة من أشراف قبائل البدو (المحاميد)، ولم تقتصر شهرتها على مصر، بل طار ذكرها إلى بلاد شمال أفريقيا. وتاريخ حمدي بك حافل بالأعمال العظيمة؛ فحياته مملوءة بالجد والنشاط. بدأ يستقي مناهل العلم بمدرسة الناصرية الأميرية، ثم التحق بإحدى مدارس البعثة الأمريكية ثم المدرسة الحربية بالعباسية، وانتظم في سلك الجيش المصري تحت إمرة المرحوم اللورد كتشنر، وصحبه في جميع غزواته بالسودان، ونال كل الأنواط (المداليات المصرية والإنجليزية، بما في ذلك ثمانية مشابك تدل على ما حازه من الشرف باشتراكه في المواقع الحربية)، وبعد أن أمضى وقتًا في خدمة الحرس السواري الخديوي، التحق بحكومة السودان في سنة ١٩٠٠ فعُيِّن ضابطًا لبوليس أم درمان، ثم كان مأمورًا لها ثم عُيِّن قاضيًا في الدرجة الثانية.

وقد نوَّه المستر دوجلاس سلادن في مؤلفه (الإنجليز ومصر) بذكر حمدي بك الذي استقبل المؤلف عند زيارته لأم درمان فقال: «إن معلوماته (حمدي بك) الدقيقة بالسودانيين معه ومعرفته بأخلاقهم وحسن سياسته وتصرفه في معاملتهم وحزمه واستقلاله في عمله، جعلته من أشهر الضباط النادري المثال الذين تولوا الحكم في إدارة السودان.»

وفي سنة ١٩٠٨ عُيِّن مفتشًا بوزارة المالية بمصر، ولكن خدماته العظيمة كانت تتطلب عملًا أهم من ذلك ودائرة أوسع فعُين في السنة التالية حكمدارًا لبوليس مديرية



أحمد حمدي سيف النصر بك عضو الوفد المصري ورئيس المجلس الأعلى لاتحاد نقابات العمال.

أسيوط، فجدَّ في قمع دابر اللصوص وإيقاف تيار الجرائم أثناء توليه هذا المنصب هناك فنال استحسان الخديوي لقيامه بتلك الأعمال خير قيام، فأُنعم عليه بالنشان العثماني ثم نُقل بعد ذلك حكمدارًا لمديرية الغربية، وفضلًا عما كان يتطلبه عمله في حفظ الأمن العام وحفظ النظام من الهمة والنشاط، فإنه أظهر كفاءة تامة وغيرة بما قام به من أعمال مقاومة دودة القطن في سنة ١٩١٣ التي انتشرت بدرجة مريعة.

وفي السنة نفسها عُين مساعدًا لحكمدار بوليس مصر، وكان أول مصري شغل هذه الوظيفة المهمة، ولما شبت الحرب في ١٩١٤ طُلب إليه أن ينظم مشروعًا عظيمًا لفائدة العمال العاطلين بالعباسية فنجح نجاحًا باهرًا. وفي سنة ١٩١٥ احتلت قوات السنوسي الواحات البحرية الواقعة على بعد ١٠٠ (ميل) فقط من مديرية الفيوم، فانتخب حمدي بك مديرًا بهذه المديرية لأهمية تلك الحوادث وقتذاك. وفي أثناء وجوده بالفيوم برهن مرة أخرى على نشاطه ومقدرته. وبالجملة فإنه قدم خدمات عظيمة للدفاع عن وطنه، ثم انتقل مديرًا للجيزة في سنة ١٩١٧، وبقي بها حتى سنة ١٩١٩، حيث اعتزل خدمة

الحكومة وتفرغ للعناية بالزهور بمنزله بحلوان ولإصلاح أراضيه بمديرية الفيوم، وفي كلتا الحالتين أظهر حمدي بك كفاءته ونبوغه المأثورين عنه، فلا تأخذنا الدهشة والعجب إذا رأينا اليوم أن عزبته بالفيوم صارت نموذجًا ومثالًا يجب على أصحاب المزارع أن يقتدوا بها، وكذلك حديقته في حلوان من أجمل الحدائق وأبدعها. والخلاصة أن غيرته ومقدرته واشتهاره بالعمل والنظام مما لا يحتاج إليه البيان والتعريف، كما أن خدماته ومآثره موضع حديث القوم وإعجابهم. وهو الآن يشغل منصب وكيل النقابة الزراعية المصرية العامة، كما أنه شديد الاهتمام بتعضيد الكشافة بمصر.

وكان حمدي بك سيف النصر أحد النواب الذين مثلوا مصر في المؤتمر الدولي العام للقطن سنة ١٩٢١، وهناك أظهر من المهارة والبراعة والآراء السديدة ما حاز إعجاب زملائه في المؤتمر وحسن تقديرهم له. والرجل المقدام المحب للعمل كحمدي بك سيف النصر يكون غالبًا مولعًا بالرياضة البدنية ولعًا شديدًا؛ ففي السودان اشتهر بأنه من أمهر اللاعبين بالكرة والصولجان (بولو)، ولا يزال مُهتمًّا بالألعاب الرياضية، وميله الخاص وعنايته موجهان دائمًا للفروسية وركوب الخيل وهو لا يزال في ريعان الشباب، ومن كانت همته في الماضي معروفة في الأعمال النافعة وحياته الماضية حافلة بعظائم الأمور فلا بدع أن تكون أعماله كذلك في المستقبل. ا.هـ.

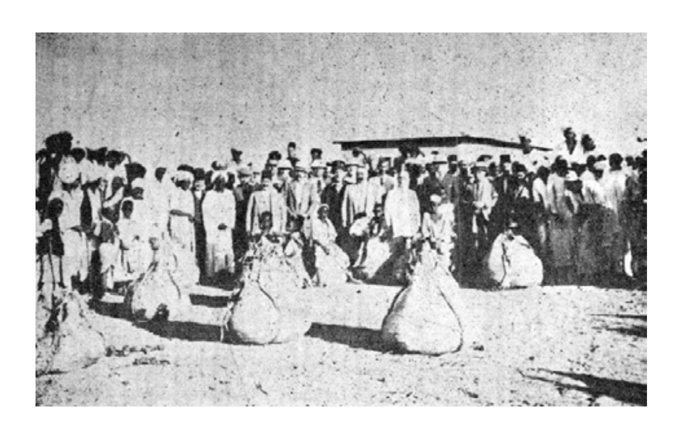
ومنذ استقال حمدي بك من منصب مدير الجيزة سنة ١٩١٩ احتجاجًا على ما نسب لأفراد من الجيش الإنجليزي من عدوان على الأهالي خلال قمع الثورة المصرية، انضم إلى الحركة الوطنية، وكان من العاملين فيها المخلصين للوفد المصري، وهو اليوم عضو من أعضائه ورئيس المجلس الأعلى لاتحاد نقابات العمال وزعيم العمال المصريين، ونائب رئيس النقابة الزراعية العامة، ووكيل جمعية فلاحة البساتين، وكان عضوًا في اللجنة التعاونية الاستشارية العليا للتعاون — وكان في اللجنة زميلًا كريمًا للمؤلف فيها — سنة ١٩٢٦ في وزارة الزراعة.

وقد وضع مستر ماري هاريس "Murray Harris" مؤلفًا أسماه «مصر تحت حكم المصريين» "Egypt under the Egyptians" فصَّل فيه أدوار الحركة الوطنية الأخيرة، وعرض خلاله بالتحليل لشخصيات كبيرة من المصريين هي: عدلي، وزيور، ورشدي، ومحمد محمود، وحمدي سيف النصر، فقال عن الأخير:

> سيف النصر مدير الفيوم السابق يتكلم ويفكر كرجل إنجليزي، وهو كذلك في كل نواحيه لولا أنه لا يلبس القبعة، ويكره مربة المرملاد، ولا يغني في

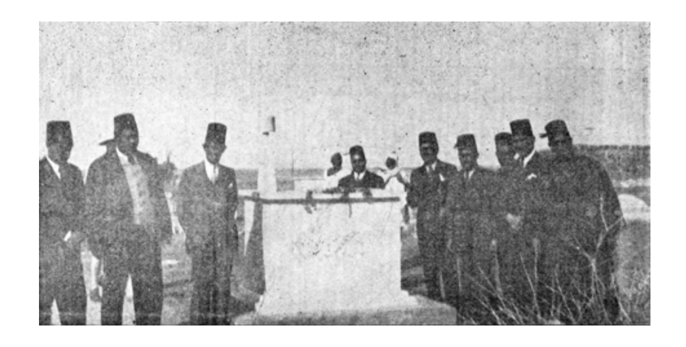
الحمام. ولقد كان فصيحًا ظريفًا جذابًا، وهو محبوب جدًّا في دوائر الإنجليز، كما أنه حازم جدًّا في أداء واجباته، وقد كان يميل إلينا، ولكننا بدل أن نشجع هذا الميل أخشى أن نكون فقدنا على الأقل جانبًا كبيرًا من عطفه علينا.

وأشار الكاتب الإنجليزي المعروف دوجلاس سلادن "D. Sluden" إلى حمدي بك سيف النصر في كتابه (مصر والإنجليز) "Egypt and the English" في باب وصف رحلته إلى السودان مع طائفة من كبار الإنجليز وزيارته لأم درمان، وذلك في مستهل القرن الحالي. قال:



سوق الصمغ في درديب.

وهناك استقبلنا حمدي مأمور أم درمان الكابتن بالجيش المصري ومعه الشيخ صالح جبريل متعهد توريد الجمال والحمير لحكومة السودان. وكان سرورنا بزيارة أم درمان قد ازداد جدًّا بانتداب السردار للمأمور كي يشترك مع الكابتن إمري في العناية بنا في ذلك اليوم البهيج؛ فلقد كانت معرفة المأمور الدقيقة بالسودانيين ولباقته وحزمه في تصريفهم وإدارة شئونهم قد جعلته من أعظم الضباط مكانة ومنزلة في الإدارة بالسودان. وهو يتكلم الإنجليزية كأحد أبنائها، وقد استطاع أن يجيب بدقة نادرة على كل سؤال وجَّهه فضولنا وحب استطلاعنا.



لفيف من أعضاء البعثة عند قبور الضباط المصريين بأم درمان صباح يوم الجمعة ١٥ فبراير سنة ١٩٣٥، ويرى من اليمين حضرات: عبد المجيد السيد محروس، علي شكري خميس، فؤاد أباظة، محمد عبد الرحيم سماحة، عبد الله حسين أمام القبر، عبد الحميد فتحي بك، عبد الرحمن نوفل، مصطفى أبو العلا.

(٥) في إدارة الحكم والأعمال

(٥-١) القطارات السودانية

سبق لي أن أشرت إلى أن مركبات مصلحة السكك الحديدية السودانية خير من مركبات مصلحة السكك الحديدية المصرية، نظافة ووسائل راحة، غير أن أجور السفر غالية؛ ولا سيما في الدرجة الأولى، ولكن في السكك الحديدية أربع درجات: الأولى والثانية والثالثة والرابعة، فأجرة السفر بالسكة الحديد بالدرجة الأولى من الخرطوم إلى الشلال — التي هي تابعة للحكومة المصرية — ١٣ جنيهًا و٧٩٠ مليمًا، وفي الدرجة الثانية ٩ جنيهات و٢٣٥ مليمًا، وفي الدرجة الثالثة ثلاثة جنيهات و٤٢٥ مليمًا، ولا توجد درجة رابعة؛ لأن الخط من وادي حلفا إلى الشلال هو خط نهري ببواخر نيلية تمكث من الساعة الثامنة مساءً إلى ظهر اليوم الثالث؛ أي ٤ زائد ٢٤ زائد ١٢ تساوي ٤٠ ساعة. والأجرة من الخرطوم إلى وادي حلفا ٨ جنيهات و١٩ مليمًا بالدرجة الأولي، وخمسة جنيهات و٧٥٣ مليمًا في الدرجة الثانية، وجنيهان و٨٦٥ مليمًا في الثالثة، و٨٨٠ مليمًا في الدرجة الرابعة. والفرق بين الدرجة الثالثة والرابعة قليل؛ فمركبة الدرجة الثالثة تماثل مركبة الدرجة الثالثة المصرية من جهة المقاعد، أما الدرجة الرابعة فلها مقعد

طويل في كل جانب، وفي الوسط مقعد موازٍ لامتداد المقعدين الجانبيين، ويوجد بها زير يشرب من مائه الركاب.

(٥-٢) الفنادق والاستراحات

سبق القول إن الحكومة السودانية قد أنشأت فنادق وافية؛ ففي الخرطوم «فندق الجراند أوتيل»، وفي بور سودان «فندق البحر الأحمر»، وفي جوبا «فندق جوبا»، وفي حلفا «فندق النيل»، وإلى جانب ذلك أنشأت الحكومة «استراحات». ونحن نعرف في مصر أن الاستراحات تنشئها الحكومة المصرية لمبيت الموظفين المنتدبين في الأقاليم، وخاصة حيث لا توجد فنادق مطلقًا أو لا توجد فنادق لائقة، ولكن في السودان قد أُنشئت استراحات المسافرين؛ وخاصة في العطبرة وكوستى والأبيض وأركويت وسنار، ولكل استراحة خادم، وأحيانًا يكون طاهيًا يقدم الطعام للمسافرين، وأحيانًا يكون بيت الاستراحة في الخيام لصعوبة البناء، أو ضرورة نقل موقع الاستراحة بسبب تغير الفصول والطقس. ولموظفي الحكومة الذين ليسوا منتدبين الحق في تخفيض قدره عشرون في المائة، والمنتدبين مجانًا.

(٥-٣) نولون السكك الحديدية

من آفة التجارة في السودان ارتفاع أجور شحن البضائع بمركبات السكك الحديدية وببواخرها النهرية، وقد اهتمت البعثة المصرية بمباحثة مدير الشئون الاقتصادية واللجنة التجارية السودانية في هذا الموضوع.

(٥-٤) جوازات السفر

على كل راغب في دخول السودان الحصول على جواز سفر، أو على الأقل تذكرة مثبتة لشخصيته، وأيضًا عليه أن يحصل على ترخيص بدخوله، وليس بكافٍ حصول الأجنبى على «تأشيرة» قنصل مصري أو بريطاني، بل لا ضرورة لها.

وتُقدم الطلبات للحصول على تصريح بزيارة السودان إما إلى السكرتير المدني «الملكي» بحكومة السودان — واختصاصه يماثل اختصاص وزير الداخليه عندنا —

أو إلى وكيل حكومة السودان بالقاهرة، أو إلى مكتب حكومة السودان في لندن. ويصدر الرد بالإجابة أو الرفض. والعادة أن يصدر بالإجابة، إلا في ظروف استثنائية.

وقد وُضعت قائمة بأسماء حضرات أعضاء البعثة المصرية بالسودان، وأُرسلت إلى وكيل حكومة السودان في القاهرة. وعلى كل مصري أن يبلغ هذا الوكيل أو حكومة السودان بالخرطوم مباشرة رغبته في السفر، فترد عليه بالقول بغير حاجة إلى جواز سفر.

اشتهر السودان بأنه موطن لمرض النوم والملاريا والحميات، وطالما أحجم الكثيرون عن زيارته أو الإقامة به لهذا السبب. غير أن الشهرة في الواقع لا محل لها؛ لأن مرض النوم والملاريا يوجدان في أنحاء معينة، وهى الجزء الأقل من السودان؛ فهو في جنوبي السودان وغربيه؛ وخاصة حوالي بحر الغزال، ولدى منابع النيل، والسبب في ذلك أن بتلك المنطقة مستنقعات وبحيرات وأنهارًا وأخوارًا عديدة، يأسن فيها الماء فتكون موطنًا للبعوض والناموس، ويجب على المسافرين اتباع التعليمات الحكومية للوقاية وللسير في طرق معينة.

وتنتقل عدوى الملاريا بواسطة ناموسة (الأتوفولين)، ويجب الاتقاء منها بعدم التعرض لعضاتها، وإذا كان لا مناص من ذلك، يجب أخذ خمسة جرامات من الكينين يوميًّا، وتبدأ الملاريا بقشعريرة ووجع رأس شديد، وأحيانًا بالقيء ثم ترتفع درجة حرارة الجسم، وقد يلتهب الجسم ويزداد القيء وألم الرأس. ويمكن أخذ الكينين يوميًّا ثلاث مرات في اليوم والأسبرين (لتخفيف ألم الرأس فقط) في حالة عدم وجود طبيب.

وتوجد حميات أخرى مثل حُمى الماء الأسود «البلاك ووتر»، ودودة غنيا والحُمى الملطية، ومن حسن الحظ أن الهمة مبذولة لإنشاء المستشفيات الواقية في السودان.

(٥-٥) منع الخمور

محرم على السودانيين تعاطى الخمور، على أن تصدير الخمور إلى السودان مباح بشرط الحصول على ترخيص من وكيل حكومة السودان في مصر، ورخصة الحانوت الذي يبيع الخمور تكون خمسين جنيهًا على الأقل، وفي بعض البلاد يحرم إعطاء رخص بتاتًا. ولكن السودانيين أنفسهم محرم عليهم شرب الخمور حتى من الحوانيت المصرح لها ببيع الخمور.

(٥-٦) أجور التلغرافات

أجرة التلغراف بين مصر والسودان قرش صاغ عن كل كلمة، ويوجد تليفونات في مدن السودان للاستعمال داخل المدينة أو مع البلاد المجاورة، ولا يوجد خط تليفوني بين الخرطوم والقاهرة، وهذا نقص كبير يجب تلافيه.

(٥-٧) حكام السودان

كان حاكم السودان قبل الثورة المهدية يسمى حكمدار السودان، وتعينه الحكومة المصرية، وبعد استعادة السودان أصبح يدعى الحاكم العام للسودان، وإلى سنة ١٩٢٤ كان الحاكم العام يلقب في الوقت نفسه سردار الجيش المصرى، وأول حاكم عام وسردار للسودان بعد استعادته هو الفيلد مارشال الإيرل كتشنر باشا من ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ حتى ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٩٩، وخلفه الجنرال سير فرانسيس ريجلاند ونجيت من ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٩٩ حتى ٣١ ديسمبر سنة ١٩١٦، حيث عُين نائبًا لملك الإنجليز في مصر، وخلفه سيرلي ستاك باشا من أول يناير سنة ١٩١٧ حتى ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٤ حيث قتل، ثم سير جوفرى أرشر، وقد عُين فى ديسمبر سنة ١٩٢٤ إلى ١٧ أكتوبر سنة ١٩٢٦، فخلفه سير جون مافي في ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٢٦ إلى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٣٣، حيث خلفه الحاكم العام الحالي اللفتننت كولونيل سير ستيورت سايمز، وهو تحت رياسة وإشراف فخامة سير مايلز ويدربورن لامبسون؛ لأن لقب فخامته «المندوب السامي لمصر والسودان»، وبمقتضى هذا اللقب يزور كل مندوب عام جديد السودان في أول تعيينه. وقد كانت زيارة فخامته هي الزيارة الحالية في فبراير سنة ١٩٣٥، وكبار الموظفين المدنيين في حكومة السودان جميعًا من الإنجليز؛ وهم القائد العام للجيش والسكرتير القضائي مستر بيل والسكرتير المالي مستر روجمان والسكرتير المدني مستر جيلان، ومستر لاش وكيل حكومة السودان بالقاهرة، ومراقب مكتب حكومة السودان بلندن مستر هاول، ومساعد السكرتير القضائي مستر جورمان، ومدير الزراعة والغابات مستر كاميرون، والمراجع العام مستر هيرالي، ورئيس القضاء مستر أوين، ومدير الجمارك مستر بنيت، ومدير التجارة والاقتصاد مستر ديفز (نقل لبلدية الإسكندرية)، وسكرتير المعارف مستر وينتار، ومدير الري مستر روبرتسون، ومدير الأراضى والمسجل العام مستر إيفانس، ومدير المصلحة الطبية مستر بريدي،

ومدير التلغرافات والبريد مستر توملين، ومراقب الأمن العام والمخابرات مستر بيني — وكان سلاطين باشا يتقلد هذا المنصب بعد استعادة السودان — ومدير السكك الحديدية مستر إملي، ومدير المخازن مستر جنت، ومدير مصلحة الطب البيطرى مستر ويليمز، ومدير معامل الأبحاث الاستوائية سير روبرت شيبالد، ومدير الأشغال مستر لوجين. وقد أُتيحت لي الفرصة للتحدث مع الكثير من حضراتهم فعرفت أنهم من خريجى الجامعات ومن الأحرار، وأنهم خير من سلفهم، وأنهم يقدرون الأمور تقديرًا صادقًا، وأنهم أكفاء وإداريون نزيهون.

وهناك ثلاثة مناصب دينية عالية؛ الأولى: قاضي قضاة السودان حضرة صاحب الفضيلة الشيخ نعمان الجارم نائب رئيس محكمة طنطا الكلية الشرعية سابقًا، وقد حصل تقليد جديد عند تعيين فضيلته؛ ذلك أنه كانت العادة الغالبة تجري أن تعين الحكومة المصرية قاضي قضاة السودان. وقد تقلده من قبل أصحاب الفضيلة الشيخ محمد شاكر والشيخ مصطفى المراغي والشيخ قراعة، ولكن عندما عُين في سنة ١٩٣٢ في عهد الوزارة الصدقية اشترطت حكومة السودان أن تتولى هذا التعيين، فيعد مفصولًا من خدمة الحكومة المصرية، وتعينه حكومة السودان تعيينًا. وكانت حكومة السودان تطلب قبل ذلك أن لا تعين الحكومة المصرية أي قاضٍ لقضاة السودان، ويكون تعيينه من القضاة الشرعيين السودانيين، فوافقت الوزارة الصدقية أن تتولى حكومة السودان التعيين، واحتفظت بأن يكون المعين من القضاة الشرعيين المصريين. ولمصر أن تفتخر بالشيخ نعمان الجارم، فهو نبيل الأخلاق ومحل احترام الجميع.

والمنصب الثانى: هو منصب شيخ العلماء، ويتولاه فضيلة الشيخ أحمد محمد أبو دقن. ويماثل هذا المنصب منصب شيخ الجامع الأزهر. والشيخ أبو دقن من مواطنينا السودانيين عالم فاضل شجاع صريح.

والمنصب الثالث: هو منصب المفتي ونائب قاضى القضاة، ويتولاه فضيلة الشيخ أحمد السيد الفيل، وهو رجل عذب الحديث قوي الحجة.

أرجع بعد هذا بالقارئ قليلًا لأحدثه عن مسألة مهمة، وهى زيارتنا لمزارع القطن في أرض الجزيرة وحالة القطن السوداني

أقلتنا السيارات من واد مدني إلى تلك المزارع ومعنا مستر اسكويث من كبار مساهمي الشركة التى تستغل تلك الأراضي، وبعض مديريها وكبار موظفيها الإنكليز.

وقد بدأنا أولًا بزيارة مكتب الشركة في أم درمان، حيث اطلعنا على خريطة تبين مجرى النيل الأزرق والأراضي المزروعة والقابلة للزراعة، والتي لا تصلح للزراعة؛ لأن الأرض عالية والماء واطئ. ثم مررنا بالمزارع وعدنا إلى واد مدني الساعة العاشرة صباحًا.

يرجع تاريخ زراعة القطن في السودان إلى عهد استعادته بقيادة اللورد كتشنر باشا، فقد رأى أن هناك أرضًا في السودان صالحة لزراعته، فبين سنة ١٩٠٤ وسنة ١٩٠٦ زرع ٣٠٠٠ فدان في حوض الزيداب قريبًا من الخرطوم.

وذلك لأن الأرض خصبة والماء قريب من سطح الأرض، حيث أُنشئت طلمبة للري. وقد زادت المساحة شيئًا فشيئًا فزرع ١٥ ألف فدان، وأقيمت طلمبة عند بلدة طيبة، وأُنشئت طلمبة أخرى عند بلدة بركات، فكان الري في أطيان هذه البلاد — وهي بأرض الجزيرة — يُروى بالطلمبات.

ورأت حكومة السودان أن تتابع سياسة تعميم زراعة أرض الجزيرة، وأنه في سبيل تحقيق هذا الغرض لا بد من إنشاء خزان على النيل الأبيض، فوُضع مشروع بناء خزان سنار، ثم وُقف تنفيذه بسبب الحرب، واستمرت الحكومة في سياسة إنشاء طلمبات. وبعد الحرب تجدد الاهتمام بإقامة خزان مكوار، وتعاونت حكومة السودان مع نقابة شركة أراضي الجزيرة في تنفيذه، ولهذا الغرض أقرضت الحكومة الإنجليزية الشركة مبلغ ١١ مليونًا ونصف مليون من الجنيهات بضمان الحكومة السودانية. وفي سنة ١٩٢٥–١٩٢٦ تم إنشاء الخزان، وأقيم احتفال عظيم بافتتاحه، ودُعيت الصحافة المصرية إليه، وكان يمثلها حضرة الدكتور محمد حسين هيكل بك، الذي وضع كتابه «عشرة أيام في السودان» لمناسبة هذه الزيارة.

ويتضمن مشروع الجزيرة، فوق إنشاء الخزان الذى عُرف منذ سنتين باسم خزان سنار بدلًا من اسم خزان مكوار، شق ترعة رئيسية تستمد ماءها من النيل عند الخزان. والمشروع الإجمالي يتضمن زراعة ثلاثة ملايين فدان؛ لأنها المساحة القابلة للزراعة، ولما كانت مساحة الجزيرة أربعة ملايين فدان فإنه سيظل هناك مليون فدان لا يقبل الزراعة. وكانت المساحة مقيدة بزراعة ٣٠٠ ألف فدان، ولكن الإنذار البريطاني سنة ١٩٢٤ قضى بزراعة كل المساحة، أما ما تم إعداده فعلًا فهي مساحة تتراوح بين ٧٥٠ ألف فدان و٨٠٠ ألف فدان، ولكن الشركة تؤثر الزراعة على طريقة الدورة الرباعية، بمعنى أنها تزرع ربع هذه المساحة قطنًا سكلاريدس، أو ١٨٠ ألف فدان في كل سنة،

وفي السنة التالية لا تزرع المساحة التى زُرعت بل تزرع ربعًا آخر؛ وذلك لأنه بهذه الطريقة تكون النفقات قليلة جدًّا، ولأن الزراعة في الجزيرة تقوم على أساس الري بالراحة، خصوصًا لقلة اليد العاملة.

وتزرع شركة كسلا من هذا الربع نحو ٢٠ ألف فدان؛ لأن الحكومة السودانية قد وضعت يدها على منطقة كسلا، وأعطت إلى شركة كسلا مساحة أخرى في أرض الجزيرة، وقد زرعت الحكومة ٢٨ ألف فدان في كسلا.

والجزء الذى لا يُزرع ولا يقبل الزراعة يقع من جنوبي الخرطوم في مساحة طولها ٥٠ كيلو مترًا، ومن سنار في مساحة طولها ٥٧ كيلو مترًا. وتوجد بالجزيرة أيضًا عند جندل أراضٍ بها سماحة السير السيد عبد الرحمن المهدي، وتبلغ ١٤٠ ألف فدان يُزرع منها ٥٠٠٠ فدان.

وتجود أرض الجزيرة في المتوسط بمقدار ٣$\frac{٣}{٤}$ قناطير في الفدان، وتنتج كمية ٦٠٠ ألف قنطار، فإذا أُضيف إلى ما ينتجه ٢٨ ألف فدان في نهر الجاش و٣٢ ألف فدان في طوكر، وما تنتجه أطيان السيد عبد الرحمن المهدي والأراضي المزروعة قطنًا أمريكيًّا أمكن القول بأن ما ينتجه السودان من القطن حوالي ٨٢ ألف قنطار.

والقطن السوداني — إلا القليل — هو من السكلاريدس، ولكنه استنبت فخرج منه صنف من فصيلته باسم «إكس ١٥٣٠» به مناعة ضد مرض التواء الأوراق أو مرض البلاك آرم. وينتشر هذا المرض بسبب غزارة الأمطار في يوليو وأغسطس.

ولما كان بأرض الجزيرة أملاح تعطل سير ري بذور شجيرات القطن وتصريف الماء، فقد أُنشئت مصارف سطحية لتصريف الماء، ولكن ليس من الممكن إنشاء مصارف؛ لأن أرض الجزيرة طينية ثقيلة، وتقوم معامل الشركة ببحث هذه المسألة. والأخصائيون فيها يؤملون النجاح.

وتبدأ زراعة القطن في السودان في يوليو، ويبدأ الجني في ديسمبر ويستمر حتى شهر مايو، ومن حسن حظ السودان أنه لا يعرف مسألة خلط القطن؛ لأن المزروع من السكلاريدس إلا القليل، ولذا لا محل للخلط بين الأصناف ما دام الصنف واحدًا يُفهم.

ولا تزال الطلمبات السابق إنشاؤها قائمة ويُنتفع بها لري الحدائق وفي زمن التحاريق.

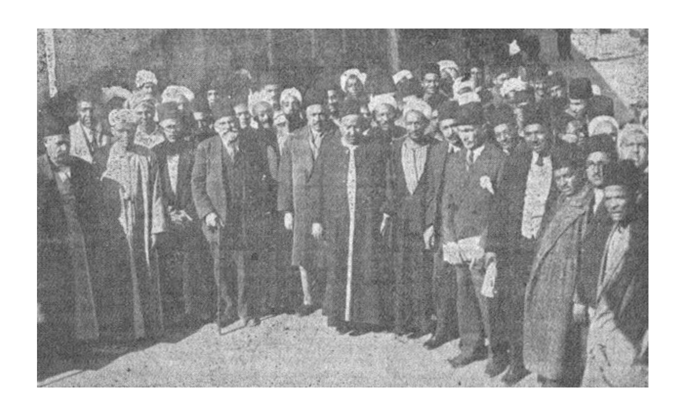
ويلاحظ أن النيل الأزرق أعلى من النيل الأبيض، وأن الترعة الرئيسية التى تنتفع من خزان سنار تستطيع ري ٣ مليون فدان. وزراعة ٤٠٠ فدان لأجل إنتاج بذرة تكفي لزراعة أرض الجزيرة.

(٥-٨) تقرير بوليس الخرطوم

وصلت جملة البلاغات إلى ٩٠٤٦ بزيادة ٧٠١ عن سنة ١٩٣٣، وبلغ عدد الذين ألقي عليهم القبض من جرّاء هذه البلاغات ٤٠١٠ أشخاص كان نصيب مدينة الخرطوم ثلث هذا العدد.

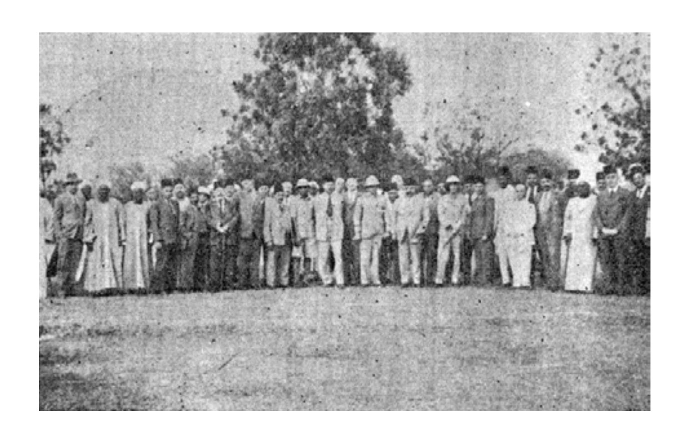
القضايا الجنائية

ونظرت المحاكم الجنائية في مراكز مديرية الخرطوم ١٥٥٢٥ قضية حوكم فيها من الأشخاص ١٠٠٦٢، أُدين منهم ٨٤٦٧ فكانت الزيادة ٨٦٥ عن سنة ١٩٣٣.



أعضاء البعثة في السودان.

وبلغت حوادث السرقات ١٠٧ في سنة ١٩٣٤، يقابلها ١٠٨ في سنة ١٩٣٣، على أنها كانت في سنة ١٩٣٢ قد وصلت إلى ٤٩٨، وفي سنة ١٩٣٤ وقع الجزاء في ٤٣ حادثة، وبلغت قيمة الأشياء المسروقة في هذه السنة ٢٦٥٧ جنيهًا و٦٣٩ مليمًا استُرد منها ما قُدّر بـ ٦٤٧ جنيهًا و٣٦٥ مليمًا، وهو ما يوازي الربع.



البعثة في كوستى.

حوادث القتل

حدث من جرائم القتل في مدينة الخرطوم ٩ حوادث، وألقي القبض من أجلها على ١٤ شخصًا، وانتهى فيها التحقيق إلى الحكم بالإدانة على ٧، وتم الصلح في واحدة منها على يد المحكمة الأهلية، وهى قضية ولد صغير مات من ضربة ولد آخر في سنه تقريبًا وقد حصل ذلك في أثناء اللعب. والقضية الثانية قضية مجرم اعتاد الإجرام وله سوابق عدة، وقد وُجد مقتولًا خارج مدينة أم درمان ولا يزال التحقيق والبحث جاريين لمعرفة الأسباب.

وعطف التقرير على حوادث الحرائق، وقد أبان ما أداه البوليس من خدم ممتازة في إطفاء الحرائق وذكر قيامه بواجبه خير قيام. وقال: إن ٣٤ حادثة حريق حصلت في بحر سنة ١٩٣٤ فُقد فيها ما قيمته ٥٥٣ جنيهًا و٢٥٠ مليمًا.

ثم تناول التقرير حوادث الاصطدام، وقرر أن هناك زيادة مطردة في اصطدام العربات، وقال: بلغت هذه الحوادث ٢٧ حادثة في سنة ١٩٣٢، و٧٥ في سنة ١٩٣٣، وفي سنة ١٩٣٤ بلغت ٩٤ منها ٦ حوادث مميتة، وعُلق على التقرير بما يأتي:

> يلاحظ القارئ أن البوليس متقدم في أعماله متمشٍّ مع التقدم في العمران، ولكن الزيادة المطردة في عدد حوادث الاصطدام وفي مدن شوارعها واسعة

كالخرطوم وأم درمان والخرطوم بحري مما يستلفت النظر ويدعو حقًّا إلى البحث وراء السبب الحقيقى، واستنباط الطرق التي يجب اتباعها لمنع هذه الزيادة، والمحافظة على الأرواح.



السكرتير الإداري المستر أ. جيلان.

(٥-٩) الإدارة والقضاء في السودان

كان بين القضاة المصريين في السودان حضرات أصحاب العزة عبد الحليم الحديني بك القاضي الآن بمحكمة أسيوط الابتدائية الأهلية، وكان قاضيًا للخرطوم، وكان توفيق وهبي بك قاضيًا للخرطوم بحري، وكان محمد حسن العشماوي بك «وكيل المعارف الآن» قاضيًا بأم درمان.

ويصدر الحكم القاضي الجزئي، ويستأنف أمام المحكمة العليا، وتتألف من قاضٍ واحد وهو إنجليزي، وتُستأنف أحكامه أمام محكمة الاستئناف، وهي مؤلفة من ثلاثة بريطانيين.

ومن القواعد القضائية إمكان صدور الأحكام التالية:

(١) حكم بتحديد نقط النزاع، وهو قابل للاستئناف.

(٢) إذن برفع الدعوى، تفاديًا من رفع الدعاوي الكيدية وإرهاق المحاكم. والقرار برفض الإذن قابل للاستئناف.

تظلم إلى سير لي ستاك باشا حاكم عام السودان أحد المتقاضين مرة من حكم أصدره العشماوي بك قاضي محكمة أم درمان، فأرسل ستاك باشا إلى العشماوي بك كتابًا رقيقًا ومعه التظلم، وقال فيه إنه يرجو أن يسمح القاضي بأن لا يعدَّ الكتاب تدخلًا في شئون القضاء.

قضية يفصل فيها في يوم واحد: يجيز القانون للقاضي أن يفصل في الدعوى حالًا، وأنه إذا حضر شخص للقاضي وأقام الدعوى شفويًّا ودفع الرسم ٥ في المائة بدون محضر بالطلبات مع إعلان الخصوم بالتلغراف أو التليفون.

حضر مرة أحد تجار الماشية أمام المحكمة وكان له دين قبل تاجر موسر، وتظلم، فدون العشماوي بك محضرًا بالطلبات، وقال المتظلم إنه غريب ولا يستطيع الإقامة في أم درمان وعليه أن يسافر، وأن غريمه تاجر موسر، فتكلم العشماوي بك بالتليفون مع مأمور المركز يطلب الخصم، فحضر حالًا وسمع أقواله وصدر الحكم، ونُفذ عقب صدوره. كل ذلك في يوم واحد.

ومما يساعد على تنفيذ الأحكام أن المحكوم عليه بدين يجوز حبسه لوفاء الدين.

وتطبق في المسائل المدنية قواعد العدل والإنصاف، غير أن هناك مسائل لها تشريع خاص؛ كالكمبيالات والشفعة.

ومن تبسيط الإجراءات أمام المحاكم أنه إذا أقام شخص دعوى أمام محكمة غير مختصة «مركزيًّا مثلًا»، كما إذا أقام الدعوى في القاهرة بينما المدعى عليه في أسوان، أمكن للمدعى عليه أن يقدم لقاضي محكمة أسوان إعلان الدعوى وأن يدلي أمامه بدفاعه، فيدون القاضي محضرًا بذلك ويرسله إلى قاضي القاهرة.

قانون العقوبات

متأثر بقانون العقوبات الهندي، وهو قائم على أساس شرح الجريمة، ثم ضرب الأمثال عليها. ويجوز للقاضي الابتدائي أن يحضر أمام الاستئناف ويدافع عن حكمه.

وكل الأحكام قابلة للتنفيذ حالًا، وللقاضي أن يوقف تنفيذها، ويجوز رد القضية للمحكمة لإعادة الفصل فيها.



حفلة الشاي في القضارف تكريمًا للبعثة.

ومكث العشماوي بك من أغسطس سنة ١٩١٧ إلى سبتمبر سنة ١٩١٩ في السودان، وكان منتدبًا من الحكومة المصرية، ثم أُعيد للقضاء الأهلي، ثم عُيّن أستاذًا للمرافعات بكلية الحقوق، وأخيرًا سكرتيرًا للمعارف فوكيلًا لها.

بونهام كارتر السكرتير القضائي، هو واضع النظم القضائية في السودان.

تُحسب كل سنة في خدمة السودان بمقدار سنة ونصف في المعاش، وبمقدار سنتين قبل خط عرض ٥١٢.

(٥-١٠) الأندية السودانية بمصر

رأى إخواننا السودانيون المقيمون بمصر أنه لا بد لهم من رابطة تجمع شملهم، وجامعة تضم شتاتهم، فأنشأوا في مدينة القاهرة ناديًا يقع في الدار رقم ٣ بميدان سليمان باشا، يرأسه حضرة الشهم الوجيه الغيور السيد «علي البرير» سليل أسرة «البرير» المشهورة بالتجارة والفضل وتوثيق العلاقات بين مصر والسودان. وللنادي مدرسة لتعليم الفقراء وعيادة طبية، ودار أنيقة، وله مجلة ومجلس إدارة ولجان، وعلى رياسته الفخرية حضرة صاحب السمو الأمير الجليل عمر طوسون، وعلى وكالته الفخرية صاحبا السيادة الزعيمان السودانيان الكبيران السير السيد علي الميرغني والسير السيد عبد الرحمن المهدي.



الدكتور رياض شمس المحامي وعضو المجمع الدولي للقانون الجنائي بباريس وعضو البعثة المصرية في السودان.



القمص يوحنا سلامة وكيل الشريعة القبطية ومدير مدارس الأقباط بالخرطوم.

وتقام بالنادي حفلات شاي وتكريم للضيوف والمبرَّزين، وفي المناسبات كعيد رأس السنة الهجرية. والنادي مستعد لتزويد الطالبين بما يريدونه من معلومات عن السودان.

ومن كبار أعضاء النادي السوداني بالقاهرة

علي أفندي البرير، محمود أبو العلا، الشيخ خضر الحاج علي، الشيخ محمد وحش، الدكتور الدرديري أحمد إسماعيل، محمد عبد الهادي عطية، السيد نور الدين، علي القوصي، الحاج حسن خيري، خليل عامر، سيد طه، سليمان أحمد خليل، علي محمد نور، حسين منصور، توفيق أحمد، محمد الحسن مصطفي، إدريس شريف، إدريس عبد الحي، عبد العزيز ماجد، توفيق سراج، محمد أحمد صابونة، سليمان علي، حسن

محمد نور، الشيخ حسن محجوب، سليمان داود، بشير عبد الرحمن، فاضل حامد، محمد عبد الله الخطيب، عوض سيدون، الشيخ محمود حسن، سليمان أحمد قاسم، شريف عبد الجليل، صديق فضل بشير، محمد محمد إسماعيل، الشيخ يوسف إدريس، حسين عبد الكريم، حسن متولي محمد، عبد المجيد محمد علي القاضي، عبد الحميد محمد علي بدوي، أحمد عمر أبو بكر، عبد اللطيف الحاج بشير، حسن علي محمد، السيد أحمد رشوان، محمد عثمان جبر، إبراهيم إدريس، محمد إبراهيم قاسم، الحاج محمد عبدون، محمد عثمان محمد، إبراهيم محمد داود، أمين محمد أمين.

وحضراتهم بين تجار وأدباء وطلبة نابغين، يسودهم الوفاق.

وقد أُنشئ في هذا العام نادٍ سوداني بالإسكندرية.

(٦) أعيان السودان وتجاره

حضرة صاحب السيادة الحسيب النسيب السير السيد علي الميرغني كبير أعيان السودان وأحد علمائه الأعلام ورئيس الطريقة الميرغنية في القطرين السوداني والمصري ورئيس الوفد السوداني الذي سافر إلى لندن في يوليو سنة ١٩١٩.

وحامل نيشان القديسين ميخائيل وجورج من درجة فارس، ونيشان فيكتوريا من درجة فارس.

حضرة صاحب السيادة الحسيب النسيب السير السيد عبد الرحمن المهدي كبير منتجي السودان ونجل المهدي الأكبر وزعيم المهديين في السودان وأحد أعضاء الوفد السوداني الذي سافر إلى لندن سنة ١٩١٩.

وحامل نيشان الإمبراطورية البريطانية من درجة فارس، ونيشان فيكتوريا من درجة رفيق.

حضرة صاحب السيادة الحسيب النسيب الشريف يوسف الهندي أحد كبار أعيان السودان وعالم من علمائه الأعلام وأحد أعضاء الوفد السوداني الذي سافر إلى لندن سنة ١٩١٩.

وحامل نيشان فيكتوريا من درجة رفيق، ونيشان الإمبراطورية البريطانية من درجة عضو.



السير جون مافي حاكم السودان سابقًا.

ومن أعيان الخرطوم وتجاره الوطنيين: مهدي الشيخ الطيب، محمد عبد الغفور ومحمد عبد المحمود، خير الله صالح، محمود حسن القباني، يونس نجم، فارس ميشيل بك، محمود علي دياب، هنري جيد، عبد الرحيم هميمي، قرنفلي نصر الله، إبراهيم خليل بك، محمد حسن السواحلي، محمد أحمد صابر، أمين محمد علي علوب، محمد محمد نور، حاج علي حسين، عابدين عوض حسن، عطا الله غبريال.

ومن أعيان الخرطوم وتجاره الأجانب: كوبانوس أفسترانيو، كانيفانيدس ديمتري، سيروجتيس ألكسندر، جورج تريزيس، أرشاك جورج، ألكسندر قاريانوس، هاجوب أصلانيان، زافولاس جورج، جورج أشخنيان، الدكتو بريدو، ديموبوليس خاريس، كونتو ميخالوس.

ومن أعيان وتجار العطبرة الوطنيين: مختار عبد الهادي، الزبير محمد حسن، مجذوب محمد عبد الكريم، محمد أحمد القوصي، أنطون طباخ، ساويرس محروس، حميد الشيخ أحمد، محمود محمد عاشور، عبد الهادي عبد المجيد القباني، وديع



ألفونس جريس بك مدير المباحث الزراعية بوزارة الزراعة سابقًا وعضو بمجلس إدارة الجمعية الزراعية الملكية.

أندراوس سيدهم، محمود محمد الأبس، صالح محمد عبد الله الرجاجي، محمود محمد عثمان، محمد أبو عجور، عباس أبو العلا، بابكر أحمد الشيخ.

ومن الأعيان والتجار الأجانب في العطبرة: أنطونو بولو، لورانزانو كاتسوليدس، أنطون سنكي، ك. ب كريكور.

ومن أعيان وتجار كسلا الوطنيين: السيد أحمد الميرغني، السيد محمد حسن الميرغني، السيد محمد الحسن، السيد أحمد الميرغني.

ومن التجار والأعيان الأجانب بكسلا: شطار بهاح فاراندوس رمجي سنجي، ويفكران لشراز، أريماكيس كوستيس، خاركيسونداس خوشال.

ومن الأعيان والتجار الوطنيين بالأبيض: عمر التني، عوض الكريم قرشي، بان النقا حسن، محمد أحمد إمام، عوض خليل، محمد نور ناصر، أبو زيد حسن هلال، علي إلياس أبو ورقة، ماهر عبد العزيز القباني، جرجس جورجي.

ومن التجار والأعيان الأجانب بالأبيض: رامجي سامجي، ولينج جيمس، وأنطوياكيس نيقولا، والدكتور ملكسيان، ودياكوبولوس عمانويل، وكاهامجي همشاند، ونقولا يسومبونس.

ومن الأعيان والتجار الوطنيين بأم درمان: إبراهيم عامر، صالح داود، جورج بغدادي بك، أحمد حسن هريدي، إبراهيم فخري القباني، عبد الله الحاج حسن، سعد هنري جيد، عبد المجيد حسن عبد المنعم، عبد الله الدعينة، بابكر أحمد الشفيع، أحمد عبد القادر الوالي، سيد أحمد سوار الذهب، السيد إسماعيل الأزهري، صالح عثمان صالح، محمد الشنقيطي، عبد القادر محمد العتباني، إبراهيم أحمد عطا الله، خالد أحمد سليمان، محمد حسين أبو جبل، مهدي الشيخ الطيب، دفع الله شبيكة، الأمين عبد الرحمن أرباب، حسن أبو العلا، حسين أبو العلا، عبد المسيح تادرس، نعمان جورج حداد، صالح داود.

ومن التجار والأعيان الأجانب بأم درمان: تربيهو فان مدهلال، إلياس جارجا فليا، وبتمزاكي ديمتري، كارسنداس متشجان، ديار بيكربان أرتين، راتنجي خاليداس، هاركيسانداس خوشال، مارجوسيان برفانت.

ومن الأعيان والتجار الوطنيين ببور سودان: علي يحيى اليماني، وداعة الله أحمد النيل، درويش مصطفى ربيع، حامد أحمد عناني، محمد السيد البربري، أبو بكر سعيد باعشر، مسعود محمد، دايم اليماني، عوض الله الحاج المصري، محمد آدم جندابي، أحمد سالم الرويعي، السيد عمر الصافي، عبد الرحيم كوردي، طه مسلم، العوض الشافعي، البشرة خلف الله، عثمان محمد السمكري، حسين أحمد شمس، محمد سعيد باعشر، حسين عبودي، عمر محمد صالح بازرعة، محمد زين صديق، ناشد أندراوس، تادرس عطية، محمد عمر بازرعة، الشيخ عثمان عبد القادر، إبراهيم علي مرزوق، مبارك سليم بشنين، صالح جمعة، مصطفي جيلاني رجب، كامل عفارة، عبد الماجد بشير، أديب قربان، أحمد السيد البربري، محمد صالح ضرار.

أسماء تجار وأعيان بور سودان الأجانب: جوفرجي ناتال، جادفجي فرشاند، قريزيس بنايوتي، جاجزيفان ويفكران، سركيس توكاتليان، شامولال بارماتاد، جيثلال لافاشند، بهاجفاندس جانيش، فارنداس كابورشاند، تروكوجيا كومو، جورج كيورس، هازندروس مانولي، بوبات نمشاند كمدار، بيتامبر مانيلال شاخ، جاسنداس ديفداس، بيتروكي ألكسندر، ديليس ثيودور.

أسماء بعض أعيان وتجار واد مدني الوطنيين: شكري عبد الله النجار، محمد أحمد مصطفى الخضري، أحمد رمضان محمد، يونس أحمد، محمد الأمين الحاج، عبد المنعم محمد، عبد القادر إسماعيل، إبراهيم الربح، توفيق حبيب، عبد الله أحمد يحيى، جورج صايغ، عمر محمد عبد المجيد، محمد بادا، شمس الدين الشافعي، إبراهيم أحمد السنوسي، عبد الرحيم أحمد، مصطفى عثمان، الحاج طاهر المنشد، راغب عبد الله دلال، كوسة.

ومن التجار والأعيان الأجانب بواد مدني: نقولا روسو، أليكسندر الستاسياديس، باسيل أنطون بادرا، باندليس جورج، هاركيونداس خوشال، أليكسندر فيتالي، فاسيلي لمبروبولو، نقولا فوليانيتس، بابافاستاسيو جورج، قندلال كرمشارد.

كلمة المؤلف الختامية

الآن نختتم الجزء الثالث من الكتاب، ولا نزال نذكر الأثر الذي تركته البعثة، وندعو زعماءنا ومواطنينا إلى مواصلة تأليف البعثات وزيارة السودان؛ ففي زيارته فوائد شخصية للمسافر، وفوائد عامة في باب تمكين الروابط بين مصر والسودان، ونرجو أن تُتاح لنا الفرصة لتكرار زيارة بلاد لنا فيها ذكريات وبها مصادر حياتنا، ونشكر مواطنينا السودانيين على حفاوتهم ووفائهم ونتمنى لهم مستقبلًا سعيدًا.

١٥ أكتوبر سنة ١٩٣٥

عبد الله حسين


هنداوي